السياسة

من واقع الإسلام

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي

دار العلوم

السياسة
من واقع الإسلام

الطبعة الرابعة

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م



المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 03/473919 - 01/545182
ص . ب : 140 / 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

السياسة من واقع الإسلام

تأليف

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي

تنقيح وتحقيق

مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية



دار العلوم

للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين.

الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجّي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، ويُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين.

وأفضل صلوات الله، وأحسنها، وأجملها، وأكملها، وأزكاها، وأنماها، وأطيبها، وأطهرها، وأسناها على عبده، ورسوله، وأمينه، وصفيّه، وحبيبه، وخيرته من خلقه، وحافظ سرّه، ومبلّغ رسالاته، نبيّه الأعظم محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، أصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعَم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعترة خيرة ربّ العالمين.

وبعد ...

إنّ القائد المسلم الذي يمارس الإرشاد والتوجيه وسوق العباد نحو عبادة الخالق وحده، يجب أن يلتزم بشروط، في مقدمتها منح الحرية للناس بجميع أشكالها.

كما أن السياسة مهمة دينية لا تأتي من باب التفضل أو الإحسان الذي يمكن للسلطة أن تمارسه بحسب أهواء أربابها، وإنما هي واجب يقع على عاتق أي إنسان يتصدى لمهمة تبليغ رسالات الله إلى الناس.

في الكتاب الذي بين يديك ـ عزيزنا القارئ ـ يسلّط المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله الضوء على

الفارق الرئيسي بين السياسة من واقع الإسلام، والسياسة من الواقع الآخر، فيتأكد الاختلاف في دائرة الشمولية والهدف والوسائل.

ففي السياسة من واقع الإسلام لا يوجد شيء اسمه قيم مثالية وواقع، بل هناك ترابط وثيق بين هذه القيم والواقع، كما أن البحث النظري، حتى وإن خاض في سجالات نظرية، فإنه يرنو من خلال السجالات إلى الواقع؛ فالبحث النظري لا يهدف إلى البحث عن قواعد نظرية مجردة بقدر ما يهدف إلى التوصل إلى سبل تحقيق الرفاه الاجتماعي وحماية الإنسان من جميع أشكال التعسف.

من هو السياسي

على هذا نلاحظ أن السياسة من واقع الإسلام تتقدم بصورة ثابتة لترسم كل معالم الواقع السياسي؛ فهي لا تفترض إمكانية مفتوحة لأن يكون كل من هبّ ودبّ سياسياً بالمعنى الإسلامي؛ ولهذا جاءت الأحاديث لتؤكد هذه الصفة لطبقة خاصة من الناس ألا وهم الرسول وأهل بيته(عليهم السلام)، وهذه القضية ليست مجرد استنتاج بل هي قضية مؤكدة من خلال مجموعة من النصوص، سلط سماحة السيد الضوء عليها كما يلي:

في الشريعة نصوص كثيرة جداً، تدل على أن السياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام، بل الأصح في التعبير أن نقول إن الإسلام والسياسة لفظان لمفهوم واحد؛ فالسياسة هي الإسلام، والإسلام هو السياسة بمعناها الصحيح العام، ومنها:

جاء في الحديث الشريف في وصف الأئمة(عليهم السلام): **«أنتم ساسة العباد»**.

وجاء في حديث آخر: **«ثم فوض إلى النبي(صلى الله عليه وآله) أمر الدين والأمة ليسوس عباده»**.

ويترتب على كل ما تقدّم أن يصار إلى نفي هذه الصفة عن سوى الرسول وأهل بيته عليهم السلام، أو من تعلّم منهم وامتلك الأهلية؛ ولذا فإن إيراد عدد من النصوص في هذا المجال سيكون تأكيداً لهذا الأمر، ومن ذلك ما كتبه الإمام عليّ عليه السلام إلى معاوية بقوله: «**ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمة**».

هذه الحقيقة التي أثبتها السيد خطرة حقاً؛ فهنا لا تكون السياسة قضية قابلة للإهمال والتجاوز، بل إن وجود المجتمع ورخاءه وبقاءه يعتمد عليها، كما أن عملية اختيار الساسة تنطوي على الأهمية نفسها؛ إذ إن هذه الكيفية الخاصة من الممارسة السياسية لا يمكن أن يؤديها إلاّ نوع خاص من البشر من ذوي الأهلية الأخلاقية العالية.

وقد شرح سماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله في هذا الكتاب كل هذه المعالم بصورة عالية من الوضوح والدقة بنحو يجعل من النظام الإسلامي طموحاً إنسانياً تتوق له النفوس المتعبة التي لم تجد في جميع فترات تأريخها من يجسده بهذه الصورة الراقية التي لم تترك أي تفصيل من تفاصيل الحياة الإنسانية إلا وقدّمت له حلاً راقياً لا يرفضه أي إنسان، إلا إذا كان قد جهل أبعاده؛ فجميع أبناء البشر محترمون مهما تعددت آراؤهم السياسية أو أديانهم وألوانهم، وجميعهم محترمة حقوقهم، والسلطة ليست أداة قمع بقدر ما هي أداة لتنظيم وتيسير الحياة، لمنحها انسيابيتها الفطرية، والهدف الأول هو منع التقاطع بين المصالح والأفكار والآراء دون قهر أو قمع أو إرهاب.

إن القاعدة الأساسية التي أكدها سماحة السيد دام ظله في العلاقة بين الحاكم والمحكوم هي السلم واللاعنف، ومنها ننطلق إلى كافة تفاصيل الحياة السياسة.

عملنا في الكتاب:

نظراً لحيوية موضوع الكتاب وأهميته، وما ينطوي عليه من فائدة جمّة خدمة للدين الحنيف، ارتأت (مؤسسة الرسول الأكرمﷺ الثقافية) إعادة طبع الكتاب، بعد تنقيحه، وإدخال بعض التغييرات البسيطة، بما يناسب نشره.

وقد قام الإخوة العاملون في قسمي التحرير والتحقيق في المؤسسة بمراجعته وتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث والروايات، وإرجاع بعضها إلى أصولها، أو الكتب الناقلة لها، وذكر بعض البيانات اللازمة في الهامش، ثم عمل الفهارس العامة لأبحاث الكتاب، والإخراج الفني، ليخرج الكتاب كاملاً في فنّه، وواحداً في جنسه، راجين الله العليّ القدير أن يتقبّل منّا هذا القليل، فهو المرجو والمأمول، ومنه المنّ والفضل، وله الحمد جلّ شأنه.

السابع عشر من شهر صفر المظفر ١٤٢٨ للهجرة

مؤسسة الرسول الأكرمﷺ الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله وحده.

والصلاة على من لا نبي بعده.

وعلى خلفائه المعصومين عليهم السلام الذين جعلهم الله حكام أرضه بعد نبيه.

والسلام على الفقهاء الأمناء، نواب خاتم الأوصياء عجل الله فرجه.

الذين جعلتهم (القيادة المعصومة):

القضاة..

والحكام..

والحجّة..

أما بعد: فالسياسة بحث واسع مترامي الأطراف، وبحر عميق عريض لايبلغ غوره وسواحله إلا القليل القليل..

فهي كيفية إدارة شؤون الناس في السلم والحرب، والأخذ والعطاء، والشدة والرخاء، والاجتماع والافتراق، وغير ذلك.

وإذا علمنا أن الناس كما يختلفون في أشكالهم، وألوانهم، ولغاتهم.. كذلك:

يختلفون في أذواقهم، وعقولهم، وعواطفهم.

ويختلفون في إدراكهم، وفهمهم، وتحليلهم.

ويختلفون في خلفياتهم، ونظراتهم، ومعطياتهم.

فبين شباب لا ثقة لهم بفكر الشيوخ.

وبين شيوخ لا ثقة لهم بتجلد الشباب.

ومن هنا تلعب الأهواء، والميول، والاتجاهات.. في هذا المجال أدوارها الفعالة بين حسد، وغبطة، وتنازع على الصعود، وغير ذلك الكثير.. والكثير.. والكثير..

فإذا علمنا ذلك كله نستطيع أن نفتح على أذهاننا نافذة صغيرة أشبه شيء بالكوة إلى ما في عالم السياسة من المجال الواسع، الرحب، العريض.. الكبير.

هذا كله في السياسة المادية البحتة التي يمارسها ساسة الدنيا اليوم غالباً، في الغرب والشرق والوسط.

أما سياسة الإسلام المبتنية على إدارة الناس في كافة شؤونهم المادية والمعنوية، بالإضافة إلى الالتزام الكامل:

بالعدل والإحسان.

والإنسانية والعواطف الخيرة.

والفضيلة والأخلاق الكريمة.

واستقامة الفكر والعقيدة.

في كل الأدوار، وفي كل المستويات.

هذا المزيج من المادة والروح في كل الأبعاد، لكل منهما.

هذا هو من رابع المستحيلات في منطق السياسة المادية.

لكن الإسلام هو الذي جعل من هذا المستحيل ممكناً.

لا ممكناً فحسب.. بل طبقه رسول الله ﷺ وطبقه أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا الأفق الواسع الذي يسمى بـ«سياسة الإسلام» يحتاج البحث الوافي عنه إلى عدة مجلدات ضخام تحتوي على ما يلي:

أولاً: تاريخ رسول الله ﷺ في كل الأبعاد، وتاريخ العترة الطاهرة عليهم السلام من

أهل بيته الذين جعلهم الرسول ﷺ بأمر الله تعالى: **«ساسة العباد، وأركان البلاد»**[1].

ثانياً: تحليل هذا التاريخ العظيم الحافل، ودراسة ظروفه، وخلفياته، ومعطياته، وأبعاده..

ثالثاً: تطبيق واقعنا المعاصر على هذا التاريخ، في المنعطفات والفوارق بين ذلك اليوم.. وهذا اليوم.

رابعاً: ترجيح المتزاحمات بين هذه.. وتلك.

خامساً: استخلاص تجربة عملية عميقة مدروسة من القرآن والحديث والسيرة والتاريخ.

وهذا ما نرجو أن يوفق الله تعالى لإنجازه ثلة من فقهائنا العظام الذين يتميزون بالدقة والتعمق الموضوعي الشامل، وبعدم التحيز عن الحق لهذا وذاك، وهذان ما يؤهلهم لهذا الأمر العظيم والخطير في نفس الوقت.

لكي يعكسوا صورة واضحة حية أصيلة عن سياسة الإسلام وفلسفتها، وآفاقها وواقعها، يترآى من أطرافها الجمال والعظمة والإنسانية، وذلك: لتكون ربطاً لقلوب المؤمنين، وتثبيتاً لأفكارهم في كل مجالات الإسلام، مُرغباً عميقاً لغير المسلمين في الإسلام.. وكما كان ذاك وهذا في بدء الإسلام ومفتتحه، والذي أرعب كل كفار العالم بالفناء الدفعي عن التاريخ نهائياً، والقضاء عليهم فكرياً وعملياً بعمق ثابت حتى قال بعض قساوسة الكفار لبعض علماء المسلمين ما مضمونه:

إن لمعاوية ابن أبي سفيان حقاً كبيراً على الكفار في التاريخ بحيث يجب

---

(١) المقنعة: ص٢٠٥، كتاب الصلاة ب٢٠.

عليهم أن ينصبوا لـه تمثالاً من الذهب في ساحات البلاد الأوروبية، وذلك لأنه أشغل علي بن أبي طالب بالحروب الداخلية، فلم يترك مجالاً لعلي عليه السلام حتى يتفرغ لتعميم الإسلام على العالم، وإلا لما بقي اليوم كافراً واحداً على وجه الأرض[1].

ومثل هذا الأمر يتكفله مثل هؤلاء الفقهاء العظام.

أما كتابنا هذا، فهو أشبه ما يكون بإطلالة على هذا الفضاء الرحب الواسع، وفهرس موجز في هذا المجال.

والله المسؤول أن يوفق المسلمين لفهم سياسة الإسلام بعمق وموضوعية وشمول، وتطبيقها على العالم كله، لينعم المسلمون وغير المسلمين جميعاً بفضل الإسلام وسياسته الحكيمة الرشيدة تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ واتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ...﴾[2].

وقوله عز من قائل في أهل الكتاب:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم...﴾[3].

وما ذلك على الله بعزيز، وهو ولي التوفيق، ونعم الوكيل.

صادق مهدي الحسيني الشيرازي

رجب المرجب ١٣٨٦ للهجرة

---

(١) (شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي) تأليف: محمود أبو رية (نقلاً عن كتاب (الوحي المحمدي) ص٢٣٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٦.

الفصل الأوّل

تمهيد

إن السياسة التي تفسر بـ: «تنظيم أمور دنيا الناس على أحسن وأرفه وجه». الذي هو مضمون قوله تعالى في وصف الرسول الأعظمﷺ:

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

هي من صميم الإسلام، ومن أسس الدين، التي يجب على كلّ فرد من المسلمين السعي لتطبيقها على العالم كلّه، والجهاد ـ بمختلف الوسائل والسبل المشروعة ـ من أجل تثبيتها، تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾[2].

ونظرة باحثة دقيقة على التاريخ الإسلامي المشرق الطويل عبر القرون المتمادية ـ خصوصاً، تاريخ رسول الله وتاريخ وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأولاده الأئمة الطاهرينعليهم السلام ـ تعطينا فكرة وافية عن مكان السياسة الصحيحة في الإسلام.

ومطالعة القرآن الحكيم وكتب التفسير والحديث توقفنا على الرصيد الفكري السياسي الضخم الذي تركه الإسلام للمسلمين، وللعالم أجمع.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

نصوص الشريعة:

وفي الشريعة الإسلامية نصوص كثيرة.. وكثيرة جداً، تدل على أن السياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام، بل الأصح في التعبير أن نقول: الإسلام والسياسة لفظان لمفهوم واحد، فالسياسة هي الإسلام، والإسلام هو السياسة بمعناها الصحيح العام.

وهنا نذكر بعضاً من تلك النصوص غير ما ذكرناه في أول الكتاب، أو ما يأتي في مطاوي الفصول المختلفة أيضاً:

جاء في الحديث الشريف في وصف الأئمة عليهم السلام بأنهم: «**ساسة العباد**»[١].

وجاء في حديث شريف آخر:

«**الإمام عالم لا يجهل... مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة**»[٢].

وفي الحديث الشريف أيضاً:

«**ثم فوض إلى النبي صلى الله عليه وآله أمر الدين والأمة ليسوس عباده**»[٣].

وفي حديث آخر:

«**كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم**»[٤].

وفي كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي رضوان الله عليه:

«**فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة**»[٥].

وقال عليه السلام في الكتاب نفسه في محل آخر:

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٩٥ـ٩٦ ب٤٦ باب زيارة جامعة لساير المشاهد ح١.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص٦٧٩ ح١ المجلس السابع والتسعون.

(٣) الكافي للكليني، ج١ ص٢٦٦ ح٤ باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة.

(٤) مجمع البحرين: ج٤ ص٧٨ (مادّة سوس).

(٥) بحار الأنوار: ج٧٤ ص٢٥٤ ب١٠ ح١.

«فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك... واجمعهم علماً وسياسة»[١].

وقال عليه السلام أيضاً ـ كما في الغرر ـ : **«خير السياسات العدل»**[٢].

وقال عليه السلام في كتاب لـه إلى معاوية ابن أبي سفيان:

«ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمّة؟»[٣].

وهذا يدلّ على أنّ ساسة الرعية ليس بمعاوية ولا أسلافه وأضرابه، بل هـو النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ونوابهما.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير في خطبته العظيمة:

«يا أيها الناس، والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلا وقد نهيتكم عنه»[٤].

وروي في الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنّة»[٥].

وروي أيضاً عن سماعة عن أبـي الحسن موسـى عليه السلام فـي حـديث، قـال: فقلت: أصلحك الله أتى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بما يكتفون به في عهده؟

قال عليه السلام:

«نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة».

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٤ ص٢٤٠ ب١٠ ح١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للتميمي: ص٣٣٩، ح٧٧٣٨ الحكومة العادلة.

(٣) نهج البلاغة، الرسائل: ١٠ ومن كتاب لـه عليه السلام إليه أيضاً.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤٥ ب١٢ ح٢.

(٥) الكافي: ج١ ص٥٩ باب الرد إلى الكتاب والسنة ح٤.

فقلت: فضاع من ذلك شيء؟

فقال عليه السلام:

«لا هو عند أهله»[١].

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام قال:

«إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد إلا بيّنه للناس، حتى لايستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن إلا وقد أنزل الله فيه»[٢].

ومن الواضح أنّ المراد بذلك نزوله في عمومات القرآن، لا في خصوصاته.

وروي أيضاً عن الرضا عليه السلام قال:

«وما ترك ـ أي الرسول صلى الله عليه وآله ـ شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بيّنه، فمن زعم أنّ الله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله عزّ وجلّ»[٣].

وأخرج العلامة المجلسي رحمه الله في (بحار الأنوار) عن (بصائر الدرجات)، بسنده عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إن الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه»[٤].

وهناك مئات النصوص بهذه المضامين تدل على أنّ السياسة من الإسلام، بل من صميمه وواقعه، بالعمومات أو الخصوصات، زخرت بها كتب الحديث في موارد مختلفة.

---

(١) الكافي: ج١ ص٥٧ باب البدع والرأي والمقاييس ح١٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٩ ص٨١ ب٨ ح٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٣٥٣ ب١٠ ح٤٦.

(٤) بحار الأنوار: ج٨٩ ص٨٤ باب٨ ح١٦.

تباين السياستين:

غير أنّ السياسة الإسلامية تباين السياسة العالمية ـ اليوم ـ وتختلف عنها في أصولها وفروعها، فالسياسة الإسلامية هي غير السياسة المعاصرة التي تمارسها الدول تماماً، وذلك:

لأن الإسلام يتبع في سياسته مزيجاً من: الإدارة والعدل، والحب الشامل، وحفظ كرامة الإنسان، وحقن الدماء. فهو يسعى في أن لا تراق قطرة دم بغير حق، أو تهان كرامة شخص واحد جوراً، أو يظلم إنسان واحد.. بل وحتى حيوان[١] واحد.

أما السياسة ـ بمفهومها المعاصر ـ فهي القدرة على إدارة دفّة الحكم وتسيير الناس والأخذ بالزمام مهما كلّفت هذه الأمور من: إهدار كرامات.. وإراقة دماء.. وكبت حريات.. وابتزاز أموال.. وظلم وإجحاف.. ونحو ذلك، فمادام الحكم للحاكم والسلطة خاضعة لأمره ونهيه فهي الغاية المطلوبة لتبرر الواسطة، وإن كانت الواسطة إراقة دماء الألوف.. بل وحتى الملايين جوراً وظلماً.. هذا هو منطق السياسة التي تمارس في بلاد العالم اليوم.

ولكي يظهر لنا مفهوم السياسة في الإسلام ومفهوم السياسة المعاصرة في أغلب البلاد في العالم، ولكي ينجلي لنا البون الشاسع بين السياستين، نضع أمامنا أمثلة وممارسات واقعية لكل واحد من السياستين.

---

(١) ورد عن رسول الله ﷺ ـ لما أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها ـ قوله: أين صاحبها؟ مروه فليستعدّ للخصومة. وقوله ﷺ للدابّة على صاحبها ست خصال: يعلفها إذا نزل. ويعرض عليها الماء إذا مرّ به ولا يضربها إلا على حق، ولا يحملها ما لا تطيق. ولا يكلفها من السير إلا طاقتها. ولا يقف عليها فواقاً. مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٠٠ ح١ باب كراهة كون الإبل محمولة معقولة. وص٢٥٨ ح١ باب حقوق الدابّة الواجبة والمندوبة، إلى غير ذلك من الروايات تجدها في مكانها.

أولاً: من السياسة الإسلامية

فالسياسة الإسلامية كما أسلفنا بنيت على أسس العدل الكامل.. والكرامة الإنسانية.. والعفو بجنب الصمود والقوة:

الرئيس لا يقتل قاتله:

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حينما كان على عرش الرئاسة الكبرى للدولة الإسلامية العظمى التي كانت قد ضربت بأطرافها الممتدة على أعظم رقعة من المعمورة، والتي كانت تحسب لها الحساب كل الدول في العالم آنذاك، تراه يعرف قاتله، ويذكر له أنه هو القاتل له، لكنه لا يمد إليه يداً بعنف أبداً، لفلسفة العدل، وهي مادام أنه لم يمارس جناية فلا يستحق القتل.

انظر النص التالي:

كان علي عليه السلام يقول لعبد الرحمن بن ملجم: أنت قاتلي وكان يكرر عليه هذا البيت:

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

فيقول له ابن ملجم: يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك مني فاقتلني.

فيقول له: إنّه لا يحلّ ذلك أن أقتل رجلاً قبل أن يفعل بي شيئاً.

فسمعت الشيعة ذلك، فوثب مالك الأشتر، والحارث بن الأعور، وغيرهما من الشيعة، فجردوا سيوفهم وقالوا: يا أمير المؤمنين من هذا... الذي تخاطبه بمثل هذا الخطاب مراراً وأنت إمامنا ولينا، وابن عم نبينا، فمرنا بقتله؟.

فقال لهم: اغمدوا سيوفكم، وبارك الله فيكم، ولا تشقوا عصا هذه الأمة... أترون أني أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً[1]؟

---

(١) كتاب معادن الحكمة للكاشاني: ج١ ص٢٤٤، وراجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩ ص١١٨.

هذه فلسفة العدل والإنسانية..

إنها فلسفة الحكم والسياسة الإسلامية عند رئيس الدولة الإسلامية الإمام أمير المؤمنينعليه السلام.

«أترون أني أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً».

فإن منطق الإسلام ليس فيه قانون: «الغاية تبرر الوسيلة» مطلقاً..

بل فيه قانون بالعكس تماماً: «لا يطاع الله من حيث يعصى».

يعني: السياسة الإسلامية التي هي طاعة لله تعالى، لا يجوز تحصيلها من طرق معصية الله، وإراقة الدماء البريئة، وهدر الكرامات..

وأما مسألة علم الإمامعليه السلام فهذا بحث طويل، وله مجال آخر.

وإجماله:

هو أن علم الإمام الغيبي الإلهي الماورائي لا يؤثّر في سلوكه وعمله الخارجي ـ عادة ـ وإلا لم يتم الامتحان الذي لأجله خلق الله تعالى الخلق، ولم تتم الحجّة التي لأجلها جعل الله تعالى الإمام.

فالسلوك الخارجي للإمامعليه السلام ـ في نفسه ومع المجتمع ـ يكون عادياً كسائر الناس، كما أنّ طبائعه البشرية إنما هي كسائر الناس عادة.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1].

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾[2].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[3].

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧.

(٣) سورة يونس: الآية ١٤.

تماماً مثل سلوك الله تعالى مع البشر، وهو القادر على كل شيء، والعالم بكل شيء.

فلو أراد الله سبحانه أن يدفع الظلم عن المظلوم، ويأخذ بيد الظالم حتى لايظلم فكيف يتم امتحان الناس؟

وكذلك تكون تصرفات النبي والإمام الذين ـ بقدرة الله تعالى وتعليم الله لهما ـ علما الغيب.

الرئيس الأعلى يدع المهدد له:

وقد ذكر في الأحاديث الشريفة: أنّ أمير المؤمنين عليّاًعليه السلام هدده بعض الخوارج بالقتل فتركه وشأنه.

فقد أورد صاحبُ المستدرك عن دعائم الإسلام:

أنّ أمير المؤمنينعليه السلام أُتيَ برجل سُمِعَ وهو يتواعده بالقتل، فقالعليه السلام:

«دعوه، فإن قتلني فالحكم فيه لولي الدم»[1].

أي عفو عظيم هذا؟

أية سياسة إنسانية هذه؟

الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية ـ وبيده كل حول وطول ـ يهدده بالقتل شخص عادي لم يستحق أن يسجل اسمه في التاريخ.

ثم لا يفعل به شيئاً؟

يؤتى به، وهو بين أمره ونهيه ثم يقول: دعوه!

وكم فرق بين مثل أمير المؤمنينعليه السلام وبين قادة الدنيا الآخرين؟

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢٥٩ ب٥٥ ح٥.

فقد نقلوا أن أحد الحكام تلقى تهديداً بالقتل، فاعتقل في ساعته من شارع واحد مائتي شخص، ثم توالت الاعتقالات على إثر ذلك حتى نقل أنها بلغت في تلك القصة خمسة آلاف شخص، ثم أعدم جماعة منهم، وأودع السجن آخرين، وتولى تعذيب فئة ثالثة منهم، وبالتالي أطلق سراح عدد منهم..

فكم من فرق بين هاتين السياستين: سياسة الإسلام، وسياسة الشيطان؟

النبي لا يقتل سلفاً رؤوس العناد

وقد تحدثت الأخبار والأحاديث الشريفة: أنّ رسول الله ﷺ كان أحياناً يخبر عن شخص بأنّه سيحدث فتنة بين المسلمين أو سيبدع ديناً باطلاً، ثم لايعمد إلى قتله، ولا يجيز للمسلمين أن يقتلوه.

وهذا يدخل في سياسة العفو العظيمة لرسول الله ﷺ وبعد مداه، مما أتاح له تأسيس الحكومة الإسلامية في وسط عظيم من عواطف الناس.

فلو كان النبي ﷺ يقتل هذا ويقتل ذاك، ولهذا السبب وذاك، لما قام الإسلام، ولا استحكمت أصوله.

انظر إلى النصوص التالية:

أوّلاً: روى المفيد رحمه الله في (الإرشاد) قال: «ولما قسّم رسول الله ﷺ غنائم حنين، أقبل رجل طوال أدم، أجنأ، بين عينيه أثر السجود، فسلّم ولم يخصّ النبي ﷺ ثم قال: قد رأيناك وما صنعت في هذه الغنائم.

قال ﷺ: وكيف رأيت؟

قال: لم أرك عدلت.

فغضب رسول الله ﷺ وقال: ويلك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟

فقال المسلمون: ألا نقتله؟

فقال ﷺ: دعوه فإنّه سيكون لـه أتباع يمرقون من الدين كما يمـرق الـسهم من الرمية، يقتلهم الله على يد أحب الخلق إليه من بعدي.

فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيمن قتل يـوم النهـروان[١] مـن الخوارج»[٢].

ثانياً: وفي (إعلام الورى) قال:

روى الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري قال:

بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم إذا أتاه ذو الخويصرة ـ رجـل مـن بني تميم ـ فقال: يا رسول الله اعدل.

فقال رسول الله ﷺ: ويلك من يعدل إن أنا لم أعدل، وقد خبت أو خسرت إن أنا لم أعدل.

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه.

فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن لـه أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مـع صـلاته وصيامه مع صيامه، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شـيء، ثـم ينظـر إلـى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه ـ وهو قدحه ـ فلا يوجـد فيـه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفـرث والـدم، آيـتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجـون على خير فرقة من الناس.

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشـهد أنّ علـي

---

(١) يوم النهروان: معركة دارت بين خليفة المسلمين الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والخوارج، والنهروان موضع في العراق بين بغداد وواسط.

(٢) الإرشاد: ج١ ص١٤٨ـ١٤٩.

بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت[١].

وهكذا كان النبي ﷺ لا يقدم على قتل كل مفسد أو ضال أو مبتدع قبل أن يتهيأ في الناس جو تحمل قتله، بظهور فساده وضلاله وبدعته.. لكي لا يسبب قتله فساداً أكبر من وجوده.

وهذه هي الحكمة الإلهية في أن تخرج ضمائر الناس، فيتاح للجميع الامتحان.

ولذلك أمثلة عديدة في سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام يجدها المتتبع لهما، وسنذكر بعضاً منها في طي المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

عفوه عمّن فر من الزحف

يعدّ الفرار من الزحف من المعاصي الكبيرة، وقد وعد الله تعالى عليها النار، قال سبحانه:

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٢].

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ص١٢١ الركن الأوّل ب١، المدونة الكبرى للإمام مالك: ج٢ ص٤٨ في الخوارج، فتح الباري للعسقلاني: ج١٢ ص٢٦٢، الديباج على صحيح مسلم للسيوطي: ج٣ ص١٦٠، السنن الكبرى للنسائي: ج٥ ص١٥٩ـ١٦٠ باب ذكر ما خصّ به علي من قتال المارقين وكذا ذكره في خصائص أمير المؤمنين: ص١٣٨ باب ما خصّ به علي من قتال المارقين، دلائل النبوّة للإصفهاني: ص١١٦، كلّهم ذكروا الحديث نصّاً أو اقتضاباً وفيه: «**علي خير فرقة من الناس**».

واليك شرح بعض الكلمات الغامضة: (يمرقون من الدين): يخرجون منه، (الرصاف): عقب يلوى على مدخل النصل، (نضيه): هو السهم قبل أن ينحت، (القذذ): واحدتها قذّة: ريش السهم، (تدردر): أصله تتدردر: أي، تترجرج، تجيء وتذهب.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٦.

ومن يرتكب هذه المعصية الكبيرة يستحق التعزير شرعاً، لأنه لكل معصية حدّ، ولكن مع ذلك عفا رسول الله ﷺ عن المسلمين الذين فروا من الزحف يوم أحد وتركوا رسول الله ﷺ وحيداً في نفر قليل من أصحابه المخلصين. وهذا أصل عظيم من أصول السماحة والعفو في الإسلام، يستبقي به المسلمون في الإسلام ويجلب به الآخرون إلى الإسلام.

وقد أنزل الله تعالى في القرآن الحكيم العفو عنهم في آيتين من سورة آل عمران:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[2].

وقد ورد في الأحاديث الشريفة إن الفارين من الزحف عادوا إلى رسول الله ﷺ واعتذروا منه لهذه الجريمة التي عرضّت رسول الله ﷺ لشج جبهته الكريمة وشق شفته، كما في عديد من الأخبار والأحاديث، ولقتل حمزة سيد الشهداء عم رسول الله ﷺ وحنظلة غسيل الملائكة والعشرات من المؤمنين المجاهدين. وهذه هي سياسة العفو العظيمة في الإسلام.

وثمن لروعة النساء

وإليك مثلاً آخر لسياسة العدل العظيمة في الإسلام:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد مع جماعة من المسلمين في مهمة الدعوة إلى الإسلام إلى بني جذيمة ـ وهم من بني المصطلق كان قد سبق أن أسلموا ـ ولم يأمرهم بقتال[١]، فأوقع بهم خالد، وقتل منهم جماعة لترة كانت بينه وبينهم، فبلغ الخبر رسول الله ﷺ فبكى النبي ﷺ وقام وصعد المنبر ورفع يديه إلى السماء وقال ثلاثا:

(اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد).

(اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد).

(اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد).

ثم دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فدفع إليه سفطاً (صندوقاً) من الذهب، وأمره أن يذهب إلى بني جذيمة ويدفع إليهم ديات الرقاب وما ذهب من أموالهم.

فجاء علي عليه السلام إليهم وقسم المال كما يلي:

١. دفع أولاً دية المقتولين ظلماً إلى ورثتهم، عن كل واحد منهم ألف دينار من الذهب[٢].
٢. ودفع إليهم ثانياً ثمن كل جنين غرة (يعني، عبداً أو أمة).
٣. ودفع إليهم ثالثاً ثمن ما فقدوه من الميالغ والعُقل[٣].
٤. ودفع إليهم رابعاً ثمن ما ربما فقدوه مما لم يعلموا بفقده، مما يمكن أن أخذه خالد أو من كان معه أو مما تلف أثناء القتال.
٥. ودفع إليهم خامساً ثمناً لروعة نسائهم وفزع صبيانهم.

---

(١) الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٧٣.

(٢) وهو ما يعادل ثلاثة آلاف ومائتين وخمسين غراماً تقريباً من الذهب الخالص.

(٣) الميالغ: الأواني المعدّة لسقي الكلاب أو إطعامهم، والعُقل: هي الحبال التي تربط بها أيدي وأرجل الإبل.

٦. ودفع إليهم سادساً مقابل كل مال فقدوه مثله من المال.

٧. ودفع إليهم سابعاً بقية المال ليرضوا عن رسول الله ﷺ.

٨. ودفع إليهم ثامناً ما يفرح به عيالهم وخدمهم بقدر ما حزنوا.

ثم رجع علي عليه السلام إلى النبي ﷺ وأخبره بما فعل من توزيع الذهب عليهم بثمانية أقسام، فقال: يا رسول الله ﷺ عمدت فأعطيت لكل دم دية، ولكل جنين غرة، ولكل مال مالا، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون وما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله، فتهلل وجه النبي ﷺ وضحك حتى بدت نواجذه وقال:

يا علي أعطيتهم ليرضوا عني رضي الله عنك، ـ ثم قال ﷺ ـ: **يا علي إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي**[1].

هذه هي فلسفة العدل والإحسان الذَين يأمر بهما القرآن الحكيم:

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[2].

وتلك هي الكرامة الإنسانية المترابطة بين قول الله تعالى في القرآن حيث يقول: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾**[3] وبين ما يفرضه حكم الله وتشريع السماء حداً لذلك.

دية للقتلى، ودية أخرى للجنين، وثمن لما فقد، وثمن آخر لما ربما كان فقد مما لا يعلمونه،وثمن لروعة النساء وفزع الصبيان، وثمن ليرضوا عن

---

(١) انظر أمالي الصدوق: ص٢٣٧ رقم٨ مج٣٢، وإعلام الورى للطبرسي: ج١ ص٢٢٧، والطبري في تاريخه: ج٢ ص٣٤١.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

رسول الله ﷺ.

وماذا فعل النبي ﷺ من تقصير حتى يرضيهم؟

لا شيء أبداً، حاشاه.

كلما كان من تقصير فهو من خالد بن الوليد.

لكنه ﷺ نبي الرحمة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

فباعتبار أنّ خالداً مرسل من عند النبي ﷺ يرى نبي الرحمة نفسه مسؤولاً عن ذلك.

هنا يطرح سؤال: إذا كان خالد بن الوليد قد قتل بني جذيمة عملاً لأحنَّة كانت في الجاهلية بينه وبينهم، فلماذا لم يقتص منه رسول الله ﷺ لهم، ويقتله بهم قصاصاً مع أنّ الدية تلو القصاص في قتل العمد؟

والجواب عن ذلك بوجوه عديدة ذكرها بعض فقهاء الإسلام، نذكر عدداً منها:

١. إنّه يشترط في القصاص أن يكون بطلب من ولي الدم، وحيث إنّ بني جذيمة ـ وهم أولياء الدم ـ لم يطلبوا القصاص انتقل الحكم إلى الديّة.

٢. إنّ رسول الله ﷺ بما أنه هو الولي للجميع بالولاية المطلقة حتى لأولياء الدم وذلك بحكم القرآن الحكيم:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2]

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦.

فكان للنبي ﷺ أن يعفو عن القصاص إلى الدية.

٣. إنّ تزاحم المهم والأهم اقتضى ذلك بتقديم ترك القصاص على ما ربما كان يترتب عليه القصاص في تلك الظروف الخاصّة بالرسالة وبالرسول ﷺ حيث كان المسلمون على أبواب الفتح الإسلامي والنصر الواسع ودخول الناس في دين الله أفواجاً بعد فتح مكّة مباشرة، فمثل هذا القصاص في تلك الظروف ربما كان يؤدي إلى رعب المسلمين وحدوث البلبلة فيهم مما كان أضر على حاضر الإسلام ومستقبله.

ولذلك نظائر في تاريخ الرسول ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام مما سنذكر طرفاً منه في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى، والله العالم.

دية الحمل بترويع الحامل

نقل صاحبا الوسائل والمستدرك عن الشيوخ الكليني والطوسي والمفيد قدس سرهم في الكافي[1] والتهذيب والإرشاد، عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«كانت امرأة تؤتى[2] فبلغ ذلك عمر فبعث إليها، فروّعها وأمر أن يجاء بها إليه، ففزعت المرأة فأخذها الطلق فذهبت إلى بعض الدور فولدت غلاماً فاستهل الغلام ثم مات. فدخل عليه[3] من روعة المرأة وموت الغلام ما شاء الله.

فقال لـه بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين ما عليك من هذا شيء.

وقال بعضهم: وما هذا ؟

قال: سلوا أبا الحسن عليه السلام.

---

(١) الكافي: ج٧ ص٣٧٤ ح١١.

(٢) أي يُزنى بها.

(٣) أي: على عمر، يعني حزن.

فقال لهم أبو الحسن عليه السلام: لئن كنتم اجتهدتم ما أصبتم، ولئن كنتم برأيكم قلتم لقد أخطأتم.

ثم قال عليه السلام: عليك دية الصبي.[1]

فقال عمر لعلي عليه السلام: أنت نصحتني من بينهم»[2].

الدية للموت عطشاً

ونقل المستدرك عن (الدعائم) عن علي عليه السلام:

«إنه قضى في رجل استسقى قوماً فلم يسقوه وتركوه حتى مات عطشاً بينهم وهم يجدون الماء، فضمّنهم ديته»[3].

والطبيب ضامن إن أخطأ

وقد روى الوسائل والمستدرك أحاديث عديدة على أنّ الطبيب أو البيطار إن أخطأ في تشخيص الداء، أو وصف الدواء، فمات المريض أو الحيوان كان ضامناً لدية المريض والحيوان.

نقل صاحب الوسائل عن الشيخين الكليني والطوسي قدس سرهما بأسانيدهما عن الإمام الصادق عليه السلام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من تطبب أو تبيطر فليأخذ البراءة من وليه، وإلا فهو له ضامن»[4].

ونقل أيضاً عن الشيخ الطوسي رحمه الله بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«إنّ علياً ضَمَنَ خَتّاناً قطع حشفة غلام»[5].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٩ ص٢٦٧ـ٢٦٨ ب٣٠ ح٣٥٥٩٣، ومستدرك الوسائل: ج١٨ ص٣٢٧ ب٢٣ ح٢٢٨٦٣.

(٢) راجع الإرشاد: ج١ ص٢٠٥، فصل في ذكر ما جاء من قضاياه عليه السلام في إمارة عمر بن الخطاب.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٣٣٢ ب٣٤ ح٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٢٦٠ ب٢٤ ح١.

(٥) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٢٦١ ب٢٤ ح٢.

ونقل المستدرك عن كتاب (الجعفريات) بسنده عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«إنّ علياً ضَمَّنَ ختّانة ختنت جارية فنزفت الدم فماتت، فقال لها علي عليه السلام: ويلاً لأمك أفلا أبقيت، فضمنها علي عليه السلام دية الجارية»[1].

فهل يوجد في تاريخ العالم نظير لذلك، إلا في الإسلام؟

وهل يتحمل قادة الدول مثل ما يتحمل القادة في الإسلام؟

فدونك التاريخ، قَلِّبْهُ ظهراً لبطن، لكي تتأكد من الجواب:

لا.. ولا..

والأمثلة والنظراء لذلك كثيرة.. وكثيرة في تاريخ الإسلام، وليس هذا البحث المقتضب مسرحاً لتفاصيل بيان الإنسانية التي تتجلى بوضوح في مختلف مجالات السياسة الإسلامية.

ثانياً: ومن السياسة المعاصرة

بعدما لاحظت هذه النقاط في تاريخ الإسلام.. انظر نقاطاً من تاريخ الممارسة للسياسة المعاصرة غير الإسلامية لترى الفرق الشاسع بين السياستين، وذلك بالإشارة الإجمالية ـ دون التفصيل ـ إلى ذلك:

١. البريطانيون قتلوا في الهند ـ في قصة حرب الأفيون ـ حوالي عشرين مليون إنسان[2].

٢. البريطانيون قتلوا في الهند أيضاً ـ أيام المطالبة بالحرية والخروج عن نير الاستعمار ـ ثمانمائة ألف إنسان في صورة مجاعة اصطناعية[3].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٣٢٥ ب١٩ ح٣.

(٢) راجع ما ذكره جواهر لال نهرو في كتابه (لمحات من تاريخ العالم).

(٣) غاندي في كتابه (هذا مذهبي).

٣. من الجنايات العظيمة التي ارتكبها لينين[١] وحده من بين الشيوعية الأرقام التالية:

أ. لينين قائدة المسيرة الشيوعية السياسية أراد تطبيق نظام المزارع الجماعية، فلم يخضع له الفلاحون والعمال، فأحدث إرهاباً عاماً في البلاد ومجاعة مصطنعة غريبة عام (١٩٢١ـ١٩٢٢م) والتي راح ضحيتها أكثر من خمسة عشر مليون إنسان[٢].

ب. عاود لينين الكرة على العمال والفلاحين في إرغام الشعب على النظام الشيوعي عام (١٩٢٨ـ١٩٣٠م) فكافح الشعب وكانت النتيجة ما يلي:

عملت منظمة (الجيبو) الإرهابية الشيوعية اللينينية في الناس ضرباً وقتلاً ونفياً، وامتلأت السجون حتى بلغت الضحايا باعتراف التقارير الرسمية للحزب الشيوعي مائة ألف قتيل.

ج. وبعد مضي سنتين، وفي عام (١٩٣٢ ـ ١٩٣٣م) بالضبط شن لينين نفس الغارة على الشعب المسكين لتطبيق القانون الزراعي مهما كلف الأمر، وكانت النهاية كما يلي: ضحايا تقدر بخمسة ملايين إنسان باعتراف الدوائر الرسمية الشيوعية[٣].

وعند ذلك وضع لينين أسس (الكلوخوزات) أي: نظام المزارع الجماعية الاشتراكية[٤].

---

(١) فلاديير لينين (١٨٧٠ـ١٩٢٤م) زعيم الثورة الروسية ومؤسّس الحزب الشيوعي في روسيا السوفياتية، حكم بالظلم والجور والاستبداد.

(٢) الحزب الشيوعي في الميزان: ص٤ ـ ١٩.

(٣) الحزب الشيوعي في الميزان: ص٤ ـ ١٩.

(٤) الحزب الشيوعي في الميزان: ص٤ ـ ١٩.

وبعد هذه القسوة كلها يقف لينين ليعلن الدكتاتورية ويقيمها بكل وقاحة فيقول: من لا يعترف بضرورة الدكتاتورية لكل طبقة ثورية لتأمين نجاحها لايعرف شيئاً من تاريخ الثورة أو لا يريد أن يعرف شيئاً في هذا الحقل[1].

٤. في الحرب العالمية الثانية راح ضحية الحكم والسيطرة فيها قرابة سبعين مليون إنسان بين قتيل وجريح ومعدوم ومعاق.
٥. الاستعمار الفرنسي قتل في الجزائر ـ في حرب التحرير ـ أكثر من مليون من البشر.
٦. في الحرب الفيتنامية قتل الأمريكيون من قيادة واحدة لـ (جياب) قرابة نصف مليون إنسان.

وعلى هذا فقس ما سواها.

الفرق الشاسع

أنظر الفرق الشاسع بين (السياسة الإسلامية) وبين (السياسة غير الإسلامية)؟ كيف أن الإسلام في سياسته العملية لا يفوته ذعر امرأة، وهلع صبي، وعقال بعير، وميلغة كلب..

ولا يقتل الرئيس الأعلى قاتله قبل أن يظهر من القاتل ما يوجب القصاص.

هذا في الإسلام، وفي سياسته الإنسانية.

ورأيت كيف أن السياسة غير الإسلامية تستهين بالإنسان، والكرامة، والملايين، الملايين من البشر.

---

(١) الحزب الشيوعي في الميزان: ص٤ ـ ١٩.

الفصل الثاني

السياسة الحكيمة لرسول الله

في هذا الكتاب نذكر مقتطفات موجزة عن السياسة الحكيمة لرسول الله ﷺ ولأمير المؤمنين عليه السلام، التي هي خير مرآة لسياسة الإسلام، ولمعاً سريعة عن الخطوط السياسية في الإسلام، في عامة المجالات الحيوية والإنسانية:

في المجال الاقتصادي.

والمجال الصحي.

والمجال الثقافي.

والحريات العادلة.

ومكافحة الجرائم.

والضمان الاجتماعي الفريد.

والعمران والزراعة.

والعلاقات الدولية.

وتكثير النفوس.

والسلام والحرب.

وفي مجال السياسة الخارجية.

والحدود والجمارك.

والجنسية والجواز والإقامة.

والحكومة العليا.

ليظهر جلياً:

إن السياسة هي من واقع الإسلام.

وإن السياسة غير الإسلامية تأخرت عن السياسة الإسلامية تأخر الراجل الأقطع عن الصواريخ والأقمار.

قال الله تعالى: **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾**[1].

لقد كان رسول الله ﷺ سيداً لساسة العالم، وأكبر سياسي محنك، فهو تلميذ الله تعالى، وأستاذ جبرئيل، وسيد الأنبياء عليهم السلام ومعلم البشرية أجمعين.

وسياسته هي التي حيرت العقول، وأشخصت أبصار العالمين..

وبهذه السياسة الحكيمة استطاع رسول الله ﷺ أن يجمع حول الإسلام أكبر عدد ممكن من البشر، في مدّة قصيرة، أدهشت التاريخ، وأنست الأولين والآخرين، وأخضعت حكماء العالم لها إجلالاً وتقديراً.. مما لا يوجد في تاريخ العالم الطويل مثيل ولا نظير لها.

وهنا نسجّل بعض النقاط منها كنماذج، لعل الله تعالى يوفق المسلمين في هذا العصر لانتهاجها، فيستعيدوا بلادهم المغتصبة، وحقوقهم المهدورة، وكرامتهم المهتوكة.

وليسيّروا العالم إلى الأمام، كما فعل رسول الله ﷺ في بدء الإسلام، وليشجعوا الأديان وغيرهم على اعتناق الإسلام بلهفةٍ ورغبة وشوق.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

سياسة الاستقامة والصمود

أعلن النبي ﷺ عن هذا الصمود العظيم في بدء دعوته عندما بعث المشركون عمّه أبا طالب ﵇ إليه يستميلونه ويطلبون منه التراجع عن ذلك.. فقال ﷺ:

«يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت»[1].

ثم تابع ﷺ هذا الصمود الجبار بعمله في مختلف المجالات:

فأرادوا قتله عدة مرات، فصمد، قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[2].

وقالوا: تركه ربه وقلاه، فصمد حتى أنزل الله تعالى فيه: **﴿وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[3].**

واستهزؤوا به، فصمد حتى أنزل الله تعالى عليه:

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[4].

ونسبوه إلى الجنون، فصمد حتى أنزل الله تعالى فيه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[5].

ونسبوه إلى الشعر، فصمد حتى أنزل الله تعالى فيه:

---

(١) راجع تفسير القمي: ج٢ ص٢٢٨ تفسير سورة ص، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٤ ص٥٤ ف١.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(٣) سورة الضحى: الآيات ١ـ٣.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٥.

(٥) سورة القلم: الآية ١ و٢.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[١].

ونسبوه إلى الكذب، فصمد فأنزل الله عليه:

﴿يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢].

ونسبوه إلى الكهانة، فصمد فأنزل الله سبحانه فيه قرآناً: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾[٣].

ومكروا به، فصمد وأنزل الله عليه:

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٤].

وقالوا أساطير الأولين، فصمد وأنزل عز من قائل في ذلك: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٥].

وكذبه المنافقون، فصمد فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٦].

وحادوه وشاكسوه، فصمد حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾[٧].

وشجوا جبهته الكريمة، فصمد حتى أنزل الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٨].

ورموه بالحراب، فصمد حتى أنزل الله عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ

---

(١) سورة يس: الآية ٦٩.

(٢) سورة يس: الآيات ١ـ٣.

(٣) سورة الطور: الآية ٢٩.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٦.

(٦) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٧) سورة المجادلة: الآية ٢٠.

(٨) سورة التوبة: الآية ٦١.

﴿وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[١].

كله صمود..

وصمود..

سياسة الشجاعة

وضرب الرسول الأعظمﷺ المثل الأعلى في سياسته الشجاعة التي لاتعرف الجبن والتقاعس.

فهذا أمير المؤمنين عليعليه السلام وهو الشجاع الذي لم، ولا، ولن يشق له غبار، الذي قال:

«والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها»[٢].

يقول: «كنا إذا اشتد البأس وحمي الوطيس، اتقينا برسول اللهﷺ ولذنا به»[٣].

وفي رواية أخرى عنهعليه السلام:

«كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول اللهﷺ فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه»[٤].

وعنهعليه السلام أيضاً:

«لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبيﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»[٥].

والنبيﷺ في معركة حنين فر عنه معظم أصحابه، وجعل المشركون

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ ومن كتاب لهعليه السلام إلى عامله عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله على البصرة.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٣ ص٢٧٩ القول في إسلام أبي بكر وعلي وخصائص كل منهما.

(٤) نهج البلاغة، غريب كلامه: ٩.

(٥) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٢ ب٩ في شجاعته.

يقتربون من رسول الله ﷺ يريدون الوصول إليه وقتله، وكان يدافع عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذلك الموقف الرهيب..

في مثل هذا المأزق الذي انهزم فيه الشجعان خاض النبي ﷺ الساحة بشجاعة فائقة وهو يقول:

«أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب»[١].

وقد أنزل الله تعالى في ذلك آيات عديدة من القرآن الكريم، منها قوله سبحانه:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

والنبي ﷺ هو الذي قال في شجاعته عمران بن حصين كلمته المعروفة:

«ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب»[٣].

وقد كان ﷺ هو المقدم في كل فزع ونائبة ورعب.

فكان ذلك يبعث الشجاعة في المسلمين، فإن إقدام القائد الشجاع يجعل القاعدة شجاعة ذات إقدام وصمود.

روى الشيخ الطبرسي في (مكارم الأخلاق) عن أنس بن مالك أنه قال: «كان في المدينة فزع فركب النبي ﷺ فرساً لأبي طلحة فقال ﷺ: ما رأينا من شيء وإن وجدناه لبحراً»[٤].

وفي رواية أخرى عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأحسن

---

(١) المناقب: ج١ ص٢١١ فصل في غزواته ﷺ.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٣.

(٣) عيون الأثر: ج٢ ص٤٢٢ ذكر جمل من أخلاقه.

(٤) مكارم الأخلاق: ص١٨ـ١٩ ب١ ف٢ في شجاعته ﷺ.

الناس، وأجود الناس، قال: قد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت. قال: فتلقاهم رسول الله ﷺ وقد سبقهم وهو يقول: لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف..

قال: فجعل يقول ﷺ للناس: لم تراعوا. وجدناه بحراً أو إنه لبحر»[1].

والذي يستفاد من ذلك: إن رسول الله ﷺ كان دائم الحذر، ودائم الانتباه لكل ما يحدث أو يجري حوله بحيث يكون هو أول من يصل مكان الحادث، ويأتي المسلمون فيصلون بعد رسول الله ﷺ إلى ذلك المكان، وهذه هي السياسة الشجاعة التي قلما يذكر التاريخ له نظراء في القادة والساسة.

وليس على قادة المسلمين ـ من أتباع الرسول ﷺ ـ إلا أن يتّخذوا مثل ذلك شعارهم الذي يعرفون به حتى يكون المسلمون باطمئنان في وصولهم إلى الغاية في مسيرتهم السياسية الطويلة والشائكة.

فالأمم ترمق إلى قادتها، وتتبلور في حياتها السياسية بأسلوب قادتها، فالقادة الشجعان تربي الأمة الشجاعة، والعكس بالعكس.

سياسة العفو العظيم

ما أعظم عفو رسول الله ﷺ عن الأعداء؟

فقد مثل النبي ﷺ عفو الإسلام خير تمثيل. وأفهم الجميع أن الإسلام جاء يريد الخير للجميع، لأوليائه وأعدائه جميعاً، وليس ديناً يحقد على أحد، وليست بعض ممارساته الصارمة نابعة عن القسوة، أو الحنق، وإنما هي نابعة عن روح تعميم العدالة على الجميع، وإليك أمثلة على ذلك.

---

(١) مكارم الأخلاق: ص١٩ ب١ ف٢ في شجاعته ﷺ. (البحر) له معان، والمناسب منها لما نحن فيه هو: الفرس الواسع الجريء الذي فُسّر به في كتب اللغة. وبذلك فسر هذا الحديث الشريف في صحاح اللغة، راجع مختار الصحاح: (مادّة بحر).

مع غورث بن الحارث

كان النبي ﷺ قد جلس ـ في بعض غزواته ـ في ظل شجرة وحده بعيداً عن أصحابه، بعدما حال السيل بينه ﷺ وبينهم.

فجاءه غورث بن الحارث ووقف على النبي ﷺ مصلتاً سيفه رافعاً يده على النبي ﷺ وصاح به:

من يمنعك مني يا محمد؟

فقال النبي ﷺ: الله.

فسقط السيف من يده، فبدر النبي ﷺ إلى السيف وأخذه ورفعه على غورث قائلاً له:

يا غورث من يمنعك مني الآن؟

فقال: عفوك، وكن خير آخذ.

فتركه النبي ﷺ وعفا عنه.

فجاء إلى قومه وقال لهم: «والله جئتكم من عند خير الناس»[1].

فهل يذكر التاريخ عن العظماء مثل هذه القصة.

عدو في طريق الحرب، مصلتاً سيفه، يريد قتل النبي ﷺ، بشراسة ووقاحة وتسلب قدرته من دون اختياره، فيملك النبي ﷺ السيف.. ثم يعفو عنه؟

إنه عفو الإسلام الذي تجسد في رسول الله ﷺ.

اللهم اهد قومي

اشتد أذى المشركين للرسول ﷺ يوم أحد إذ قتل عمه حمزة، ومثّل بجسده الشريف، وقطع كبده وأصابع يديه ورجليه، وجدع أنفه، وصلموا

---

(١) مسند أحمد، ج٣ ص٣٦٤، مسند جابر بن عبد الله، راجع بحار الأنوار: ج٢٠ ص١٧٥ ب١٥.

أذنيه وفُعل به ما فعل، وقُتِل العشرات من المسلمين..

فتقدم بعض الصحابة إلى النبي ﷺ واقترح عليه أن يدعو على المشركين ليعذبهم الله بعذاب من عنده، كما كان يعذّب الكفّار في الأمم السابقة بدعوة أنبيائهم عليهم..

لكنه النبي ﷺ وسياسة العفو العظيمة، فامتنع من ذلك وقال:

«إني لم أبعث لعاناً، ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[1].

عفوه عن الأعرابي

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ والبُرد على كتفيه ﷺ فجذب الأعرابي أطراف الرداء جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البُرد في صفحة عاتقه وهو يقول بخشونة بالغة:

يا محمد، احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لاتحمل لي من مالك ولا من مال أبيك..

فسكت النبي ﷺ هنيئة ثم قال ﷺ: المال مال الله وأنا عبده..

وقال ﷺ: ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟

قال: لا؟

قال ﷺ: ولم؟

قال: لأنك تعفو، وتصفح، ولا تكافئ بالسيئة السيئة.

---

(١) سنن النبي ﷺ للطباطبائي: ص٤١٣، وراجع أيضاً: المناقب: ج١ ص١٩٢ وفيه دعائه ﷺ بهذا الدعاء الإنساني في معركة أحد، والمناقب: ج١ ص٢١٥ وفيه دعائه ﷺ بالدعاء المذكور عند تعرضه لأشد الأذى من قبل جبابرة قريش أبي جهل وأضرابه، وكذا دعائه ﷺ يوم الفتح.

فضحك النبي ﷺ ثم أمر ﷺ أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر[1].

وبمثل هذا العفو جمع النبي ﷺ الناس حول الإسلام واستقطب مختلف الفئات وأصحاب العديد من الأديان والمبادئ.

فأنتم الطلقاء

ومن عظيم عفوه ﷺ معاملته مع أهل مكة.

أهل الشرك والكفر..

أهل الجحود والعصبية..

أهل الفساد والظلم..

أهل القسوة والغلظة..

الذين قتلوا أصحابه، وأنصاره، وأقرباءه في عشرات الحروب.

والذين أخرجوه ﷺ من مسقط رأسه الشريف، وبلد الله، وبلد آبائه، ومحل عبادته نصف قرن.

والذين عذبوا المهاجرين بأنواع التعذيب، وقتلوا العديد منهم.

والذين تآمروا على قتله ﷺ عدّة مرات وكلها باءت بالفشل.

والذين مارسوا مع النبي ﷺ وأنصاره كل أنواع المظالم والفضاضة..

هؤلاء.. جاءهم النبي ﷺ فاتحاً منتصراً عليهم..

أترى ماذا كان يفعل إنسان آخر لو كان في موقع النبي ﷺ؟

إنه بلا شك كان يقيم مجزرة رهيبة..

فالموجودون هم الظالمون بأنفسهم لا أبناؤهم.

---

(١) سنن النسائي: ج٨ ص٣٣ باب القصاص في السن. راجع مكارم الأخلاق: ص١٧ ب١ ف٢ في تواضعه وحيائه ﷺ.

أبو سفيان.. وهند، وأضرابهما من الرجال والنساء.

ولكن في فتح مكّة عندما حمل الراية سعد بن عبادة وجعل يرفل في طرقات مكّة ويهز الراية وينادي:

«اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة»[1].

يقصد بذلك: إننا سنكثر من القتل في أهل مكّة حتى تتراكم جثث ولحوم القتلى بعضها على بعض، وإلى جنب بعض، وسنسبي نساء مكّة سبي الكفّار المحاربين.

وكان أهل مكّة يتوقعون مثل هذا الصنيع من مثل هذا الجيش المطرود أفراده من مكّة سنوات طوال، والمعذب من قبل أهل مكّة هؤلاء، والمهدور حرماتهم وأموالهم وكراماتهم من قبل هؤلاء أنفسهم.

ولو كان أهل مكّة هم بمكان الجيش الإسلامي، وكانوا هم المنتصرين على المسلمين لصنعوا بهم أسوء من هذا الصنيع..

وبالفعل كان قد سبق أهل مكّة إلى (الملحمة) (وسبي الحرمة) قصاصاً منهم قبل الجناية، فكيف بأهل مكّة لو كان لهم حق القصاص في ذلك؟

أكيداً كان أهل مكّة سيبيدون المسلمين لو كانوا بمكان المسلمين، وكانت القضية معاكسة..

لكن رسول الله ﷺ رسول الرحمة، رسول العفو، رسول الإنسانية، رسول الإسلام.. أبى ذلك أشد الإباء.

بل بالعكس سجّل نقطة مشرّفة في تاريخ الإسلام والإنسانية، فأمر الصحابي المنادي بالقفول..

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص١٠٥ ب٢٦.

وأمر أمير المؤمنين علياًعليه السلام بحمل الراية وأن يدخل مكّة برفق وهدوء وأن ينادي في أهل مكّة بلين ولطف بعكس ذلك النداء.

ونادى عليعليه السلام في طرقات مكّة: ـ وهو يكرر النداء ـ:

«اليوم يوم المرحمة   اليوم تصان الحرمة».

ثم جمع النبيصلى الله عليه وآله أهل مكّة، فنادى فيهم: ما تقولون إني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقالصلى الله عليه وآله: أقول لكم كما قال أخي يوسف:

﴿لَا تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ﴾[1].

ثم قالصلى الله عليه وآله:

«اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم قالصلى الله عليه وآله:

«أيها الناس: من قال لا إله إلا الله فهو آمن..

ومن دخل الكعبة فهو آمن..

ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن..

ومن ألقى سلاحه فهو آمن..

ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..

ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن»[2].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩٢.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٢١ ص١٠٤ ب٢٦، ودار أبي سفيان كانت بأعلى مكة ودار حكيم بن حزام كانت بأسفل مكة، وهما من رؤوس الشرك أسلما يوم فتح مكة.

عفوه عن أبي سفيان

لما دخل النبي ﷺ مكّة المكرمة وجاءه أبو سفيان وكل أصابعه العشر تقطر من دماء أهل بيت النبي ﷺ وأصحابه..

وملئ قلبه الحقد والحنق على رسول الله ﷺ والإسلام.

وملئ عينيه الشر والدمار. ولم يكن أي إنسان في موقف النبي ﷺ إلا ويواجه مثل (أبي سفيان) شيخ المؤامرات والفساد بأقسى مواجهة وينكل به أشد تنكيل.. لكن صنيع رسول الله ﷺ كان بالعكس..

فعفا عنه، وصفح وقال ﷺ في رفق ولطف له:

«أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»؟

فقال: بأبي أنت وأمي ما أكرمك، وأوصلك، وأحلمك[1].

وعن اليهودية

روى الشيخ الكليني في (الكافي) عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنّ رسول الله ﷺ أُتي باليهودية التي سمّت الشاة للنبي ﷺ فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟

فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه.

قال عليه السلام: فعفا رسول الله ﷺ عنها»[2].

أترى أي ملك، أو رئيس يعفو عن شخص أقدم على مثل هذا الجرم؟

هل تجد لهذه القصة في غير الأنبياء والأولياء عليهم السلام مثيلاً؟

كلا..

---

(١) إعلام الورى: ص١٠٨ الركن الأوّل ب٤ في ذكر مغازي رسول الله ﷺ بنفسه.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٠٨ باب العفو ح٩.

ثم كلا..

إنها النبوّة.

إنها الارتباط الوثيق بالخالق.

إنه العفو الذي بلغ منتهاه.

وبالتالي: إنّه الإسلام، جامع كل الفضائل والخصال الحميدة في أقصى أقصاها..

وأي رئيس إسلامي يكون على خط رسول الله ﷺ فسوف يكون هكذا.

وأمثلة العفو من رسول الله ﷺ كثيرة.. وكثيرة جداً، وإحصاؤها يستدعي مجلّداً خاصّاً.

سياسة إكرام الوفود

وكان النبي ﷺ مضرب المثل في إكرامه للوفود التي تدخل عليه من القبائل والعشائر، وحتى من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، فيكرمهم ويحترمهم..

ذكر في التاريخ: أنه ﷺ كان يرحب بالوفود بشخصه، ويوسع لرؤسائهم في المجالس، ويجلس إليهم، ويؤنسهم في الحديث، ويتلقاهم بالبشر وطلاقة الوجه، ويكلمهم باللين والرفق واللطف، ويسألهم عن أهاليهم وبلادهم، ويدعو لهم، ويغير الأسماء غير الجميلة منهم إلى أسماء حسنة، ويحلم عن جاهلهم، ويعفو عن مسيئهم.

ويطلق الأسرى منهم عندما يدخل وفد ويطلب ذلك من النبي ﷺ ويرجعهم إلى أهاليهم.

وكان ﷺ إذا قدم الوفد أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك احتراماً لهم.

وكان ﷺ يمنحهم الجوائز، والأرزاق، والملابس، ونحوها.

وبكلمة مختصرة: كان ﷺ الوحيد الذي يفعل تلك الأمور في مثل تلك الظروف القاسية الصعبة.

وهذه الممارسات الكريمة كانت تحمل الكثير منهم على اعتناق الإسلام، وترك مذاهبهم الباطلة وعبادة الأوثان والأديان المنحرفة.

وقد سجل التاريخ الكثير من ذلك، ونحن نقتطف بعضاً منها كنماذج في اختصار وإيجاز[1]:

وفد مزينة

جاءوا إلى المدينة، ودخلوا على رسول الله ﷺ وعددهم أربعمائة رجل، فمنحهم النبي ﷺ الجوائز، وأكرمهم بهذه الجملة، قال لهم:

«أنتم مهاجرون حيث كنتم، فارجعوا إلى أموالكم».

فرجعوا إلى بلادهم، وجعلوا يدعون بقية قومهم إلى الإسلام.

وفد جهينة

أتوا النبي ﷺ وسلّموا عليه، فآواهم، ومنحهم جوائز وسألهم من أنتم؟

قالوا: بنو غيلان.

فقال ﷺ: بل أنتم بنو رشدان.

وكان اسم واديهم (غوى) فسمّاه النبي ﷺ (رشدا).

وخط لهم مسجدهم.

فرجعوا إلى بيوتهم وهم يدعون إلى الإسلام.

---

(١) للتفصيل راجع بحار الأنوار للمجلسي: ج٢١، ص٣٦٤، باب ٥٣، قدوم الوفود على رسول الله ﷺ وساير ما جرى إلى حجّة الوداع.

وفد أشجع

جاءوا إلى النبي ﷺ فأكرمهم وودعهم، وأضافهم، فأسلموا على إثـر ذلـك، وكانوا بضع مئات، فرجعوا وهم مئات من الداعية الصامدة.

وفد ثعلبة

أنزلهم النبي ﷺ بالضيافة، وأعطاهم الجوائز، فرجعوا منـه فـرحين راضـين داعين إلى الله تعالى.

وفد تميم

جاءوا إلى النبي ﷺ في وساطة لفك أسراهم الذين أسرهم جيش المسلمين في الحروب الإسلامية مع الكفّار، فدخلوا المدينة وأتـوا خلـف دار النبـي ﷺ وهو في بيته: فصاحوا ـ وهم أكثر من ثمانين رجلاً مـن رؤسـاء تمـيم ـ يـا محمد أخرج إلينا، فنزل قولـه تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[1].

فأكرمهم رسول الله ﷺ واحترمهم، ورد عليهم أسـراهم، ومـنحهم الجـوائز بعد ما أضافهم. فرجعوا دعاة إلى الله والإسلام.

وفد فزارة

أتوا رسول الله ﷺ وهم بضعة عشرة رجلاً، فرحب بهم النبي ﷺ وأضافهم، وأكرمهم. وكانوا في جدب، فسألوا النبي ﷺ الـدعاء لهـم، وشـكوا إليـه قلّـة المياه، فدعا لهم رسـول الله ﷺ واسـتجاب الله دعـاءه، فـأتتهم الـسماء بمـاء منهمر، فسقوا أيّ سقي.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٤.

وفد محارب

كانوا عشرة نفر جاءوا النبي ﷺ وأسلموا، وأكرمهم النبي ﷺ ومنحهم الجوائز، فتكفّلوا له ﷺ إسلام من ورائهم من أقربائهم.

وفد كلاب

ثلاثة عشر رجلاً، جاءوا مسلمين، وسلّموا على رسول الله ﷺ بسلام الإسلام: (السلام عليكم)، فأكرمهم النبي ﷺ ورحب بهم، وأعطاهم الجوائز.

وفد عقيل بن كعب

سبعة نفر، وقد أسلموا، وأغدق النبي ﷺ عليهم العطاء والهبات، فرجعوا راضين مرضيين دعاة إلى الإسلام لقومهم ولغير قومهم.

وفد بني البكاء

جاءوا النبي ﷺ فأمر لهم بمنزل، وضيافة، ومنحهم الجوائز، ودعا لهم بالخير والبركة.

فرجعوا من عنده ﷺ موفورين، مرضيين، يدعون الناس إلى عالي خلق الرسول ﷺ وفضائله.

وفد سليم

جاء أحدهم ـ أولاً ـ إلى رسول الله ﷺ واسمه قيس بن نسيبة، فسمع كلام النبي ﷺ ورأى خلقه الكريم، وانجذب إلى فضائله ولطفه، فأسلم ورجع إلى قومه داعية إلى الله، فقام فيهم خطيباً وقال:

«قد سمعت ترجمة الروم، وهينمة فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن،

وكلام مقاول حِمَيَر[١]، فما يشبه كلام محمد ﷺ شيئاً من كلامهم».

وركّز في الدّعوة، وبالغ في تشجيع قومه إلى الإسلام، وجعل يحملهم على الإسلام واحداً بعد آخر، زرافات ووحداناً.

حتى جاء عام الفتح ومعه سبعمائة، بين من أسلموا على يدي النبي ﷺ وبين من جددوا إسلامهم عنده ﷺ.

ومن جميل ما حفظه التاريخ لبني سليم:

إنّ (راشدا) من بني سليم كان سادناً وحافظاً لصنم من أصنام بني سليم وكان النبي ﷺ قد أمرهم على عادته بكسر الأصنام، فرأى راشد ثعلباً ذكراً ــ ويقال له الثعلبان[٢] ـ يبول على رأس الصنم، فأنشد هذا البيت:

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم شدّ (راشد) إلى الصنم فكسره.

وجاء إلى الرسول ﷺ.

فقال له النبي ﷺ: ما اسمك؟

قال: غاوي بن عبد العزى.

فقال له النبي ﷺ: بل أنت راشد بن عبد ربّه.

فأسلم الرجل لما لقي من خلق رسول الله ﷺ وسمع من لذيذ كلامه وقرآنه، ورجع يدعو الآخرين إلى الإسلام.

وفد عامر بن صعصعة

أتوا النبي ﷺ وسلّموا عليه، فقال لهم النبي ﷺ: من أنتم؟

---

(١) قال ابن دريد: الأملوك (قوم من العرب) زاد غيره: من حِميّر (أو هم مقاول حِميَر). راجع تاج العروس للزبيدي: ج٧ ص١٨١ «مادّة ملك».

(٢) الثعلب معروف، قال الكسائي: الأنثى منه ثعلبة، والذكر ثعلبان. انظر الصحاح للجوهري (مادّة ثعلب).

قالوا: بنو عامر بن صعصعة.

فرحب بهم النبي ﷺ وأمرهم بكسر الأصنام، وعبادة الله الواحد الأحد، وعلّمهم بعض فرائض الاسلام، وأكرمهم، وأعزهم.

فرجعوا إلى قومهم مسلمين داعين إلى الإسلام.

وفد عبد القيس

كتب النبي ﷺ إلى أهل البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلاً منهم.

فقدموا، فأعزهم النبي ﷺ وأكرمهم، وأضافهم فترة، فقال ﷺ:

«نعم القوم . عبد القيس... اللهم اغفر لعبد القيس».

وقال ﷺ لرئيسهم عبد الله:

«إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

وعلّمهم من القرآن، وأحكام الإسلام، والآداب وفضائل الأخلاق، ومنحهم الجوائز، وودّعهم.

فرجعوا دعاة إلى الله والإسلام.

وفد تغلب

وردوا على رسول الله ﷺ فيهم مسلمون وفيهم نصارى، فأكرمهم النبي ﷺ جميعاً، وتلقاهم بالبشر وطلاقة الوجه، وكانت النصارى قد علقوا عليهم صلبان الذهب.

فصالح رسول الله ﷺ النصارى على الجزية.

وأجاز المسلمين بجوائز ومنح.

فرجعوا جميعاً يذكرون أخلاق الرسول ﷺ وفضائله لأقوامهم.

وفد بني حنيفة

وفدوا على النبي ﷺ وهم غير مسلمين، ورأوا أخلاق رسول الله ﷺ وإكرامه لهم، وتواضعه وهديه، ومنحهم النبي ﷺ المنح والهدايا والجوائز، وعلّمهم بعض أحكام الإسلام، وشرائع الدين، والفضائل والآداب، فرجعوا مسلمين ودعاة إلى الإسلام.

وفد طيء

جاءوا إلى المدينة ودخلوا على رسول الله ﷺ ورأوا حسن لقائه بهم، وأثر كلامه وفعاله فيهم، فأسلموا جميعاً وأكرمهم الرسول ﷺ وأمر بإضافتهم، ومنحهم الجوائز، فرجعوا موفورين.

وفد تجيب

وردوا على النبي ﷺ مسلمين لما سمعوا عنه وبلغهم من صدقه وأمانته ومعجزاته، فأكرمهم النبي ﷺ وقال: «مرحباً بكم».

وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم.

وفد سعد هذيم

جاءوا المدينة مشركين، ورأوا أخلاق النبي ﷺ الفاضلة، ومداراته الحسنة لهم، وإكرامه لهم، وإعزازه، فأسلموا جميعاً، وبايعوا النبي ﷺ على الطاعة في كل أمر ونهي، في السلم والحرب، والمال والأهل والأولاد.

ثم جعل ﷺ عليهم أميراً يوجههم إلى طاعة الله ويحكم فيهم بحكم الله تعالى.

وجعلهم رسله إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام.

فعملوا، وما مضى شيء حتى أسلم قومهم على أيدي هذا الوفد.

وفد بلى

جاءوا المدينة وهم كفار، ودخلوا على ابن قومهم (رويفع بن ثابت البلوي) الذي سبق أن كان قد أسلم، فأمر النبي ﷺ بإضافتهم، وإكرامهم.

ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ فأسلموا لما رأوا من عظيم خلقه وجميل عشيرته، وتفقهوا في الدين وتعلّموا بعض أحكام الإسلام ومعالم الحلال والحرام. ثم منحهم النبي ﷺ الجوائز والهبات، فرجعوا إلى قومهم موفورين داعين إلى الله تعالى، ودخل بسببهم في الإسلام الكثير من قومهم.

وفد بهراء من اليمن

دخلوا على رسول الله ﷺ فجذبتهم أخلاقه الكريمة وطيب مخالطته، فأسلموا كلهم، وتعلموا بعض الفرائض، ولما قفلوا راجعين إلى قومهم، منحهم النبي ﷺ الجوائز ووهب لهم الهبات، وجعلهم رسله إلى قومهم، ففعلوا، وأسلم كثير منهم على أيديهم.

وفد الأزد

أتوا المدينة، ودخلوا على رسول الله ﷺ ثم أسلموا كلهم، وكان فيما قال النبي ﷺ لهم:

«مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانة».

وجعل شعارهم مبروراً، ومنحهم الهدايا والجوائز، فرجعوا موفورين داعين قومهم إلى الإسلام.

وفد همدان

دخلوا عليه ﷺ فشجعهم بهذه الكلمات:

«نعم الحي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد».

وأكرمهم وأمر بضيافتهم، ومنحهم الجوائز. فأسلموا جميعاً، ورجعوا إلى بلادهم دعاة إلى الإسلام وإلى رسول الإسلامﷺ.

وفد غامد

دخلوا المدينة وهم كفّار، وكانت الوفود بها عديدة، فنزلوا بـ (بقيع الغرقد) ـ مقبرة أهل المدينة ـ ثم لبسوا جميل ثيابهم وتطهروا وانطلقوا إلى النبيﷺ، فلما لقوا منه الإكرام والإعزاز، وحسن الاستقبال منهم ولين العريكة، أسلموا وتعلموا شيئاً من القرآن.

فلما أرادوا الرجوع أجازهم النبيﷺ الجوائز، ومنح لهم الهدايا، فعادوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام.

وفد النخع

الذي منهم مالك الأشتر النخعي، جاءوا من اليمن ودخلوا على رسول اللهﷺ فدعا لهم النبيﷺ بهذه الجملة: «**اللهم بارك في النخع**».

فرأوا النبيﷺ وجميل معاملته، فأسلموا، وأسلموا عن قومهم باعتبارهم وكلاء ونواباً عنهم، فأجازهم النبيﷺ وأعطاهم الهدايا، فرجعوا إلى قومهم.

وبعد مدّة، وفد من قومهم مائتا رجل على رسول اللهﷺ مقرين بالإسلام، خاضعين لأحكامه.

فزاد النبيﷺ في إكرامهم واحترامهم ودعا لهم بالخير.

وفد الرهاويين

وهم حي من مذحج، دخلوا على رسول اللهﷺ ونظروا إلى النبيﷺ وجميل محياه، وجميل منطقه، وجميل عمله، وجميل معاملته معهم، فأسلموا

كلّهم، وتعلّموا بعض سور القرآن، وأهدوا لرسول الله ﷺ هدايا، وأهدى لهم النبي ﷺ هدايا، ورجعوا إلى قومهم دعاة إلى الإسلام.

وفد حضرموت

دخلوا المدينة ووردوا على رسول الله ﷺ وهم ملوك حضرموت، ورئيسهم وائل بن حجر الحضرمي قال للنبي ﷺ: جئت راغباً في الإسلام والهجرة.

فأمر رسول الله ﷺ أن ينادي في المسلمين: «الصلاة جامعة».

احتفاءً بالوفد، وإكراماً لهم، ودعا النبي ﷺ له ولهم، واجتمع المسلمون في المسجد، وتلقوا الوفد بالبشر والتحية والاحترام الكثير.

ثم أمر النبي ﷺ بضيافتهم، وإعطائهم الجوائز، والإغداق عليهم، بعد أن أطاب لهم الكلام، وأطاب لهم المجلس، وأطاب لهم الصنيع، فأسلموا كلهم وودعوا النبي ﷺ ورجعوا إلى أقوامهم يدعونهم إلى الإسلام.

وفد كندة

جاءوا إلى رسول الله ﷺ واحتفى بهم النبي ﷺ وأمر المسلمين بالاحتفاء بهم، وإكرامهم. فأضافهم المسلمون وزادوا في احترامهم.

ثم منحوهم العطايا والهبات. فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم دعاة إلى الله.

وفد أسلم

جاءوا النبي ﷺ وقد أسلموا، قائلين: «آمنا بالله ورسوله».

فقال لهم النبي ﷺ: «أسلم، سالمها الله».

وكتب لهم كتاباً في بيان الصدقة وبعض الفرائض، ومنحهم الجوائز وأغدق عليهم العطاء، فرجعوا إلى قومهم دعاة إلى رسول الله ﷺ وأسلم بسببهم كثير من قومهم.

وفد جيشان

جاءوا النبي ﷺ فأكرمهم وعظمهم، وأمر المسلمين باستقبالهم وإضافتهم، ففعلوا، وأسلموا على يدي النبي ﷺ وصلّوا معه، ثم رجعوا إلى حيهم دعاة إلى الله.

هذه كانت نماذج من الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ وبعض صنيع النبي ﷺ بهم، وسياسته الجامعة معهم، وجلبهم إلى الإسلام وإلى الله، وتأليف قلوبهم. وهناك المئات.. والمئات من الوفود التي كانت تفد على رسول الله ﷺ فيعاملهم بمثل هذه المعاملات الحسنة.

وبهذه السياسة الحكيمة، والسياسة الاستيعابية، وسياسة جمع المتفرقات، وسياسة الإغضاء عن السيئات، وسياسة إظهار الحسنات.. استطاع رسول الله ﷺ أن يربي من أولئك الناس الذي سماهم الله تعالى وسماهم التاريخ بـ(الجاهلية) إيغالاً منهم في الجهل المركب..

جهل في جميع الجهات.

جهل في التربية، وجهل في المعرفة، وجهل في المعلومات، وجهل في القراءة والكتابة، وجهل في المعاشرة، وجهل في السقي والرعي، وجهل في السلم والحرب.. وبالتالي جهل في كل شيء.

استطاع النبي ﷺ وبهذه السياسة الرشيدة أن يخلق منهم أمة عظيمة بهرت التاريخ، وحيّرت العقلاء.

حتى أنّ الله تعالى الذي وصفهم قبل الإسلام بـ(الجاهلية)[1] عاد فوصفهم

---

(١) قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ سورة المائدة: الآية ٥٠، وقال سبحانه: ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ سورة الأحزاب: الآية ٣٣، وقال تعالى: ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ سورة الفتح: الآية ٢٦.

بعد الإسلام بـ (خير أمة) حيث يقول في القرآن الحكيم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

وهكذا يجب على المسلمين أن تكون معاملتهم ومعاشرتهم في هذا العصر الذي فتح الكفر أفواهه من كل جانب لابتلاع الإسلام والمسلمين وهضمهم، وإبادتهم.

فتكون سياستهم سياسة الاحتواء والجمع، والإغضاء والتشجيع، حتى يعودون قوة لا يمكن قهرها، بإذن الله تعالى.

سياسة الوفاء

سياسة الرسول ﷺ التي هي: إدارة البلاد والعباد بمعناها الصحيح كما يحب الله تعالى ويرضاه، كانت مبتنية أيضاً على الوفاء بالوعد، والالتزام بالقول، والوفاء الخلقي.

وقد ذكر المؤرخون الكثير من القصص الرائعة في ذلك، نذكر عدداً منها كنماذج:

انتظار ثلاث ليال

في مكّة المكرمة، وقبل البعثة تواعد النبي ﷺ مع شخص أن ينتظره حتى يجيء ذلك الشخص، فراح الرجل، ونسي وعده، وترك النبي ﷺ يترقّبه ثلاث ليال في المكان نفسه.

وبعد ثلاث جاء الفتى ليجد النبي ﷺ لا يزال في انتظاره بمكانه[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٢) راجع مكارم الأخلاق: ص٢١ ب١ ف٢ في الرفق بأمته صلى الله عليه وآله.

صديقة خديجة

ذكروا: أنّه كانت لخديجة أم المؤمنين، امرأة صديقة لها حين تركها أقرباؤها ونساؤها وقريش كلهم، فكانت تتعاهد خديجة وتأتيها، وتؤنسها من الوحدة.

فلما توفّيت خديجة كان النبي ﷺ يرسل بالهدايا إلى تلك المرأة وفاءً لها، وكان ﷺ يقول:

«إنها كانت تأتينا في زمن خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان»[١].

وفد النجاشي

وذكروا: أنّه جاء وفد من قبل النجاشي إلى رسول الله ﷺ فأضافهم، وأكرمهم، واحترمهم..

وقام النبي ﷺ يحضر لهم بعض الحاجات بنفسه الكريمة.

فقال له بعض الأصحاب: نحن نكفيك ذلك.

فقال ﷺ: إنّهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم[٢].

مع أبويه من الرضاعة

وذكروا: أنّه وفد إليه أبواه من الرضاعة، وأخوه من الرضاعة، فضم النبي ﷺ أخاه من الرضاعة إليه وأكرمه واحترمه، وفرش ثوبه لأبويه، ووصلهم بالهدايا، ومنح لهم المنح، وكذلك فعل ﷺ بأخته من الرضاعة، الشيماء[٣].

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج١٦ ص٨ باب٥ ـ تزوجه ﷺ بخديجة ؓ وفضائلها وبعض أحوالها.

(٢) راجع السيرة النبوية لابن كثير: ج٢ ص٣١، قدوم وفد النجاشي على الرسول ﷺ واكرامه لهم.

(٣) راجع البداية والنهاية: ج٤ ص٤١٨.

عود مع الأنصار

ولما فتح الله تعالى لرسوله الكريمﷺ مكّة المكرّمة لـم يبـق فيهـا ويتـرك الأنصار يعودون إلى المدينة لوحدهم، فيكون قد شاركهم مـادام فـي العـسرة فإذا تم الفتح تركهم..

بل أمّر على مكّة بعض أصحابه، وقفل راجعاً إلى المدينة بصحبة الأنـصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة، وآووه ونصروه.

بالرغم من أن مكّة كانت مسقط رأسه الـشريف، وبلـده الـذي قـضى فيـه أكثر من خمسين عاماً، وبلد آبائه، وفيهـا الكعبـة، وأضـرحة آبائـه وأجـداده وآثارهم، وآثار الأنبياء السابقين مـن آدم، ونـوح، وإبـراهيم، وإسـماعيلعليهم السلام وغيرهم. كل ذلك وفاءً للأنصار.

وقال: «اليوم بر ووفاء».

ثم توجه إلى الأنصار قائلاً:

«المحيا محياكم، والممات مماتكم»[1].

وهذا هو الفريد من نوعه في تـاريخ العظمـاء والقـادة والثـوار، فـإنهم إذا أخرجوا من ديارهم نتيجة الثورة فإذا قضوا على الزمـرة الظالمـة عـادوا إلـى ديارهم، إلا الرسولﷺ فلم يعد إلى مكّة ليبقى فيها.

بل رجع إلى المدينة مع الأنصار، وبقي فيها حتى توفاه الله تعـالى والتحـق بالرفيق الأعلى، ولم يسكن في مكّة المكرّمة، ولم يبت فيها ليلة واحدة.

---

(١) راجع السنن الكبرى للبيهقي: ج٩ ص١١٧ باب فتح مكّة.

سياسة الرحمة الشاملة

وقد ضرب النبي ﷺ الرقم الأول في التاريخ كله في الرحمة بما لا مثيل لها في تاريخ أي عظيم وقائد.

وفيما يلي نذكر أمثلة كنماذج من ألوف أمثالها المذكورة في كتب التاريخ:

مع الأعرابي

وفد أعرابي على رسول الله ﷺ يطلب منه شيئاً، فأعطاه النبي ﷺ وقال له: أحسنت إليك؟

قال الأعرابي: لا، ولا أجملت.

وذلك في مجلس النبي ﷺ وبمحضر من أصحابه المهاجرين والأنصار، فغضب المسلمون، وشق عليهم تحمل هذه القسوة من الأعرابي، فقام إليه بعض الصحابة ليوبخه ويؤنبه.

فأشار النبي ﷺ إليهم: أن كفّوا.

ثم قام ﷺ ودخل منزله وأرسل إليه وزاده، ثم قال ﷺ له: أأحسنت إليك؟

قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فودّع الأعرابي وخرج.

ثم توجه النبي ﷺ إلى أصحابه قائلاً:

«مثلي ومثل هذا، مثل رجل له ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس، فلم يزدها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم. فتوجه إليها ووقف بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جاءت واستناخت، وشدّ عليها رحلها واستوى عليها. وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»[1].

---

(١) راجع الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ج١ ص١٢٤.

يا لها من رحمة عظيمة، لا تجد نظيرها في غير تاريخ الرسالة أو الولاية.

رحمة بقومه

لما كذّب المشركون رسول الله ﷺ وآذوه، وألقوا ماء الفم في وجهه الكريم، وقاطعوه، وقتلوا أصحابه، وعذبوهم، وشردوهم، وتتبعوهم تحت كل حجر ومد..

وفعلوا ما فعلوا طوال السنين الصعاب..

حينذاك نزل عليه جبرئيل من عند الله تعالى قائلاً:

«إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم».

فناداه ﷺ ملك الجبال وسلّم عليه وقال: **«مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين».**

فقال النبي ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولايشرك به شيئاً»**[1].

تخفيف الصلاة

كان ﷺ إذا صلّى لوحده أطال في صلاته وأكثر في أذكار الركوع والسجود، وقراءة القرآن، والتسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير..

وإذا صلّى جماعة خفف فيها. حتى ورد في الحديث الشريف:

«كانت صلاة رسول الله ﷺ أخف صلاة في تمام»[2].

وذكروا: أنّه ﷺ كان يخفف من صلاته رحمة بالأطفال الذين يأتون المسجد مع أمهاتهم[3].

---

(١) راجع العمدة لابن البطريق: ص٣٣٥ـ٣٣٦ ف٣٦ في فنون شتى ح٥٦١.

(٢) راجع دعائم الإسلام للمغربي: ج١ ص١٥٢.

(٣) راجع حلية الأبرار للبحراني: ج١ ص٣٢٨ رقم٥ باب٤٤ ـ في نصيحته وشفقته، وفيه: أنّ نبي الله ﷺ قال: إنّي

قصر الموعظة

وذكروا: أنّه ﷺ كان يقصر من مواعظه خشية السآمة على أصحابه، فلا يكثر عليهم المواعظ، وإذا وعظ لم يطل فيها، بل يقلل، وفي القليل يقصر[1].

نعم كان قد يطول أحياناً حسب المقام الداعي إلى التطويل.

لولا أن أشق

وكان ﷺ يلاحظ أن لا يشق على المسلمين بفعل أو بقول، وقد ورد عنه ﷺ في موارد عديدة:

«**لولا أن أشق على أمتي...**»[2].

«**لولا قومك حديثو عهد بشرك...**»[3].

ونحو ذلك.

وإسعاف المرأة

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أنّ رسول الله ﷺ رأى في بعض طريقه جارية قاعدة تبكي.

فقال لها النبي ﷺ: ما شأنك؟

فقالت: يا رسول الله إنّ أهلي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة، فضاعت، فلا أجرأ أن أرجع إليهم.

فأعطاها رسول الله ﷺ أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلك.

لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدّة وجد أمه من بكائه.

(١) راجع مكارم الأخلاق للطبرسي: ص٢٤ ب١ ف٢ في جمل من أحواله وأخلاقه ﷺ.

(٢) غوالي اللآلي للإحسائي: ج١ ص٤٥ ف٤ ح٦١، وج٢ ص٢١ المسلك الرابع ح٤٣.

(٣) العمدة لابن البطريق: ص٣١٧ ح٥٣٢.

ومضى رسول الله ﷺ ... فإذا بالجارية قاعدة على الطريق تبكي.

فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا تأتين أهلك؟

قالت: يا رسول الله إني أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني.

فقال رسول الله ﷺ: مُرّي بين يدي ودلّيني على أهلك.

فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار.

قالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال رسول الله ﷺ: إنّ هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤذوها.

فقالوا: هي حرة لممشاك[1].

أترى أي زعيم يتصدّى بنفسه لمثل هذه الحاجات الصغيرة لرعاياه، إلا رسول الله ﷺ أو من كان على وتيرته.

الرحمة بالحيوانات

وعمت رحمته ﷺ كل شيء حتى الحيوانات، فكان يوصي بها.

وقد أثر عنه ﷺ الكثير في ذلك، ومنه ما يلي:

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

«فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة».

«وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة».

«وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»[2].

---

(١) راجع الخصال: ص٤٩٠ـ٤٩١ أبواب الاثني عشر ح٦٩.

(٢) راجع جواهر الكلام للجواهري: ج٣٦ ص١٢٤ في كيفية النحر من كتاب الصيد والذباحة. كما يروي البرقي في

سياسة العطاء للصديق والعدو

كان رسول الله ﷺ مضرب المثل في العطاء والكرم والجود، حتى قيل عنه: إنّه يعطي عطاء من لا يخاف الفقر.[1]

فكان يعطي للمهاجرين.

ويعطي للأنصار.

ويعطي لأهل المدينة.

ويعطي لأهل القرى والأرياف.

ويعطي للمسلمين.

ويعطي للمنافقين.

ويعطي للكفّار أيضاً، تأليفاً لقلوبهم وردعاً لهم عن المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين.

وقد حفظ التاريخ للنبي ﷺ عطايا فريدة في بابها لأعدائه وأعداء الإسلام أمثال أبي سفيان وأولاده، ومن لفّ لفهم.

فقد ورد في الخبر: أنّه ﷺ أجزل العطاء من غنائم حنين حتى لأعداء الإسلام، أبي سفيان، وابنه معاوية، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، والحرث بن هشام، وسهيل بن عمرو، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وهمام ـ أخي سهيل ـ ومالك بن عوف، وعلقمة بن علاثة، فكان ﷺ يعطي الواحد منهم مائة من الإبل ورعاتها، وأكثر من ذلك وأقل[2].

المحاسن، ج٢ ص٣٦١ ج٩١، بسَنده عن حماد اللحام، قال: مرّ قطار لأبي عبد الله ﷺ فرآى زاملة قد مالت، فقال: يا غلام، أعدل على هذا الجمل، فإنّ الله يحب العدل.

(١) انظر كشف الغمّة للإربلي: ج١ ص١١، ذكر أسمائه ﷺ.

(٢) راجع الإرشاد للمفيد: ج١ ص١٤٥، تقسيم رسول الله ﷺ لغنائم حنين واعتراض بعض الانصار.

وجاء في (أعلام الورى) وفي (السيرة النبوية) لابن هشام:

«ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة بمن معه من الناس، وقسم بها ما أصاب من الغنائم يوم حنين في المؤلفة قلوبهم من قريش ومن سائر العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيئاً قليلاً ولا كثيراً.

قيل: إنه جعل للأنصار شيئاً يسيراً وأعطى الجمهور للمنافقين.

قال محمد بن إسحاق: وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير.

ومعاوية ابنه مائة بعير.

وحكيم بن حزام ـ من بني أسد بن عبد العزى ـ مائة بعير.

وأعطى النضر بن الحارث بن كلدة مائة بعير.

وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي ـ حليف بني زهرة ـ مائة بعير.

وأعطى الحارث بن هشام ـ من بني مخزوم ـ مائة.

وجبير بن مطعم ـ من بني نوفل بن عبد مناف ـ مائة.

ومالك بن عوف النصرى مائة.

وأعطى علقمة بن علاثة مائة.

والأقرع بن حابس مائة.

وعيينة بن حصن مائة.

وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير.

وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير.

وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير.

وأعطى رسول الله ﷺ دون المائة رجالاً من قريش، منهم:

مخرمة بن نوفل الزهري.

وعمير بن وهب الجمحي.

وهشام بن عمرو ـ أخا بني عامر بن لؤي ـ .

وأعطى ﷺ سعيد بن يربوع بن عنكشة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السهمي خمسين من الإبل.

ثم ذكروا:

إنّ النبي ﷺ أعطى آخرين من المؤلفة قلوبهم ورؤوس الشرك ـ عند إسلامهم ـ تأليفاً لهم ولأقوامهم، ولسائر قريش من أهل مكّة، وهكذا أعطى آخرين من القبائل العربية، ذكر ابن هشام في سيرته منهم ما يلي:

طليق بن سفيان بن أمية.

وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية.

وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد الدار.

وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عميلة.

وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف.

وزهير بن أبي أمية بن المغيرة.

وخالد بن هشام بن المغيرة.

وهشام بن الوليد بن المغيرة.

وسفيان بن عبد الأسد.

والسائب بن أبي السائب بن عائذ.

ومطيع بن الأسود بن حارثة.

وأبو جهم بن حذيفة بن غانم.

وأحيحة بن أمية بن خلف.

وعمير بن وهب بن خلف.

وعدي بن قيس بن حذافة.

وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث.

ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر.

وعلقمة بن علاءة بن عوف.

ولبيد بن ربيعة بن كلاب.

وخالد بن هوذة بن ربيعة.

وعباس بن مرداس بن أبي عامر[1].

وهذا نموذج واحد من سياسة العطاء التي كان يمارسها رسول الله ﷺ في أيام تأسيس الحكومة الإسلامية الأولى على وجه الأرض.

ولعل هذا فريد من نوعه في تاريخ البشر عامة.

فإنّ البعير الواحد ذلك اليوم كان يعد ثروة للإنسان، تماماً مثل من يملك اليوم سيارة فخمة أو نحوها، بل وأكثر من ذلك.. فالبعير الواحد كان بمثابة سيارة، كما كان يؤكل لحمه، ويشرب لبنه، ويلبس وبره.

مثل ما لو أعطى شخص هذا اليوم لكل واحد من رؤساء المعارضة بعد خضوعهم وبعد قدرته عليهم خمسين سيارة أو نحو ذلك.

فهل يجد التاريخ لهذا نظيراً؟

هذه السياسة الإسلامية في تأليف الأعداء، وأقوام الأعداء، وأتباع الأعداء .. يجب أن يتبعها كل من يسير على خط رسول الله ﷺ ويريد تركيز الإسلام على وجه الأرض، بالحب والكلمة الطيبة، كما كان يفعل رسول الله ﷺ لابالعنف والسيف كما يفعله الاستعمار اليوم.

---

(١) راجع أعلام الورى للطبرسي: ص١١٨ الركن الأول ب٤ غزوة حنين وسيرة النبي ﷺ لابن هشام: ج٤ ص١٠١، غزوة حنين.

درعه مرهونة

ومن جزيل عطائه ﷺ ما حفظ التاريخ عنه، أنه ﷺ عند ما مات كانت درعه مرهونة على نفقة أهله.

فقد روي في (قرب الأسناد) عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه أبي جعفرٍ الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إن رسول الله ﷺ لم يورث درهماً ولا ديناراً، ولا عبداً ولا وليدة، ولا شاة ولا بعيراً، ولقد قبض ﷺ وإن درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً شعيراً استلفها نفقة لأهله»[1].

وروى الشيخ الطبرسي رحمه الله في (مكارم الأخلاق) عن ابن عباس أنّه قال: «إنّ رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود على ثلاثين صاعاً[2] من شعير أخذها رزقاً لعياله»[3].

وسواء كانت السلفة عشرين صاعاً، أو ثلاثين صاعاً، أي ما يعادل تقريباً لستين أو تسعين كيلواً من الشعير يستلفها رسول الله ﷺ في آخر حياته ويرهن عليها درعه، هذا من أعاجيب التاريخ:

رسول الله ﷺ الذي يعطي المائة من الإبل، والمائة والمائة لأعدائه..

رسول الله ﷺ الذي خضعت لـه الدنيا!

رسول الله ﷺ الذي جرت الأموال الطائلة على يديه.

يموت ودرعه مرهونة على شعير لطعام عائلته.

إنّه كان ﷺ يعطي كل ما يحصل لـه من أنعام، وذهب، وفضّة، وطعام..

---

(١) قرب الأسناد للحميري: ص٤٤.

(٢) كل صاع ثلاث كيلوات تقريباً.

(٣) مكارم الأخلاق: ص٢٥ ب١ ف٢ في جمل من أحواله وأخلاقه ﷺ.

وغير ذلك، حتى لا يجد ما ينفقه على عياله..

ثم لا يجد ما يشتري به النفقة البسيطة لعياله.

كيلوات من الشعير لا يجدها ولا يجد ما يشتريها به.

ثم لا يجد ما يرهنه على سلفة كيلوات شعير، من لباس، وأثاث، وبضاعة حتى يضطر إلى رهن درعه.

أليس هذا من أعجب الأعاجيب في التاريخ.

فليقتد برسول الله ﷺ القادة من المسلمين.

فإنّه ﷺ أسوة حسنة لهم بنصّ القرآن الحكيم:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

مات وهو مديون

«الدين همّ بالليل وذل بالنهار»[2].

هذا واحد من تصريحات رسول الله ﷺ.

لكن هذا هو الدَين الذي يستدينه الإنسان لشهواته.

وهناك دَين آخر هو عز بالليل، وفخر بالنهار.

وهو الدَين للإسلام والمسلمين.

ورسول الله ﷺ بالرغم مما كان يجبى إليه من الغنائم والهدايا بالملايين والملايين، مع ذلك كان مديوناً غالباً، وكثيراً ما كان يستدين لهذا وذاك.

وقد مات ﷺ حيث مات وكان مديوناً.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) غوالي اللآلي للاحسائي: ج٢ ص٢٥٦ ب٢ باب الدين ح١.

قال الصادق عليه السلام: **«مات رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه دين»**[1].

حتى إنّ أمير المؤمنين عليه السلام جعل أناساً ينادون في أيام الحجّ في الشوارع والطرقات ويعلنون للناس بحثاً عن ديون رسول الله صلى الله عليه وآله ليؤدّيها...

إذ كان النبي صلى الله عليه وآله قد أوصى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ـ فيما أوصاه وعهد إليه ـ أن يقضي ديونه، فإنّه قال صلى الله عليه وآله:

«علي مني وأنا منه ولا يقضي عني ديني إلا أنا أو علي»[2].

وقال صلى الله عليه وآله:

«علي بن أبي طالب ينجز عداتي ويقضي دَيني»[3].

قال قتادة: «بلغنا أنّ علياً عليه السلام نادى ثلاثة أعوام بالموسم: من كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دَين فليأتنا نقضي عنه»[4].

وقال بعضهم: ودين النبي صلى الله عليه وآله إنما كان عداته وهي ثمانون ألف درهم فأدّاها[5].

أقول: هذا الاجتهاد تأباه التصريحات الكثيرة التي عطفت العدات بالواو على الديون، أو بالعكس «ديوني وعداتي» أو «عداتي وديوني».

أضف إلى ذلك: تغيير التعبير في حديث واحد، بـ(ينجز) و(يقضي) الذي استفيض نقله.

مع إنّه صلى الله عليه وآله كان مديوناً لصوع من الشعير التي رهن درعه عليها.

---

(١) المحاسن للبرقي: ج٢ ص٣١٩ كتاب العلل ح٤٦.

(٢) المناقب للمازندراني: ج٢ ص١٣٢ فصل في الاستنابة والولاية.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٠ ص٧٦ ب٩١ ضمن ح١١٣.

(٤) المناقب للمازندراني: ج٢ ص١٣٢ فصل في الاستنابة والولاية.

(٥) بحار الأنوار: ج٣٨ ص٧٤ ب٦٠.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على جزيل عطائه ﷺ وجوده الغريب والفريد. فليتأس بالنبي ﷺ قادة المسلمين، وينتهجوا منهاجه ويسيروا على سيرته.

وعلي قتل وهو مديون

وتأسى برسول الله ﷺ وصيه وخليفته الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

فقد حفظ التاريخ عنه أنه عليه السلام لما استشهد..

كانت ممتلكاته: سبعمائة درهم.

وكانت ديونه: ثمانمائة ألف درهم.

انظر إلى بعض نصوص التاريخ في ذلك:

نقل العلامة المجلسي رحمه الله عن ابن شهر آشوب في (المناقب) قال:

ومعلوم أنّ أبابكر توفي وعليه لبيت مال المسلمين نيّف وأربعون ألف درهم، وعمر مات وعليه نيّف وثمانون ألف درهم، وعثمان مات وعليه ما لا يحصى كثرة، وعلي عليه السلام مات وما ترك إلا سبعمائة درهم فضلا عن عطائه أعدّها لخادم[1].

ونقل المجلسي أيضاً عن السيد ابن طاووس في كتاب (كشف المحجة) بسنده عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر عليه السلام قال:

«قبض علي عليه السلام، وعليه دين ثمانمائة ألف درهم».

فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمائة ألف درهم فقضاها عنه. وباع له ضيعة أخرى بثلاثمائة ألف درهم فقضاها عنه. وذلك أنه لم يكن يذر من الخمس شيئاً.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣١٩ ب٩٨ ح٣.

وكانت تنوبه نوائب[1].

هذا هو المثال الصحيح لإمام المسلمين.

ولم كانت هذه الديون؟

وفيم كانت تصرف؟

إنها لحاجات المسلمين، ومساكينهم، وأيتامهم، وأراملهم، وضعفائهم..

وإلا فعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي لم يكن يملك للبسه سوى قطعتين فقط في الشتاء والصيف، قطعة يتزر بها، وقطعة أخرى يرتدي بها.

والذي لم يكن أكله سوى خبز الشعير والملح، أو اللبن.

ماذا يحوجه لأن يقترض لشخصه ونفسه.

هذا الذي تفتخر به أمة الإسلام من إمام، وقائد، وزعيم.

والحسن والحسين مديونان

واقتدى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام بجدهما وأبيهما: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، حيث صرفا كل ما بأيديهما من الأموال في أمور الإسلام وحاجات المسلمين، ولم يفارقا الدنيا إلا عن ديون.

اقرأ النصوص التالية:

نقل العلامة المجلسي رحمه الله عن (الكافي) أنّه روى بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«مات الحسن عليه السلام وعليه دَين، وقتل الحسين عليه السلام وعليه دين»[2].

وروى السيد ابن طاووس رحمه الله عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٣٨-٣٣٩ ب٩٨ ح٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٣٢١ ب١٣ ح٥.

«إنّ الحسين عليه السلام قتل وعليه دين، وإنّ علي بن الحسين عليهما السلام باع ضيعة له بثلاثمائة ألف ليقضي دين الحسين عليه السلام وعدات كانت عليه»[١].

وفي حديث آخر:

«همّ علي بن الحسين عليه السلام بدين أبيه حتى قضاه الله»[٢].

وفي حديث آخر أيضاً عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«قد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه دين، وقد مات علي عليه السلام وعليه دين، ومات الحسن عليه السلام وعليه دين، وقتل الحسين عليه السلام وعليه دين»[٣].

سياسة التلاحم مع الأمة للتربية

وكان النبي صلى الله عليه وآله يتولّى تربية أفراد الأمّة بنفسه غالباً، ومهما سنحت الفرص، فيندمج معهم في الحديث، ويخوض حيثما خاضوا، ويصحح ما أخطأوا إمعاناً في جلب قلوبهم إلى الله ورسوله، وتعميقاً في هدايتهم إلى سبيل الله والرشاد.

وقد ورد ذلك في القرآن الحكيم في العديد من الآيات، مثل قوله سبحانه:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٨ ص٣٢٢ـ٣٢٣ ب٢ ح١٢.

(٢) راجع مستدرك الوسائل للنوري: ج١٣ ص٣٩٢ ب٤ ح٢.

(٣) راجع من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج٣ ص١٨٢ باب الدين والقرض ح٣٦٨٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

وقال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقال عزّ من قائل ـ نقلاً عن دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام ـ :

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

وكان في حديثه صلى الله عليه وآله مع المسلمين يندمج معهم كاملاً، اندماج المعلّم العطوف المربي الذي يحب أن يصعد بنفسيتهم وثقافتهم وتربيتهم.

اقرأ المقاطع التالية من التاريخ والواردة في الحديث الشريف.

١. يكرر ثلاثاً

روي عن ابن عباس أنّه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حدّث الحديث أو سُأل عن الأمر، كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه»[4].

ولعل معنى الخبر: لكي يفهم المخاطبين، ولكي عند ما ينقل عنه الحديث لاينقل خطأ أو سهواً أمر آخر.

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥١.

(٤) مكارم الأخلاق: ص٢٠، وبحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٣ باب٩ ح٣٥.

ويظهر من هذا الخبر أنّ التكرار كانت عادته ﷺ الغالبة على كلماته الشريفة.

أي معلم أو مرب أو مرشد يفعل مثل ذلك؟

إنّه رسول الله ﷺ وكل من تعلّم في مدرسته.

٢. يخوض فيما يحدّثون

وروي عن زيد بن ثابت أنّه قال:

«إنّ النبي ﷺ كنا إذا جلسنا إليه ﷺ إن أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا، فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ»[1].

الدنيا، والطعام، والشراب، هي التي لا يفكر فيها رسول الله ﷺ إطلاقاً وأبداً، ولكنه لكي يستبقي على عواطف المسلمين، ولكي لا ينفروا منه كان يدخل في الحديث معهم في الدنيا، والطعام، والشراب.

يكرم بوسادته

وروي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال:

«دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة، فألقاها إليّ، ثم قال ﷺ: يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له الوسادة إكراماً له إلا غفر الله له»[2].

ووسادته التي اتكأ ﷺ عليها يلقيها إلى سلمان رضي الله عنه تعميقاً في التلاحم بين القائد والقاعدة، وتعليماً للمسلمين لكي يمارسوا هذا التلاحم في كل الأبعاد وكافة المجالات.

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢١.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٢١.

رمى ثوبه إليه

وروي عن جرير بن عبد الله قال:

«إنّ النبي ﷺ دخل بعض بيوته فامتلأ البيت[١]، ودخل جرير فقعد خارج البيت فأبصره النبي ﷺ فأخذ ثوبه فلفه فرمى به إليه وقال: اجلس على هذا، فأخذه جرير فوضعه على وجهه فقبّله»[٢].

فإنه ﷺ يرمي بثوبه إلى واحد من المسلمين لكي يجلس عليه ولايجلس على التراب تعميماً لوحدة أسلوب المعيشة بين القاعدة وبين قائدها.

يجلس على التراب

وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير»[٣].

وهذا تنفيذ عملي لوحدة الحياة والمعيشة في المستوى الواحد بين الرسول ﷺ وبين المرسل إليهم، إذ كان عدد من المسلمين لا يجدون ـ آنذاك ـ غير التراب يجلسون عليه، أو يأكلون عليه.

لا يعرف في مجلسه

وعن أبي ذر أنّه قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيّهم هو حتى يسأل»[٤].

---

(١) يعني، لم يبق مجال لشخص آخر لازدحام البيت بالمسلمين أو ببعض عوائله.

(٢) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٥ ب٩ في الرفق بأمته.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٠٨ـ١٠٩ ب٧٥ ح٥.

(٤) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٢٩ ب٩ ضمن ح٣٥.

لست بملك

وعن ابن مسعود أنّه قال: «أتى النبي ﷺ رجل يكلمه فأرعد، فقال ﷺ: هوّن عليك، فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القد»[1].

القد: هو القديد، وهو اللحم المجفف في الشمس.

يعني: أنا واحد مثلكم في معاشرتي الشخصية، فأُمي امرأة غير مترفعة عن الناس في مأكلها، فهي كانت تأكل القد كما يأكل الجميع القد.

ويركب الحمار

وروي عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أنّه قال:

«كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم خيبر ويوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف، تحته إكاف من ليف»[2].

يبدأ بالسلام

وكان رسول الله ﷺ إذا مرّ على جماعة بدأهم بالسلام، حتى قال بعض أصحابه: إنّه كلما أراد أن يبدأ النبي ﷺ بالسلام ـ إذا التقى به ـ فإذا بالنبي ﷺ يسبقه ويسلّم عليه[3].

ويعفو عن الأعرابي

وروي عن أنس: أنّ النبي ﷺ أدركه أعرابي فأخذ بردائه، فجبذه جبذة

(١) مكارم الأخلاق: ص١٦ ب١ ف٢ في تواضعه وحيائه ﷺ.

(٢) مستدرك الوسائل للنوري: ج٨ ص٢٦٨ ب١٣ ح٣.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج٢٢ ص٣٤ ب٣٧.

شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال له: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك.

فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك وأمر له بعطاء[1].

مجلسه حلقة

روي عن أنس بن مالك ـ خادم رسول الله ﷺ ـ قال: **«كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلسنا حلقة»**[2].

هذا الخلق الرفيع الذي لا يدع المجلس صدراً وذيلاً، ولا تهان كرامة أحد في المجلس لا عند الناس، ولا عند نفسه، فكل جالس في مثل هذا المجلس الدائري هو المبتدأ به، وهو الأخير، وهو الوسط.. هو الذي اتخذه الرسول ﷺ لسياسة جلساته مع المسلمين..

وقد تعلّم العالم هذا الخلق عن النبي الأكرم ﷺ بعد ما سار التمدّن فيه أكثر من عشرة قرون.

ولذلك تجد مجالس البرلمان، ومجالس الوزراء، ومجالس الساسة ـ في كثير من بلدان العالم اليوم ـ دائرية.

والحديث عن خلق النبي ﷺ في معاشرته مع الأفراد طويل.. وطويل.. لاتأتي عليه هذه الصفحات.

ولكنا نكتفي بهذه النماذج لكي يتبعه القادة الإسلاميون في عصورنا فيعكسوا هذه الصورة الجميلة عن الإسلام وعن الرسول ﷺ فيجلبوا الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة في ظل الإسلام الجميل.. الجميل..

---

(١) مكارم الأخلاق: ص١٧ ب١ ف٢ في تواضعه وحيائه ﷺ.

(٢) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٦ ب٩ في مشيه ﷺ.

وإنك لعلى خلق عظيم[1]

وفي آخر هذا الفصل نذكر خبراً مروياً عن ربيب رسول الله ﷺ ومن فتح عينيه عند الولادة في وجه رسول الله ﷺ ولم يفتحهما في وجه أحد قبله.

ومن أغمض النبي ﷺ عينيه ـ في آخر لحظات حياته الكريمة ـ في حجره ولم يغمضهما في حجر غيره، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو الأعرف برسول الله ﷺ، فقد روي عنه عليه السلام أنّه قال:

«ما صافح رسول الله ﷺ أحداً قط فنزع ﷺ يده حتى يكون هو الذي ينزع يده.

وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف.

وما نازعه أحد الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت.

وما رئي مقدّماً رجله بين يدي جليس له قط.

ولا خيّر بين أمرين إلا أخذ بأشدّهما.

وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى ينتهك محارم الله فيكون حينئذ غضبه لله تبارك وتعالى.

وما أكل متكئاً قط حتى فارق الدنيا.

وما سئل شيئاً قط فقال: لا.

وما ردّ سائلاً حاجة قط إلا بها أو بميسور من القول.

وكان أخفّ الناس صلاة في تمام.

وكان أقصر الناس خطبة وأقلّهم هذراً.

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

وكان يعرف بالريح الطيب إذا أقبل.
وكان إذا أكل مع القوم كان أوّل من يبدأ وآخر من يرفع يده.
وكان إذا أكل أكل مما يليه، فإذا كان الرطب والتمر جالت يده.
وإذا شرب شرب ثلاثة أنفاس.
وكان يمصّ الماء مصّاً ولا يعبّه عبّاً.
وكان يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه.
فكان لا يأخذ إلا بيمينه، ولا يعطي إلا بيمينه.
وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه.
وكان يحب التيمن في كل أموره، في لبسه وتنعلّه وترجلّه.
وكان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا تكلّم تكلّم وتراً، وإذا استأذن استأذن ثلاثاً.
وكان كلامه فصلاً يتبيّنه كل من سمعه.
وإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه.
وإذا رأيته قلت: أفلج الثنيتين، وليس بأفلج.
وكان نظره اللحظ بعينه.
وكان لا يكلّم أحداً بشيء يكرهه.
وكان إذا مشى كأنما ينحطّ من صبب.
وكان يقول: إنّ خياركم أحسنكم أخلاقاً.
وكان لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يتنازع أصحابه الحديث عنده.
وكان المحدّث عنه يقول: لم أر بعيني مثله قبله ولا بعده ﷺ»[1].

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢٣ ب١ ف٢ في جمل من أحواله وأخلاقه ﷺ.

أقول: هذا الحديث الشريف بحاجة ماسّة إلى شرح طويل، أما ضيق مجالنا في هذا الكتاب يحملنا على ترك شرحه إلى فرصة أخرى..

ولكن هذا لا يمنعنا عن الإشارة ـ في هذا المجال ـ إلى أنّ من الضروري الأكيد لأي قائد سياسي إسلامي أن يتحلّى بأكبر وأكثر ما يمكن من الخلق الرفيع والمعاملة العطوفة المحببة مع الناس لكي يجلبهم إلى حظيرة الإسلام، أو يبقيهم في الإسلام، فإنّ أفضل وأسهل وأسرع وأعمق العوامل لزرع المحبّة في القلوب، هي الأخلاق الفاضلة والمعاملة الإنسانية العطوفة مع الناس.

فإنّ ذلك من أعظم السياسة في إدارة الناس.

فكل تاريخ رسول الله ﷺ سياسة وحكمة، في مختلف أبعادها ووجوهها..

فسياسته ﷺ في جمع العساكر وسوق الجيش إلى الحرب..

وسياسته ﷺ في كيفية الجمع بين القوّة في الحرب وسرعة الانتصار وبين عدم الخروج عن إطار الإسلام والإنسانية.

وسياسته في معاملة الجرحى، والمعاقين، وأسرهم، وذويهم، ويتامى المقتولين، وأراملهم.

وسياسته في القضاء وفصل الخصومات بين أصحابه وكيفية التوفيق بين الفصل العادل، والقضاء الصحيح، وبين إبقاء الناس على حبهم لله والرسول وفي إطار الإسلام.

وسياسته في جمع المال من الأغنياء، وأصحاب التجارات والمزارع، والمواشي وغيرها، في الأخذ منهم، وإبقائهم على حبهم للإسلام ولله تعالى والرسول ﷺ.

وسياسته في توزيع الأموال بنسب مختلفة على المسلمين والمنافقين، بل والمشركين من المؤلّفة قلوبهم، في شتى المناسبات.

وسياسته في مجالسته مع المسلمين، ومع المنافقين، والحديث معهم، وحفظه على الوقار والتواضع، والجمع بين ذلك كله.

وسياسته في دعوته لأقربائه، وللعشائر والقبائل، ولليهود والنصارى، للدخول في الإسلام، وكيفية الجمع بين الفقراء والأغنياء، والمستكبرين والمستضعفين، والآباء والأولاد، والرجال والنساء، استدراجاً لهم إلى الإيمان.

وسياسته في إظهار المعجزات، وكيف؟ ومتى؟ ولمن؟ بحيث يبقي على المسلمين، ويدخل الكفّار في الإسلام، وفي نفس الوقت لايكون كل فعل منه معجزة يعجز عنها الناس حتى يمكن اتخاذه أُسوة ولا تبطل حكمة الله تعالى في بعث الرسل.

وسياسته في الجمع بين اللين والقوّة، حتى لا يكون ليناً في ضعف، ولا متواضعاً في ذلّ، ولا قوّة في خشونة، ولا شدّة في عنف وغلظة.

وسياسته في الجمع بين صراحة الحق، وحياء الإسلام، فلا صراحة تطرد الناس، ولا حياء يحمل الطامعين على استغلاله للعب بالإسلام.

وسياسته في الهجرة، وكيفيتها، وزمانها وطريقها، وأسلوبها، التي جمعت كل خير في ذاك اليوم ولمستقبل الإسلام حتى اليوم.

وسياسته في دعوته رؤساء الدنيا، والملوك إلى الإسلام، وأسلوبه، واختيار المبعوثين فيها، ووصاياه لهم.

وسياسته مع زوجاته، وتقسيم أوقاته بينهن والجمع بين مهامّه العظيمة ومسؤولية الرسالة وبين إدارة زوجاته على اختلافهن في العمر، والقومية، واللسان، والشكل، والعادات.

وسياسته في تأسيس المساجد فوراً في أرجاء شبه الجزيرة العربية كلّما سنحت له ﷺ فرصة ليكون مجمعاً للمسلمين ومركزاً لانطلاق الدعوة،

والحرب، والقضاء، وجمع المال وتوزيعه، وغير ذلك من مزاولة سياسة والعباد.

وسياسته في إبقاء جناحين متقابلين حوله باسم (المهاجرين) و(الأنصار) وتأييد كل منهما في مناسبة وأخرى، وتشجيع كل منهما بالآخر، قولاً وعملاً.

وهكذا دواليك كل ما في سيرته الوضّاءة، وتاريخه العظيم، فهي سياسة عظيمة وحكيمة تحيّر العقلاء إذا أمعنوا النظر فيها.

كيف لا، وهذه السياسات بأمر الله تعالى خالق كل شيء، والعالم بالأسرار، وهو القائل عزّ من قائل عن نبيّه الأعظم ﷺ:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[1].

فسياسة الرسول ﷺ هي حكم الله تعالى، وحكم الله عزّ وجلّ هو أفضل وأجمع وأحكم سياسة، لأنّه الخالق، العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء.

هذا غيض من فيض، ورشف من بحر، وقليل من كثير، في سيرة الرسول ﷺ وسياسته فيها، وتعميقه إياها طيلة تاريخه الحافل بالمكرمات.

نسجّل هذا لكي لا يتصدّى لتعريف الإسلام من يجهل الإسلام.

وينقطع الطريق على الذين يشوهون بأقلامهم الإسلام.

وتبرأ ساحة الإسلام الناصعة من كل ما يمارس باسم الإسلام في أكثر البلاد الإسلامية ـ في هذا العصر ـ مما الإسلام منه براء.

فالإسلام يؤخذ من سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته ﵈. ويعرف من خلال تاريخ النبي ﷺ وأهل بيته ﵈. ويفسّر بممارسات رسول الله ﷺ وعترته الأطهار فحسب!

---

(١) سورة النجم: الآيات ٣ و٥.

من هذا العرض الوجيز يستطيع القارئ أن يعرف: كيف أنّ الإسلام والسياسة الصحيحة رضيعا لبن. وكيف أنّ أحدهما يفسّر بالآخر.

فالسياسة الصحيحة هي الإسلام.

والإسلام هو السياسة الصحيحة.

فلا سياسة صحيحة إلا في الإسلام.

ولا إسلام إلا مع السياسة الصحيحة.

وغير هذا الكلام باطل، ينقضه القرآن الحكيم، والسنّة المطهرة، وسيرة النبي ﷺ وتاريخ أهل بيته الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

الفصل الثالث

السياسة الرشيدة لأمير المؤمنين عليه السلام

«علي محك المؤمنين»[1].

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المثل الآخر الصحيح الذي عكس سياسة الإسلام بكل دقّة وروعة واستيعاب، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ويدلّ على ذلك المئات من آيات القرآن الحكيم التي نزلت، أو أُولت، أو فُسرت بعلي بن أبي طالب عليه السلام في تفضيله وأولويته.[2]

وكذلك آلاف الأحاديث النبوية الشريفة التي ملأت كتب التفسير والحديث والتاريخ، ومنها ما يلي:

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«علي مع الحق والحق مع علي»[3].

«علي مع القرآن والقرآن مع علي»[4].

«يا عمّار بن ياسر: إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٤٢ ص١٣٣ باب١٢٢ ح١٥ عن الاختصاص، وفيه: (البدر التمام، محك المؤمنين، ووارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين).

(٢) وقد جمع المصنّف (دام ظلّه) منها، في كتاب: (عليٌّ في القرآن) فراجع.

(٣) المناقب للمازندراني: ج٣ ص٦٢ فصل في أنه مع الحق والحق معه.

(٤) كشف الغمّة للإربلي: ج١ ص١٤٨ في بيان أنه مع الحق والحق معه.

وادياً غيره، فاسلك مع علي»[١].

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»[٢].

«أنا دار الحكمة وعلي بابها»[٣].

«علي مني بمنزلة رأسي من بدني»[٤].

إلى ما هنالك من أمثالها الكثير.. والكثير..

لذلك:كانت سياسة أمير المؤمنين عليه السلام العملية خير درس للقادة وللمسلمين في تطبيق حياتهم العملية السياسية عليها، كما كان ذلك بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله فهو النبي وعلي عليه السلام الوصي[٥]، وهو الصنو وعلي الصنو الآخر[٦]، وهو العضد وعلي الذراع[٧] ـ كما وصفه صلى الله عليه وآله هو بذلك.

وفي هذا المجال المختصر، وبعد ما ذكرنا نماذج من سياسة الرسول صلى الله عليه وآله في مختلف أدوار حياته الحافلة، نذكر نماذج أخرى من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في شتى أحوال تاريخه العظيم ليكون شفعاً لتلك، ومنهاجاً حياً

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١٣ ص١٨٦ ح٧١٦٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٣٧ ح٤٦٣٧ ط١ عام ١٤١١هـ ١٩٩٠م دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج١ ص٦٤ ط٤ دار الكتاب العربي، وراجع سنن الترمذي: ج٥ ص٦٣٧ ح٣٧٢٣ ط: دار إحياء التراث العربي بيروت، وتحفة الأحوذي: ج١٠ ص١٥٥ ط: دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) تاريخ بغداد: ج٧ ص١١ ح٣٤٧٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، وفيض القدير للمناوي: ج٤ ص٣٥٧ ط المكتبة التجارية الكبرى مصر.

(٥) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت وصيي وإمام أمتي». أمالي الشيخ الصدوق: ص١٢ ح١٠ المجلس الثالث.

(٦) والصنو: المثل، وأصله أن تطلع نخلتان من أصل واحد... فكل واحدة منها صنو، والاثنان صنوان. لسان الميزان لابن منظور: ج١٤ ص٤٧ «مادّة صنا». إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: **«انت مني كالصنو من الصنو»**. الصراط المستقيم للنباطي: ج١ ص٢٥٢ ب٨.

(٧) إشارة إلى قوله عليه السلام: «أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالعضد من المنكب وكالذراع من العضد..». شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٢٠ ص٣١٥ الحكم المنسوبة ٦٢٥.

فضيلاً للجميع، ودليل صدق على حكمة الإسلام وعدله وإنسانيته في الحكومة والسيطرة والسيادة، لينتبه المغفّلون.. وليلقم الظالمون حجراً فيسكتون. وليكون كوّة نفتح بها الطريق للباحثين ليكتبوا عن مختلف أدوار حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام بمختلف الأقلام، وفي شتى المستويات لكي يُسد هذا الفراغ الكبير في المجتمع الإسلامي الذي يحن بكل شوق إلى معرفة هذه السيرة الوضاءة من خلال تحليلات صحيحة ورصينة..

خصوصاً في الآونة الأخيرة التي بدأ المسلمون في كل العالم يشعرون بعمق خطوط الاستعمار في البلاد الإسلامية، ويبحثون عن استقلال فكري في الحكم مبني على أسس الإسلام الصحيحة وتطبيقها على واقع الأمة الإسلامية المعاصرة.

وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وتاريخ أمير المؤمنين عليه السلام خير درس وأسوة لوضع لبنات الحكم الإسلامي المعاصر على أسسهما.

وهذا الأمر بحاجة إلى آلاف الكتب المختلفة في هذا المجال.

ومن الطرق إلى ذلك: التلاحم والتواصل الفكري المعمق بين الحوزة العلمية، والجامعة، لوضع صيغة صالحة وغنية من أجل التطبيق العملي في العصر الحاضر، للحكومة الإسلامية الإلهيّة الحقّة، والله الموفق.

سياسة الحياة الشخصية

القائد تكون أعمالُهُ درساً للشعب، ومنهاجاً للأجيال، ولذلك كان القائد متحملاً لما يمارسه الشعب نتيجة تعلمه منه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

والحياة الشخصية للقائد أدق مدرسة للأجيال المتمسّكة بذلك القائد، ولهذا كان من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام بناء حياته الشخصية على الإيمان والزهد. وإليك نماذج من ذلك:

لا للدنيا وما فيها

ما كان أهون عند علي بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا وما فيها.

فالمال، والحكم، والسلطة، والفرش، واللباس، والقصور، والأكل، والشرب.. كلها عند علي عليه السلام لا شيء، إلا بمقدار الحاجة الضرورية. ولعل أعمق مثال للدنيا في منظار أمير المؤمنين عليه السلام ما أفصح عنه في كلمته الخالدة:

«والله، لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق[1] خنزير في يد مجذوم»[2].

ما أعظمها من كلمة.

عراق خنزير، في يد مجذوم.

الخنزير لا يرغب فيه، فكيف بعراقه.

والمجذوم لا يرغب فيما بيده ولو كانت الدنيا برمتها، لأنّ الدنيا برمتها لاتساوي عدوى الجذام الأكيد.

فكيف بعراق من خنزير وفي يد مجذوم.

من يرغب في مثل ذلك..؟

الإمام علي عليه السلام يعتبر الدنيا أهون من ذلك.

لم يضع لبنة على لبنة

نقل العلامة المجلسي رحمه الله في (بحار الأنوار) عن (الكافي) رواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

---

(١) العراق ـ بكسر العين ـ هو من الحشا ما فوق السرة معترضاً البطن. والعراق ـ بضم العين ـ جمع عرق: وهو العظم عليه شيء من اللحم. راجع تاج العروس للزبيدي، ج٧ ص٦ «مادّة العرق».

(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم: ٢٣٦.

«ولقد ولي علي‌عليه السلام خمس سنين فما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعة، ولا أورث بيضاء، ولا حمراء»[1].

ما وضع آجرة على آجرة: يعني، ما بنى بيتاً من آجر مطبوخ.

ولا لبنة على لبنة: يعني، ما بنى بيتاً من اللبن غير المطبوخة.

ولا أقطع قطيعة: يعني، لم يخص أرضاً وقطعة بنفسه.

ولا أورث بيضاء ولا حمراء: يعني، ما ترك إرثاً لورثته، لا فضّة ولا ذهباً.

إلا إهاب كبش

نقل في (بحار الأنوار)، عن (المناقب)، عن مسند أحمد بن حنبل، عن أمير المؤمنين‌عليه السلام أنّه كان يقول:

«ما كان لنا إلا إهاب[2] كبش أبيت مع فاطمة بالليل، ونعلف عليها الناضح بالنهار»[3].

يقتدي به المؤمنون

وروى أيضاً:

إنّه رئي على علي‌عليه السلام إزار غليظ اشتراه بخمسة دراهم، ورئي عليه إزار مرقوع، فقيل له في ذلك، فقال‌عليه السلام:

«يقتدي به المؤمنون، ويخشع له القلب، وتذل به النفس، ويقصد به المبالغ»[4].

---

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٧٨ ب٩ ح١١٦.

(٢) الإهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ لسان العرب: ج١ ص٢١٧ (مادّة أهب).

(٣) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٢٣ ب٩٨ ضمن ح٦.

(٤) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٢٣ ب٩٨ ضمن ح٦.

تربية للنفس وتربية للمجتمع وقدوة وأسوة
وتوحيد المظهر والمخبر «أشبه بشعار الصالحين».
كلها تتجسد في إزار غليظ يلبسه أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.
هذا هو العمق المعنوي، والبعد الروحي، ونكران الذات، والتفاني في الله، كلها مجتمعة في شخصية القائد الإسلامي.

خرق كمه

وروى أيضاً: «**إنّ علي بن أبي طالبعليه السلام نظر إلى فقير انخرق كمّ ثوبه، فخرق كمّ قميصه وألقاه إليه**»[1].

لم يغير ثيابه

أربع سنوات أو أكثر قضاها أمير المؤمنينعليه السلام بين الكوفة والبصرة، وهو الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية الواسعة الأطراف.

خلال هذه المدة الطويلة لم يشتر من مال المسلمين ثياباً لنفسه، ولم يأخذ من أموال البصرة والكوفة شيئاً لذلك.

بل ظل على ثياب المدينة كل هذه المدّة الطويلة، إلا إذا اشترى من عطائه الخاصّ كأضعف مستضعف من مسلم آخر في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

فاقرأ النصوص التالية:

نقل (المناقب)، عن الأصبغ بن نباتة قال: توجّه عليعليه السلام إلى أهل البصرة وقال:

«**يا أهل البصرة ما تنقمون مني، إنّ هذا لمن غزل أهلي ـ وأشار إلى قميصه ـ**»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٢٣ ب٩٨ ضمن ح٦.

(٢) المناقب: ج٢ ص٩٨.

وقال عليه السلام:

«دخلت بلادكم بأشمالي هذه، ورحلتي وراحلتي ها هي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنني من الخائنين»[١].

ونقل في (البحار)، عن (كشف الغمة)[٢]: قال هارون بن عنترة: حدّثني أبي قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق[٣] وهو يرعد تحت سمل[٤] قطيفة، فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ الله تعالى جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع. فقال عليه السلام:

«والله ما أرزأكم من أموالكم شيئاً وإنّ هذا لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها»[٥].

هل في هذه البلاد، وفيها مثل هذه السياسة الشخصية للقائد الأعلى، يصل الحيف بأحد؟

هل يعرى أحد في ظل مثل هذا النظام؟

هل يجوع أحد هكذا؟

إنّه الإسلام العظيم.

طعام أمير المؤمنين

في الوقت الذي عمت الخيرات بلاد المسلمين وبفضل الإسلام، فكان المسلمون وغير المسلمين يرفلون في نعيم من الطيبات.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٢٥ باب٩٨ ح٧.

(٢) كشف الغمة: ج١ ص١٧٣.

(٣) الخورنق: موضع مشهور بظاهر الحيرة، انظر معجم البلدان للحموي: ج٢ ص٤٠١.

(٤) السمل: الثوب الخلق.

(٥) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٣٤ باب٩٨ ح١٥.

وكانت الكوفة ـ عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام ـ لا تجد بها إلا المنعَّم من الناس.

في مثل هذا الظرف تجد سيد الكوفة، وسيد البلاد الإسلامية، وزعيم الإسلام: أمير المؤمنين عليه السلام لا يأكل حتى ما يأكله أدنى الناس.

فانظر إلى النصوص التالية:

نقل المجلسي رحمه الله عن فضائل أحمد: قال علي عليه السلام:

«ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً، إن أدناهم منزلة ليأكل البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات»[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام في حديث:

«كان علي بن أبي طالب... ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير، والزيت والخل»[٢].

وعن سويد بن غفلة قال: «دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام العصر، فوجدته جالساً بين يديه صحفة فيها لبن حازر أجد ريحه من شدّة حموضته، وفي يده رغيف، أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسره بيده أحياناً، فإذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه.

فقال عليه السلام: ادن فأصب من طعامنا هذا.

إلى أن قال: فقلت لجاريته وهي قائمة بقريب منه: ويحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟

ألا تنخلون له طعاماً.

(١) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٢٧ ب٩٨ ضمن ح٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٠٢ باب١٠٧ ح١.

إلى قوله: قال عليﷺ لي: ما قلت لها؟

قال: فأخبرته.

فقالﷺ: بأبي وأمي من لم ينخل لـه طعام، ولم يشبع من خبز البـر ثلاثـة أيام حتى قبضه الله»[١]. يعني بذلك رسول الله ﷺ.

لا يأكل اللحم في السنة إلا مرة

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالبﷺ لايأكل اللحم في الـسنة إلا مـرة واحدة، في يوم عيد الأضحى وذلك لأنّ هذا اليوم هو اليوم الـذي يأكـل فيـه كل المسلمين اللحم، من وفور لحم الأضاحي..

فلكي يواسي إمام الأمة أضعف الأمة، يأكل اللحم في ذلك اليوم فحسب.

هذا في أيام خلافته الظاهرية التي كانت مسؤولية الأمة برمتها عليه.

وقد نقل العلامة المجلسيﷺ في (البحـار)، عـن القطـب الراونـدي فـي (الخرائج) قولهﷺ:

«واعلم أنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه[٢].. يسد فورة جوعه بقرصيه[٣].. لا يطعم الفلذة[٤] في حوله إلا في سنة أضحيته»[٥].

الإمام علي أمير المؤمنينﷺ لا ينظر إلـى أهـل المدينـة فحـسب، الـذين يجدون غالباً اللحم فيأكلونه، ولا ينظر إلى أهل الكوفة فقط التي تتـوفر فيهـا

---

(١) راجع مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٢٩٩ـ٣٠٠ ب٧٢ ح١٤.

(٢) الطمر: هو الثوب الخلق. والطمران باعتبار أنهما قطعتان مئزر ورداء.

(٣) قرصيه: أي، قرصين من خبز، ولعلّه كان يتغذى بأحدهما ويتعشى بالآخر. يعني، في كل يوم قرصان.

(٤) الفلذة ـ بالكسر ـ القطعة من اللحم. راجع مجمع البحرين للطريحي: ج٣ ص٢٧ «مادّة فلذ».

(٥) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣١٨ ب٩٨ ح٢.

اللحوم من كل الأنواع، من الغنم، والبقر، والإبل، والدجاج، والطيور، والأسماك.

وإنما ينظر إلى أقاصي بلاد الإسلام، وأهل الأرياف البعيدة، والفقراء الذين يسكنون الأخبية، فكلهم لا يجد اللحم كل يوم ليقتات به.

وما دام علي عليه السلام إمامهم جميعاً.

فكما عليهم أن يقتدوا به في أفعاله، يحتم على نفسه أن يقتّر على نفسه في مطعمه وملبسه ـ بل ومسكنه ـ كأضعف رعيته.

عظيم جداً هذا الإنسان.

وعظيمة جداً هذه السيرة.

وعظيم جداً الإسلام الذي يربي هكذا قائد.

صوت القلي في بيته

من أغرب وأعجب ما حفظه التاريخ عن السيرة الشخصية لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه سمع ذات مرة صوت القلي في بيته فأنكر ذلك، لأنّه لم يكن قلي لحم في بيت علي عليه السلام أيام خلافته.

روى الشيخ الجليل المفيد قدس سره بسنده عن ابن دأب في حديث مطول: «وسمع ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ مقلي في بيته فنهض وهو يقول: في ذمّة علي ابن أبي طالب مقلي الكراكر[1]؟

قال: ففزع عياله وقالوا: يا أمير المؤمنين إنها امرأتك فلانة نحرت جزور في حيّها، فأخذ لها نصيب فأهدى أهلها إليها.

---

(١) الكراكر: قيل: إنها إحدى النفثات للبعير، أو الصدر خاصّة.

قال عليه السلام: فكلوا هنيئاً مريئاً.

قال: فيقال: إنّه لم يشتك... وإنما خاف عليه السلام أن يكون ذلك هدية من بعض الرعية، وقبول الهدية لوالي المسلمين خيانة للمسلمين»[1].

يعرف من هذا الحديث: إنّ وجود اللحم في بيت أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته كان شيئاً يدعو إلى العجب والغرابة.

ورقابة أمير المؤمنين علي عليه السلام للتصرفات الشخصية في بيته كانت دقيقة وحذرة، بحيث يعتبر عليه السلام قلي كراكر مرّة واحدة أمراً يكون علي عليه السلام هو المسؤول عنه، إذ يقول: «في ذمّة علي بن أبي طالب مقلى الكراكر».

ثم يفزع عياله لذلك: لما يعرفون منه عليه السلام من الحزم والصرامة في الحق، ولكي يخبروه عليه السلام بأنهم لم يخالفوا إرادته ولا أخفوا في بيته عنه ما لايرضاه.

ومع هذا كله: فلا يمانع صلة الرحم بين زوجته وأقربائها، بل يشجع ذلك ويدعو لهم.. ويخصّهم بدعائه، لأنّ علياً لا يأكل من ذلك في وقت ليس كل المسلمين يجدون مثله..

هل رأى التاريخ ـ بعد النبي صلى الله عليه وآله ـ عظيماً كهذا؟ فليعرفوه لنا!

لا.. لاحتكار أموال الأمة

كان علي أمير المؤمنين عليه السلام لا يحتكر أموال المسلمين، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله، بل يعمد إلى توزيعها فور وصولها إليه.

وهكذا يجب أن يكون القائد الإسلامي.

انظر النصّ التالي:

روى ابن شهر آشوب رحمه الله في كتاب (مناقب آل أبي طالب) عن سالم

---

(١) الاختصاص: ص١٥٣ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

الجحدري قال: «شهدت علي بن أبي طالبعليه السلام أتي بمال عند المساء، فقال: اقتسموا هذا المال. فقالوا: قد أمسينا يا أمير المؤمنين فأخّره إلى غد.

فقال لهم: تقبلون لي أن أعيش إلى غد؟

قالوا: ماذا بأيدينا؟

فقال: لا تؤخّروه حتى تقسموه.

فأتى بشمع فقسموا ذلك المال من تحت ليلتهم»[١].

أي قائد في عالم اليوم يفعل مثل ذلك؟

لا أحد تجد هكذا.

إذن نعلم بحق كيف استطاع أمير المؤمنين عليعليه السلام بسيرته الوضاءة أن يحكم التاريخ حتى اليوم وغدى بكل عظمة وإجلال نبراساً يقتدى به.

وربما ينبري سؤال: لماذا التقسيم في المساء ولا يستفيد المسلمون منه إلا في الغد؟

قد يجاب لأسباب:

الأول: زوال المسؤولية عن القائد المؤمن الذي يرى المسؤولية أعظم ما يثقل كاهله.

الثاني: اطمئنان بعض المحتاجين من المؤمنين إلى هذا المال فيقرروا مصير غدهم المالي به.

الثالث: التعجيل في الخير مطلقاً الذي وردت به الآيات والروايات.

مثل قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٢].

---

(١) انظر المناقب: ج٢ ص٩٥ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

وقوله سبحانه: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

وقوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[3].

وقد ورد في الحديث الشريف: «**فتعجّل الخير ما استطعت**»[4].

لا يأخذ لنفسه

وجاء في سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه كان يقسّم الأموال، ولا يأخذ لنفسه منها شيئاً في حين أنه كان بحاجة إليها.

ذكر ابن شهر آشوب رحمه الله في (المناقب): أنّه عليه السلام كان يأتي عليه وقت لايكون عنده قيمة ثلاثة دراهم يشتري بها إزاراً، وما يحتاج إليه، ثم يقسم كل ما في بيت المال على الناس ثم يصلي فيه ويقول: «**الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته**»[5].

البساطة في الحياة

البساطة في الحياة الشخصية مما عرف بها أمير المؤمنين عليه السلام فكان لايعبأ بالتجملات إطلاقاً، ولا يصرف ثواني من وقته في سبيلها.

وهكذا ينبغي أن يكون القائد الإسلامي لكي يصرف أوقاته كلها في أمور المسلمين والمستضعفين.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٦١.

(٤) تهذيب الأحكام: ج٢ ص٤١ ب٤ ح٨١.

(٥) المناقب: ج٢ ص٩٥ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

أورد المجلسي رحمه الله في (البحار) عن (المناقب)، عن أبي الجيش البلخي قال: «إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام اجتاز بسوق الكوفة فتعلّق به كرسي فتخرق قميصه، فأخذه بيده، ثم جاء إلى الخياطين فقال: خيطوا لي ذا، بارك الله فيكم»[1].

وعن الأشعث العبدي قال: «رأيت علياً عليه السلام اغتسل في الفرات يوم جمعة، ثم ابتاع قميصاً كرابيس بثلاثة دراهم، فصلّى بالناس الجمعة وما خيط جربانه بعد»[2].

وعن الزمخشري قال: «إنّ علياً عليه السلام اشترى قميصاً فقطع ما فضل عن أصابعه ثم قال للرجل: حصه. أي، خط كفافه»[3].

«وجاء علي عليه السلام إلى الحلاق، فأراد أن يأخذ من شاربه، وكان عليه السلام مشتغلاً بذكر الله تعالى تتحرك شفتاه، فقال له الحلاق: يا أمير المؤمنين كفّ عن الذكر لحظة حتى يعتدل الشارب، فقال علي عليه السلام: الأمر أسهل من ذلك. ولم يترك الذكر لحظة..».

نعم، في الحديث الشريف:

«إنّ الله جميل يحب الجمال»[4].

لكن الجمال ليس للمادّة فقط، بل للروح والمعنويات جمال أيضاً، وجمالهما أجمل من جمال المادّيات.

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام يعرف تماماً نسبة الجمال بعضه إلى بعض ويختار الجمال الأهم على الجمال المهم..

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٢٢ ب٩٨ ح٥.

(٢) المناقب: ج٢ ص٩٦ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٣) انظر بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٢٢ ب٩٨ ضمن ح٤.

(٤) الكافي للكليني: ج٦ ص٤٣٨ باب التجمل وإظهار النعمة ح١.

فذكر الله لحظة جمال أهم.

وتجميل الشارب جمال مهم.

نسبة الإرث إلى الدين

معظم الناس عندما يموتون تكون تركتهم أكثر من ديونهم، فتقضى الديون، وما يفضل يكون إرثاً للورثة يوزع عليهم.

أما أمير المؤمنين عليه السلام فكان بالعكس تماماً، إنه قُتل وديونه أضعاف تركته.

ديونه كانت أكثر من مائة ضعف بالنسبة لتركته.

كانت تركته سبعمائة درهم فضلت عن عطائه أراد أن يبتاع بها لأهله خادماً.

وكانت ديونه ثمانمائة ألف درهم[1].

وقد مر بيان ذلك عند ذكر سياسة النبي صلى الله عليه وآله.

يبيع سيفه للإزار

نقل ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عن مجمع، عن أبي رجاء، قال: أخرج علي عليه السلام سيفاً إلى السوق فقال: من يشتري مني هذا، فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته.

فقلت له: أنا أبيعك إزاراً، وأنسئك ثمنه إلى عطائك.

فدفعت إليه إزارا إلى عطائه. فلما قبض عطاءه دفع إلي ثمن الإزار[2].

ويقسم هداياه على المسلمين

وكان من عادة أمير المؤمنين علي عليه السلام التي عرفت فأثرت عنه أنّه لم يكن

---

(١) راجع وسائل الشيعة: ج١٨ ص٣٢٢ ب٢ ح١١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٠٠ مناقب علي وذكر طرف من أخباره في عدله وزهده.

ليحتكر الهدايا الشخصية التي تهدى إليه لنفسه فقط، بل كان يوزعها على المسلمين أحياناً، أو يشركهم مع نفسه فيها.

لنقرأ جميعاً النصوص التالية:

نقل العلامة المجلسي ﷺ في البحار عن (المناقب):

قال حكيم بن أوس: أتي إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأحمال فاكهة فأمر ببيعها، وأن يطرح ثمنها في بيت المال[١].

وقال أيضاً: كان علي عليه السلام يبعث إلينا بزقاق العسل فيقسم فينا، ثم يأمر أن يلعقوه[٢].

وعن عاصم بن ميثم قال: إنّه أهدي إلى علي عليه السلام سلال خبيص له خاصة، فدعا بسفرة، فنثره عليها، ثم جلسوا حلقتين يأكلون[٣].

وعن أبي حريز قال: إنّ المجوس أهدوا إلى علي عليه السلام يوم النيروز جامات من فضّة فيها سكّر، فقسم عليه السلام السكّر بين أصحابه وحسبها من جزيتهم[٤].

قال: وبعث دهقان إلى علي عليه السلام بثوب منسوج بالذهب، فابتاعه منه عمرو بن حريث بأربعة آلاف درهم إلى العطاء[٥].

عظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعظيم... وعظيم جداً.

يُهدى إليه ثوب منسوج بخيوط الذهب، يساوى أربعة آلاف درهم، فيبيعه ليجعل ثمنه في بيت المال.

ثم يشتري ثوباً غليظاً بثلاثة دراهم ويلبسه ويشكر الله.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص١١٧ ب١٠٧ ح٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص١١٧ ب١٠٧ ح٢٤.

(٣) المناقب: ج٢ ص١١١ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

(٤) المناقب: ج٢ ص١١١ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

(٥) بحار الأنوار: ج٤١ ص١١٨ ب١٠٧ ضمن ح٢٥.

أين يوجد لـه مثيل؟!

إنها مدرسة الإسلام، وتربية رسول الله ﷺ وسياسة السماء.

يستقي ويحتطب

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام كأقل الفقـراء مـالاً، يـستقي المـاء مـن البئـر بنفسه، ويحتطب بيديه الكريمتين، ليكون أسوة حسنة لعامّـة المـسلمين عبـر التاريخ الطويل، وقدوة عملاقة لزعماء المسلمين.. وكذلك كـان يقـوم بـسائر شؤونه الشخصية بنفسه.

فقد نقل الشيخ الكليني رحمه الله في (الكافي) بسنده عن زيد بن الحـسن، عـن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«كان علي عليه السلام أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله ﷺ. كان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم. وكان عليه السلام يستقي ويحتطب»[1].

وكان يرقع مدرعته بنفسه.

وكان يخيط ثوبه بنفسه.

وكان يخصف نعله بنفسه[2].

وبكلمة مختصرة: كان عليه السلام لا يلقي كَلّه علـى أحـد، وكـان يـزاول شـؤونه الشخصية بنفسه، فلا يترفع عن الناس في شيء، بل يعيش دون معيشة أغلب الناس، وهو الذي رفعه الله تعالى على سائر الأولياء والأئمة والأنبياء عليهم السلام ـ ما عدا رسول الإسـلام ﷺ الـذي قـال عنـه: **«أنا عبد من عبيد محمد ﷺ»**[3] ـ

(١) الكافي، ج٨ ص١٦٥ ب٨ ح١٧٦.

(٢) راجع نهج البلاغة، الخطب: ٣٣، ومن خطبة لـه عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة.

(٣) التوحيد للصدوق: ص١٧٤ ب٢٨ ح٣.

وهكذا كانت السيرة الخالدة العملاقة لأمير المؤمنين﵇ تنتج النتائج التالية:

١. جعلت علياً﵇ في رأس قائمة العظماء بعد رسول الله ﷺ.

٢. حطمت طواغيت البشرية في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

٣. علمت طريق الإنسانية والعظمة للقادة، وللشعوب.

وهكذا تربي السياسة الإسلامية مثل علي بن أبي طالب﵇.

وقد ذكر هو﵇ فلسفة هذا الزهد فقال:

«إنّ الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي، ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يطغي الغني غناه»[1].

لا.. للهدية

الهدية التي تهدى لأصحاب الحكم كثيراً ما يراد بها استمالة قلب الحاكم لكي يبطل بها الحق، أو يحق الباطل.

ولذا كان التأكيد شديداً في الأحاديث الشريفة على تحاشي الحكّام والقضاة ومن بيدهم الحول والطول، والحل والعقد، من قبول الهدايا. قطعاً لهذه الجذور التي تدع المجتمع غير آمن من الظلم والحيف والإجحاف.

أورد العلامة المجلسي﵀ في (البحار) عن أمير المؤمنين علي﵇ في قول الله عزّ وجل: **﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾**[2]:

قال﵇:

«هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته»[3].

---

(١) الكافي: ج١ ص٤١٠ باب سيرة الإمام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر ح١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٣) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٢٧٣ ب٣ ح٥.

وأورد أيضاً عن جابر بن عبد الله قال:

«هدية الأمراء غلول»[١].

ونقل الشيخ الأنصاري﵀ في (المكاسب) عن أمير المؤمنين﵇ قال:

«وإن أخذ . يعني الوالي . هدية كان غلولا»[٢].

وما ورد:

«إنّ هدايا العمّال غلول»[٣].

وفي حديث آخر:

«هدايا العمّال سحت»[٤].

والإمام أمير المؤمنين﵇ كان سيّداً في كل الفضائل، لذلك كان لايقبل الهدايا الشخصية لنفسه، كي لا يطمع فيه أحد، ولا يأمل أحد في إمكان استمالته ﵇..

وهو﵇ يذكر واقعة واحدة أهدى فيها إليه شخص هديّة فردّها ﵇، وهو يصيغ الموقف في هذه الصيغة الفولاذية التالية:

قال﵇ في بعض خطبه ـ بعد ما ذكر قصّة عقيل ورده﵇ له ـ: «وأعجب من ذلك[٥] طارق طرقنا بملفوفةٍ[٦] في وعائها، ومعجونة شنئتها[٧] كأنما عجنت بريق حيّة أو قيئها.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٢٧٣ ب٣ ح٦.

(٢) المكاسب: ج١ ص٢٣٩ المسألة الثامنة وص ٢٤٦ حكم الهدية.

(٣) المكاسب: ج١ ص٢٤٦ حكم الهدية.

(٤) المكاسب: ج١ ص٢٤٦ حكم الهدية.

(٥) أي، من رجاء عقيل أن أعطيه زائداً على سائر المسلمين.

(٦) نوع من الحلوى، أهداها الأشعث بن قيس إلى أمير المؤمنين علي﵇.

(٧) أي، كرهتها.

فقلت: أصلة، أم زكاة، أم صدقة[١]؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت.

فقال: لا ذا، ولا ذاك، ولكنها هدية.

فقلت: هبلتك الهبول[٢].

أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟

أمختبط أنت[٣]؟

أم ذو جنة[٤]؟

أم تهجر؟[٥].

والله.. لو أعطيت الأقاليم السبعة ـ بما تحت أفلاكها ـ على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة[٦] ما فعلته.

وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها»[٧].

هكذا يعامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نفسه حتى لا يخافه مظلوم، ولا يطمع فيه ظالم.

وما دام الحق هو هكذا.

و«علي مع الحق، والحق مع علي يدور معه حيثما دار»[٨].

فلا غرو إذاً في مثل هذه الأساليب الشجاعة في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الصلة، العطية، والزكاة: هي الزكاة الواجبة، والصدقة: هي الصدقة المستحبة، والفرق بينهما مذكور في كتب الفقه.

(٢) هبلتك: ثكلتك، والهبول: المراة لا يعيش لها ولد.

(٣) أي، مختل نظام إدراكك.

(٤) هو من أصابه مس من الشيطان.

(٥) أي، تهذي بما لا معنى لـه في مرض ليس بصرع.

(٦) أي، قشرة الشعيرة.

(٧) نهج البلاغة، الخطب: ٢٢٤ ومن كلام لـه عليه السلام يتبرأ من الظلم.

(٨) الفصول المختارة للمفيد: ص١٣٥ و٢٢٤.

فعلى الحكّام، والقضاة، والرؤساء أن يطبقوا سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حياتهم الشخصية أولاً، لكي يأمن المجتمع من الظلم والحيف، ثم يطبقوا سيرته عليه السلام في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية وما إليها.

سياسة معاملة الأقرباء

لم يكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كحكّام الدنيا يجعلون الأولوية في الرغبات لأقربائهم، فإذا فضل منها شيء جعلوها في سائر الناس.

بل كان عليه السلام ـ فيما يتعلّق بعامّة المسلمين ـ لا يفرّق أقرباءه عن غيرهم، وإنما كان ليساوي بينهم وبين غيرهم في مختلف المجالات.

وهذه هي السياسة الإسلامية الرشيدة التي طبّقها أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه وعلى أقربائه قبل أن يطبّقها على سائر الناس، ويطالبهم بالعمل عليها.

فمن أراد سياسة الإسلام فليتعلم من علي بن أبي طالب تلميذ رسول الله صلى الله عليه وآله وربيب القرآن، وحجّة الله على الخلق أجمعين.

وفيما يلي نذكر نماذج من كيفية معاملته مع أقربائه في الأمور العامّة.

مع أخيه عقيل

روى الشيخان الجليلان الكليني رحمه الله في كتاب (الكافي)، والمفيد رحمه الله في (الاختصاص) بأسانيدهما الصحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لما ولي علي عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إني والله لا أرزؤكم من فيئكم درهماً ما قام لي عذق بيثرب فليصدقكم أنفسكم، أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم.

قال: فقام إليه عقيل فقال له:

والله.. لتجعلني وأسود بالمدينة سواء!!

فقال عليه السلام: اجلس، أما كان هاهنا أحد يتكلّم غيرك؟ وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى»[1].

ليس لأخ أمير المؤمنين، أخ سيّد الأوصياء، أخ الرئيس الأعلى للمسلمين فضل على غيره في العطاء والمال.

إنما الفضل عند الله بسابقة في الإسلام، وبتقوى من الله.

ومع عقيل أيضاً

نقل ابن شهر آشوب في (المناقب) عن (جمل أنساب الأشراف) قال:

«قدم عقيل على علي عليه السلام فقال للحسن عليه السلام: اكس عمّك، فكساه قميصاً من قميصه، ورداءً من أرديته.

فلما حضر العشاء فإذا هو خبز وملح.

فقال عقيل: ليس إلا ما أرى؟

فقال عليه السلام: أوليس هذا من نعمة الله فله الحمد كثيراً؟

فقال عقيل: أعطني ما أقضي به ديني، وعجل سراحي حتى أرحل عنك.

قال عليه السلام: فكم دَينك يا أبا يزيد؟

قال: مائة ألف درهم.

قال عليه السلام: والله، ما هي عندي ولا أملكها، ولكن أصبر حتى يخرج عطائي فأواسيكه، ولولا أنّه لابد للعيال من شيء لأعطيتك كله.

فقال عقيل: بيت المال في يدك وأنت تسوفني إلى عطائك؟ وكم عطاؤك، وما عسى يكون، ولو أعطيتنيه كله؟

---

(١) الكافي: ج٨ ص١٨٢ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ح٢٠٤، الاختصاص: ص١٥١ من كتاب ابن وأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال عليه السلام: ما أنا وأنت فيه إلا بمنزلة رجل من المسلمين.

ـ وكانا يتكلمان فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق ـ

فقال له علي عليه السلام: إن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله وخذ ما فيه!

فقال: وما في هذه الصناديق؟ قال: فيها أموال التجّار.

قال: أتأمرني أن أكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله وجعلوا فيها أموالهم؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكّلوا على الله وأقفلوا عليها.

ثم قال له علي عليه السلام في صيغة استثارة إيمانه وخلقه: وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا جميعاً إلى الحيرة، فإنّ بها تجاراً مياسير، فدخلنا على بعضهم وأخذنا ماله.

فقال عقيل: أو سارق جئت؟!

قال: تسرق من واحد خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً»[1].

هذه هي خلاصّة السياسة الإسلامية مع الأقرباء في منطق أمير المؤمنين عليه السلام.

إنّه عليه السلام يعتبر إعطاء شيء زائد لأخي خليفة الله في الأرض سرقة من المسلمين جميعاً.

وكذلك مع أخيه عقيل

وجاء في الخطبة (٢٢٤) من (نهج البلاغة) ما يلي:

«والله، لقد رأيت عقيلاً وقد أملق[1] حتى استماحني من بركم صاعا[2]

---

(١) المناقب: ج٢ ص١٠٨ـ١٠٩ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

ورأيت صبيانه شعث الشعور،[٣] غبر الألوان[٤] من فقرهم، كأنما سوّدت وجوههم بالعظلم[٥].

وعاودني مؤكّداً، وكرر عليّ القول مردداً.

فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، وأتبع قياده[٦] مفارقاً طريقي.

فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها.

فضجّ ضجيج ذي دنف[٧] من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها[٨].

فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل![٩]

أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه؟

أتئن من الأذى، ولا أئن من لظى[١٠]؟»[١١]

في هذه الجمل غرائب.. وغرائب يذكرها الإمام علي عليه السلام فيما لو أردنا أن نقيسها بما يمارسه الحكّام، والقضاة، والموظّفون..

---

(١) أملق: افتقر أشد الفقر.

(٢) استماحني: استعطاني وطلب مني، البر: الحنطة.

(٣) أي: المتلبد من الوسخ.

(٤) أي: متغير اللون شاحبة من الفقر.

(٥) هو سواد يصبغ به، ولعله النيلة.

(٦) أي: زمامه.

(٧) أي: صاحب مرض وألم شديد.

(٨) أي: المكواة.

(٩) الثكل: فقدان الولد، أو مطلق الحبيب.

(١٠) لظى: اسم جهنم.

(١١) نهج البلاغة: ج٢ ص٢١٦ خطبة رقم ٢٢٤.

وللملاحظة نذكر ما يلي:

«استماحني من بركم» فالطعام للأمّة، وليس لأمير المؤمنين، وإن كان رئيساً أعلى وإماماً من الله تعالى على الناس أجمعين.

«أبيعه ديني» في منطق أمير المؤمنين عليه السلام إعطاء صاع واحد أي: ثلاثة كيلوات من حنطة المسلمين إلى أخيه عقيل الفقير.. الذي إغبرّ لون أولاده من الجوع، هذا بيع الدين..

«فأحميت له حديدة» عقيل كان آنذاك مكفوفاً لا يبصر، فأحمى له الإمام حديدة، وقرب الحديدة من جسمه، ولم يلصقها به، فقط لكي يتصور عقيل أنّ الحرارة مصير المخالف للحق، فيعذر أخاه أمير المؤمنين عليه السلام في منعه صاعاً من البر زيادة على عطائه وحقه.

«ثكلتك الثواكل» إنّ هذا الأمر البسيط عند كثير من الناس عظيم عند علي بن أبي طالب عليه السلام حتى ليستحق أن يقول لأخيه في مثل ذلك: «ثكلتك الثواكل».

ذلك: لأنّ الحق عظيم، وان كان صغيراً وقليلا.

«ولا أئن من لظى» في فلسفة أمير المؤمنين عليه السلام يعتبر خيانة صاع واحد من أموال المسلمين مستوجباً لنار جهنم..

فليفتح الرؤساء، والحكّام، والوزراء، والموظفون أبصارهم، لكي يحسنوا معرفة موقفهم، ومسؤوليتهم..

ومع أخته

نقل الشيخ الجليل المفيد رحمه الله في (الإختصاص) حديثاً مطولاً جاء فيه: ثم ترك ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ التفضيل لنفسه وولده على أحد من أهل الإسلام.

دخلت عليه أخته أم هاني بنت أبي طالب فدفع إليها عشرين درهماً.

فسألت أم هاني مولاتها العجمية فقالت: كم دفع إليك أمير المؤمنين؟

فقالت: عشرين درهماً.

فانصرفت مسخطة.

فقال لها علي‏عليه السلام: انصرفي ـ رحمك الله ـ ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل على إسحاق[1].

أخت أمير المؤمنين، بنت أبي طالب، بنت عم النبي‏صلى الله عليه وآله هاشمية قرشية عربية أصيلة يجب أن لا تفضّل في العطاء على مولاة أعجمية.

هذه سياسة الإسلام العادلة التي مثّلها أمير المؤمنين‏عليه السلام لكي يكون الميزان الصحيح عبر كل الأجيال والعصور، يوزن به القادة في كل زمان ومكان.

ومع ابنته

روى المؤرّخون: «أنّه بعث إلى أمير المؤمنين‏عليه السلام من البصرة من غوص البحر بتحفة لا يدرى ما قيمته، فقالت له ابنته أم كلثوم: يا أمير المؤمنين أتجمّل به ويكون في عنقي؟

فقال علي‏عليه السلام لخازن بيت المال أبي رافع: يا أبا رافع أدخله إلى بيت المال.

ثم قال لابنته: ليس إلى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة من المسلمين إلا ولها مثل مالك»[2].

بنت أمير المؤمنين عليه السلام ينبغي لها أن لا تلبس ما لا تلبسه جميع النساء المسلمات. وهل لهذه النادرة نظير في قاموس السياسة والسياسيين؟

وهل نساء القادة يكون مستوى معيشتهن وملابسهن كأضعف نساء الشعوب؟

---

(١) الاختصاص: ص١٥١ ومن كتاب ابن وأب في فضل أمير المؤمنين‏عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٠ ص١٠٦ ب٩١ ح١١٧.

تلك هي سياسة الإسلام التي ندعو العالم إليها، لينعم الجميع في ظل الكرامة الإنسانية التي جعلها الله للإنسان، وخلق الإنسان لها.

ومع زوجته

ونقل في (المناقب) عن أم عثمان ـ أم ولد أمير المؤمنين عليه السلام ـ .

قالت: «جئت علياً عليه السلام وبين يديه قرنفل مكتوب في الرحبة، فقلت: يا أمير المؤمنين هب لابنتي من هذا القرنفل قلادة.

فقال عليه السلام: هاك ذا، ونفذ بيده إليّ درهماً.

ثم قال عليه السلام: فإنما هذا للمسلمين أولاً، فاصبري حتى يأتينا حظّنا منه فنهب لابنتك قلادة»[1].

ومع صهره

عبد الله بن جعفر الطيار، ابن أخيه، وصهره على ابنته عقيلة الهاشميين زينب الكبرى عليها السلام. وكان رجلاً صالحاً مؤمناً من سادات بني هاشم، كريماً يطعم الناس، وله سفرة مفتوحة صيفاً وشتاءً، وليلاً ونهاراً.

ضاقت عليه الدنيا ذات مرّة، فجاء إلى عمّه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة، فوالله، مالي نفقة إلا أن أبيع دابّتي؟!

فقال عليه السلام له: لا والله، ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمّك أن يسرق فيعطيك[2].

هذه هي سيرة أمير المؤمنين عليه السلام مع أقربائه!

تطبيق دقيق لسياسة الإسلام في كل المستويات.

---

(١) المناقب: ج٢ ص١٠٩ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٠٠ مناقب علي وذكر طرف من أخباره في عدله وزهده.

سياسة علي مع موظّفيه

رقابة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للموظفين كانت في رأس سياسته الإدارية لهم. إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام لا يريد الموظفين لكي يسبحوا باسمه ـ شأن كثير من الحكام والساسة ـ وإنما يريدهم يسبحون باسم الله تعالى، يريدهم على طريق الله دقيقاً وكاملاً ودائماً، لذلك: فكما تم نصبهم على يده، كذلك يرى نفسه مسؤولاً عن تصرفاتهم.

فكان ينصحهم، ثم يوجههم، ثم يعاتبهم على تصرفات غير لائقة، ثم إن لم يفد ذلك كله كان يعمد إلى عزلهم، وعقوبتهم إن استحقوا العقوبة.

فالحصانة الدبلوماسية، والحصانة الإدارية، وحصانة الوظيفة، ونحو هذه المصطلحات لا مفهوم لها عند علي بن أبي طالب عليه السلام إذا خرج الدبلوماسي عن الحق، وجار الإداري، وعمد الموظّف إلى ما لا يليق به من إجحاف، أو ظلم، أو عدم اهتمام بالأمة..

فالأصل في اختيار الموظّف وإبقاء الموظّف هو واحد في منطق أمير المؤمنين عليه السلام لايختلف أحدهما عن الآخر:

(الله والأمة) هذا هو الأصل الأصيل في اختيار الموظّف، وهذا هو الأصل الأصيل في الإبقاء على الموظّف.

وقد حفظ التاريخ في هذا المجال: أنّ بعض المقرّبين إلى أمير المؤمنين عليه السلام فعل ما استوجب به العقوبة، ففرّ عن علي عليه السلام، فأخذوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال للإمام: «**والله إن المقام معك لذل، وإن تركك لكفر**»[1]. يريد بذلك: أنك لا تفرق بين أصدقائك وغيرهم ولا تسامحهم بما لاتسامح به غيرهم.

---

(١) المناقب: ج٢ ص١١٣ فصل في حلمه وشفقته عليه السلام.

عزل الوالي فوراً

ذكر في التاريخ: إنّ امرأة من بني همدان اسمها (سودة بنت عمارة) شكت إليه والياً فعزله الإمامعليه السلام والتفصيل كما يلي:

ذكر الإربلي في (كشف الغمّة) عن كتاب ابن طلحة، عن سودة بنت عمارة الهمْدانية ـ في حديث دخولها على معاوية ـ قالت: «والله لقد جئته ـ تعني أمير المؤمنينعليه السلام ـ في رجل كان قد ولاّه صدقاتنا، فجار علينا.

فصادفته قائماً يصلّي، فلما رآني انفتل من صلاته ثم أقبل علي بلطف ورفق ورحمة وتعطف وقال:

ألك حاجة؟

قلت: نعم، فأخبرته الخبر.

فبكىعليه السلام ثم قال: ـ رافعاً طرفه إلى السماء ـ:

«اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك».

ثم أخرجعليه السلام قطعة جلد فكتب فيها:

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك. والسلام».

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

قالت: ثم دفع الرقعة إلي، فوالله ما ختمها بطين، ولا خذمها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنّا معزولاً»[١].

وللبحث الفقهي والحكم الشرعي في هذه المسألة مجال آخر واسع غير مثل هذا الكتاب الذي وضع لبيان النقاط في اختصار، والإلمام السريع بسيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام السياسية، لكي نستلهم منها ومن سيرة النبي صلى الله عليه وآله دروس السياسة الصحيحة في تاريخنا المعاصر.

التعليم العملي للوالي

نقل الإربلي أيضاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

«وكان عليه السلام قد ولى على عكبرا[٢] رجلاً من ثقيف، قال: قال لي علي عليه السلام: إذا صلّيت الظهر غداً فعد إليّ، فعدت إليه في الوقت المعيّن...

فوجدته جالساً وعنده قرح وكوز ماء، فدعا بوعاء مشدود مختوم.

فقلت في نفسي: قد أمنني حتى يخرج إليّ جوهراً.

فكسر الختم وحله فإذا فيه سويق. فأخرج منه، فصبه في القدح، وصب عليه ماءً، فشرب وسقاني، فلم أصبر.

فقلت له: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرته.

فقال: أما والله، ما أختم عليه بخلاً به، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن ينقص، فيوضع فيه من غيره، وأنا أكره أن أدخل بطني إلا طيباً.

فلذلك احترز عليه كما ترى.

ثم قال عليه السلام: فإياك وتناول ما لا تعلم حلّه»[٣].

---

(١) كشف الغمّة: ج١ ص١٧٤، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج٦٩ ص٢٢٥ في ترجمة سودة رقم٩٣٦٣، والاستيعاب لابن عبد البر: ج٣ ص١١١١، عن أبي اسحاق السبيعي، نحوه.

(٢) بلدة في طرف بغداد من ناحية سامراء.

(٣) كشف الغمّة: ج١ ص١٧٥ في وصف زهده في الدنيا وسنّته في رفضها.

العزل لرفع الصوت

أورد النوري في (مستدرك الوسائل) عن كتاب (غـوالي اللئـالي) قـال: «روي أنّ أمير المؤمنين ولى أبا الأسود الدؤلي القضاء ثم عزله.

فقال أبو الأسود له: لم عزلتني وما خنت ولا جنيت؟

فقال: **«إني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك»**[١].

المتخاصمان إنسانان محترمان في منطق الإسلام، وليس للقاضـي أن يهينهمـا بأية إهانة، ورفع الصوت نوع إهانة، وليس ذلك من أدب الإسلام في القضاء..

إذن ينبغي أن يعزل القاضي الذي يمارس ذلك، وإن كان مثل أبي الأسـود الدؤلي في علمه وفضله، وخلقه وقربه من أميـر المـؤمنين فـإنّ الحـق لا مداهنة فيه في منطق علي بن أبي طالب.

وقد كتب المحدّث القمّي عن أبي الأسود الدؤلي ما يلي:

«أبو الأسود الدؤلي، أحد الفضلاء الفصحاء من الطبقة الأولـى مـن شـعراء الإسلام، وشيعة أمير المؤمنين وكان من سادات التابعين وأعيانهم.

وهو بصري يعد من الفرسان والعقلاء»[٢].

وهو واضع علم النحو بإشارة من أمير المؤمنين.[٣]

أرفع إليّ حسابك

بالرغم من أنّ سيرة أمير المؤمنين في حياة رسول الله وبعد وفاته في حياة من تقدّمه كانت خير معرف لـه في مستقبل حياتـه،وكان الـولاة

(١) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣٥٩ ب١١ ح٨.

(٢) سفينة البحار: ج١ ص٦٦٩ باب السين بعده الواو.

(٣) راجع كنز العمّال للهندي: ج١٠ ص٢٨٣ رقم ٢٩٤٥٦ ـ في علم النحو ـ

والموظّفون الذي يبثهم هنا وهناك يعرفون أسلوب أمير المؤمنين عليه السلام جيداً..

لكن مع ذلك كله لم يكن ليفوّت علياً عليه السلام مراقبة أحوال ولاته وعمّاله ومحاسبتهم، لكي لا يظلم بعضهم الناس..

كتب عليه السلام إلى بعض ولاته وقد بلغه عنه بعض سوء التصرف:

«أمّا بعد، فقد بلغني عنك أمر إن كنت قد فعلته فقد أسخطت ربك

وعصيت إمامك.

وأخزيت أمانتك.

بلغني: أنّك جرّدت الأرض، فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك. فارفع إليّ حسابك.

واعلم، أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام»[1].

الناس في منطق الإسلام أحرار، لا يطالب أحد منهم بحساب، ولايقال لأحد منهم: من أين لك هذا؟ قضاءً لحكم الله تعالى العام الشامل:

«وضع أمر أخيك على أحسنه»[2].

الذي يصطلح عليه الفقهاء بـ (أصالة الصحّة) طبعاً إلا في بعض حالات استثنائية من باب المهم والأهم المستفادين من نفس الشريعة الإسلامية:

أما الوالي، والحاكم، والعامل والموظف الكبير، فيقال له: من أين لك هذا؟

ويحاسب في أمواله، وما عنده.

ويهدد بحساب الله الذي هو أعظم، وأشد.

إرساءً للعدل، وأماناً للأمّة عن الظلم والحيف.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٠، ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٠٤ المجلس ٦٢ ح٨.

لئن خنت

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض عمّاله ـ وهو زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة ـ كتاباً كما يلي:

«وإني أقسم بالله صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً...

لأشدّن عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل، الأمر والسلام»[١].

العامل: يعني، الموظف الذي يختاره الإمام عليه السلام لسياسة البلدان وإدارتها لابدّ وأن يتوفّر فيه شرطان:

العلم، والعدالة.

فيجب أن يكون عالماً بأحكام الإسلام، والحلال والحرام، وكيفية الوساطة في الأمور بين الله تعالى وبين خلقه.

ويجب أن يكون عادلاً، مؤمناً، خيراً، لا فاسقاً، ظالماً، مجحفاً.

والعامل الذي اجتمع فيه العلم والعدالة لماذا كل هذا التهديد الشديد معه؟

إنه صرامة الحق، وحدّته التي هي أشدّ من حدّ السيف..

فخيانة أموال المسلمين خيانة للمسلمين، وخيانة لأمير المؤمنين، وخيانة لله تعالى.

ومن مارس مثل هذه الخيانات المجتمعة يستحق مثل هذا التقريع.

هكذا يؤدّب أمير المؤمنين علي عليه السلام عمّال البلاد في سياسة الإسلام، وهكذا ينبغي أن يكون تأديب الإمام للولاة، والعمّال، والموظّفين، لكي يأمن المسلمون من الخيانة والحيف.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٠.

وقد قال الإمام علي عليه السلام في كلام آخر له:

«وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمّة...

وأفظع الغشّ غشّ الأئمة»[١].

مسؤولية البقاع والبهائم

وجاء في بعض خطبه عليه السلام التي خطبها في أوائل خلافته مايلي:

«اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»[٢].

المسؤولية في منطق أمير المؤمنين عليه السلام لا تخصّ الإسلام والإيمان فقط، ولا المسلمين والمؤمنين فحسب، ولا الرجال والنساء فقط، ولا البشر فقط، وإنّما هي تعمّ ما خلق الله تعالى مما يمكن للبشر الاستفادة منه في خير أو شر، بحق أو باطل، في هداية أو ضلالة، وما إليها..

حتى الأرض، والتراب والبلاد، والبر والبحر.. الناس مسؤولون عنها بشتى أنوع المسؤولية: سكناها، زراعتها، تركها، إسرافها، ونحو ذلك. وحتى البهائم والحيوانات.. الإنسان مسؤول أمام الله تعالى عنها: ظلمها والرحمة بها، الاستفادة منها في خير أو شر، تبذيرها وإسرافها.. وغير ذلك.

هذه، هي حدود المسؤولية في سياسة علي بن أبي طالب عليه السلام فليعتبر بذلك الأمّة والقادة.

وليصححوا المسيرة على هدى أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٦ ومن عهد لـه عليه السلام إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٧ ومن خطبة لـه عليه السلام في أوائل خلافته.

الحرية في حكومة أمير المؤمنين

كان عصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عصراً نعم فيه الناس بالحرية الواسعة الإسلامية، خصوصاً بعد أن كان عهد عثمان بن عفان متميّزاً بالقسوة والفظاظة، حتى أنّ مثل الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه الذي أطرى عليه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله كرّات ومرات، كان لا يجد مجالاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذه الحرية الإسلامية التي فسح لها المجال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت أشبه شيء بالحريات التي منحها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس في صدر الإسلام، فكما كان يعيش في المدينة المنورة وحواليها حتى وفاة النبي صلى الله عليه وآله بجنب المسلمين، المشركون واليهود والنصارى والمنافقون، مختلطين في دورهم وأسواقهم، يتعاملون ويمارسون حرّياتهم المتبادلة في ظلّ الإسلام العظيم.

كذلك كان المسلمون، واليهود، والنصارى، والمجوس، والمشركون، بل كل البشر يعيشون في ظلّ الإسلام عيشة محترمة هانئة، في عزّة ورفاه في عصر أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد أثر عنه عليه السلام في هذا المجال: «**فإنهم ـ أي الناس ـ صنفان إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق**»[1].

هذه الكلمة الفذّة العظيمة الخالدة التي تفسح المجال لاحترام البشر بما هو بشر، لكي ينظر إليه الناس من هذا المنظار فتجمعهم جميعاً كلمة العدل وحق الإنسانية.

وبحق نقول: إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو واضع الأسس العميقة للحرية ـ بعد النبي صلى الله عليه وآله ـ بأقواله، ومنفذ ثابت للحرية بأعماله

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاّه على مصر وأعمالها.

وممارساته في أوساط الأمّة. ومما ورد في نهج البلاغة عنه عليه السلام في الحث والتحريض على الحرية قوله عليه السلام:

«ألا حرّ يدع هذه اللماظة[١]».

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»[٢].

«أيها الناس إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإنّ الناس كلهم أحرار، ولكنّ الله خول بعضكم بعضاً»[٣].

وهكذا كان علي عليه السلام هو أول من طبق هذه الأقوال على حياته العملية وأسس حكومة إسلامية عادلة حرة، الناس فيها أحرار، على وتيرة دولة رسول الله صلى الله عليه وآله تماماً. وإليك بعض الأمثلة لذلك:

ابن الكوا

كان ابن الكوا رجلاً منافقاً خارجياً ملعوناً[٤] مشاكساً لعلي بن أبي طالب عليه السلام في أوج حكومته الواسعة التي كانت ذلك اليوم أوسع حكومة على وجه الأرض، وكان علي عليه السلام ـ بالإضافة إلى أنّه إمام من عند الله والرسول صلى الله عليه وآله ـ أكبر حاكم على الكرة الأرضية.. فكان يلقي اعتراضاته على أمير المؤمنين عليه السلام في أوساط النّاس، وبصورة شرسة.

يذكر العلامة المجلسي رحمه الله عن كتاب (المناقب) بسنده: كان علي عليه السلام في صلاة الصبح، فقال ابن الكوا من خلفه:

---

(١) اللُّماظة، بالضم: بقية الطعام في الفم، يريد بها الدنيا، أي، لا يوجد حر يترك هذا الشيء الدني لأهله. نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٥٦.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١ ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين.

(٣) الكافي: ج٨ ص٦٩ ح٢٦.

(٤) سفينة البحار: ج٢ ص٤٩٩ باب الكاف بعده الواو.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية.

ثم عاد علي عليه السلام في قراءته.

فأعاد ابن الكواء:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فأنصت علي عليه السلام أيضاً تعظيماً للقرآن.

ثم عاد علي عليه السلام في قراءته.

فأعاد ابن الكوا:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فأنصت عليه السلام أيضاً تعظيماً للقرآن.

فلما أتم ابن الكواء قراءة الآية للمرة الثالثة قرأ علي عليه السلام.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[2].

ثم أتم السورة وركع عليه السلام.[3]

أية حرية للناس هذه التي تسمح لرجل منافق أن يتهجّم على الرئيس الأعلى للعالم الإسلامي وهو مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٢) سورة الروم: الآية ٦٠.

(٣) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٤٣٠ ب٢٦ ح٦٣٩.

حال الصلاة، ويتعرّض لـه عليه السلام بالشرك والحبط..

ثم ينصت لـه الإمام عليه السلام تعظيماً للقرآن الكريم. ويتكرر الأمر ثلاث مرات.

ويتم الإمام عليه السلام صلاته دون أن يفعل بابن الكواء شيئاً.

ويعود ابن الكواء إلى مسيرته السابقة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

أين هذه الحرية من حرية البلاد الحرّة في عالم اليوم؟

وهل يجرأ إنسان عادي لمثل ذلك مع أي رئيس أو زعيم؟

وإن حصل هذا فهل يمرّ بسلام؟

لا يجيب عليه التاريخ إلا بالنفي، حتى في هذا اليوم، في أكثر بلاد العالم حرّية. وهذا ما طبقه علي عليه السلام من الحرّية الإسلامية.

فليسمع الذين يقولون: لا حرّية في الإسلام.

أبو هريرة

كان أبو هريرة الذي تربى في بعض العهود السابقة على البذخ والترف، فجاءه عصر علي بن أبي طالب عليه السلام بمرّ الحق ودقّة الإسلام وضبط العدل..

فلم يرقه ذلك، فوقف في وجه علي عليه السلام معاتباً مشاكساً يريد أن يعلّم علي بن أبي طالب عليه السلام سياسة الإسلام وتطبيق حكم القرآن.

كأنه لم يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في علي عليه السلام الكثير.. والكثير من الفضائل والحسنات.

مثل قوله صلى الله عليه وآله:

«علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»[1].

---

(١) الفصول المختارة للمفيد: ص٩٧.

وقوله ﷺ:

«علي وارث علمي وحكمتي»[١].

وقولـه ﷺ:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[٢]. إلى المئات.. والألوف من نظرائها.

كل ذلك من أبي هريرة.

أمّا من علي عليه السلام فلم يؤثر ذلك كله في أن يغير موقفاً منه تجاه أبي هريرة.

بل بالعكس كان علي عليه السلام يقضي حوائج أبي هريرة بعد ذلـك أيـضاً، انظـر هذه القطعة التاريخية:

نقل العلامة المجلسي قدس سره عن (المناقب) قال:

«وجاء أبو هريرة إلى علي عليه السلام ـ وكان تكلّم فيه وأسمعه في اليوم الماضـي ـ وسأله حوائجه فقضاها.

فعاتبه أصحابه على ذلك فقال عليه السلام: إني لأستحي أن يغلـب جهلـه علمـي، وذنبه عفوي، ومسألته جودي»[٣].

وأبو ذر رضي الله عنه وهو الصحابي العظيم الجليـل، يـتكلّم بـالحكم الـشرعي فـي مجلس عثمان ـ وهو الرجل المعروف ـ فلم يكن لـه جزاء سـوى الـضرب، والحبس، والتهجير، والجوع، والإذلال، والموت.

أمّا أبو هريرة ـ وهو المعروف بأحاديثه الموضوعة على النبي ﷺ ـ[٤]

(١) راجع خـصائص الأئـمـة للشريف الرضي: ص٧٥ قـطعـة مـن الأخـبـار المـروية فـي إيجاب ولاء أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الفصول المختارة: ص٢٢٠ و٢٢٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٤١ ص٤٩ ب١٠٤ ضمن ح١.

(٤) ابن ماجة في سننه: ج١ ص١٣٠ ح٣٦٣، ذكر قول أبو هريرة: يا أهل العراق أنتم تزعمون أني أكذب على

أولاً: يجرأ أن يتكلّم على علي بن أبي طالب عليه السلام في وجهه.

وثانياً: هو يعلم بالحرّية الإسلامية التي يمارسها أمير المؤمنين عليه السلام فلايخاف بطشاً ولا عقوبة.

وثالثاً: لا يعاقبه علي بن أبي طالب عليه السلام بالرغم من علمه بأنّ أبا هريرة عاص ومذنب في هذا الصنيع، ساحق للحق، يبحث عن الباطل والظلم.

ورابعاً: يجرأ أبو هريرة في الغد أن يطلب إلى علي عليه السلام حوائجه.

وخامساً: بالفعل يقضي علي عليه السلام حوائجه.

كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

ثم يعاتبه أصحابه على ذلك، فيجيبهم بمنطق العلم والعفو والجود..

هذه هي حرية الإسلام، في هذا المستوى الرفيع.

عطاء الخوارج

الخوارج حاربوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وشهروا السيوف عليه وعلى أصحابه.

وقتلوا الألوف من المؤمنين والمؤمنات من أصحاب علي عليه السلام وشيعته.

وأقاموا على علي عليه السلام حرباً عظيمة.

ومع ذلك كله حفظ التاريخ لأمير المؤمنين عليه السلام:

«أنه لم يقطع عطاء الخوارج من بيت المال»[1].

أية حرية هذه وفي أي بعد؟

رسول الله صلى الله عليه وآله... وذكره البخاري في الأدب المفرد: ج١ ص٣٣١ ح٩٥٦ ومسند أحمد: ج٢ ص٤٢٤ ح٩٤٧٩ كما يروى أن عمر ضربه بالدرة وقال له: قد أكثرت الرواية، وأحرى بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله. انظر شرح نهج البلاغة: ج٤ ص٦٧.

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٢٤ ب١ ح١٠٠.

أين يوجد نظير لهذه الحرية في التاريخ، ما عدا رسول الله ﷺ ومن كان في خط الله تعالى وخط رسل الله وأوليائه؟

بايعوا ضباً

أجمعت الأمة على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان بيعة ثانية بعد ما كانوا قد بايعوه ـ قبل خمسة وعشرين عاماً ـ في غدير خم بأمر رسول الله ﷺ في منصرفه من حجّة الوداع[1].

وبايعه ثمانية من المنافقين فيمن بايعوه.

ثم خلعوا بيعته ـ بين أنفسهم ـ وبايعوا ضباً في الصحراء.

اقرأ القطعة التاريخية التالية:

نقل العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار) عن ابن شهر آشوب في (المناقب)[2] والقطب الراوندي في (الخرايج)[3]، والشيخ الصدوق في (الخصال)[4]، والصفّار في (بصائر الدرجات)[5]، وغيرهم بأسانيدهم عن الأصبغ بن نباتة قال:

أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد، وتخلّف عمرو بن حريث في سبعة نفر، فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمّى الخورنق، فقال: نتنزه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا علياً قبل أن يجمع ـ أي: قبل أن يصلي صلاة الجمعة ـ

فبينما هم يتغدّون إذ خرج عليهم ضب فصادوه.

---

(١) للتفصيل راجع (الغدير) للعلامة الأميني رحمه الله.

(٢) المناقب: ج٢ ص٢٦١.

(٣) الخرائج والجرائح: ج١ ص٢٢٥ـ٢٢٦ ب٢، وج٢ ص٧٤٦ـ٧٤٧ ب١٥.

(٤) الخصال: ج٢ ص٦٤٤ـ٦٤٥ علم رسول الله ﷺ علياً عليه السلام ألف باب ح٢٦.

(٥) بصائر الدرجات: ص٣٠٦ ب١٦ ح١٥.

فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفّه ـ أي، كفّ الضب ـ وقال:

بايعوا، هذا أمير المؤمنين!!

فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم.

ثم أفلتوه وارتحلوا.

وقال: إن علي بن أبي طالب يزعم أنه يعلم الغيب، فقد خلعناه وبايعنا مكانه ضباً.

فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين عليه السلام يخطب.

ولم يفارق بعضهم بعضاً، فكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد، فلما دخلوا، نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام من فوق المنبر وقد قطع حديثه، فقال:

«يا أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ إليّ ألف حديث لكل حديث ألف باب، لكل باب ألف مفتاح.

وإني سمعت الله جل جلاله يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[1].

وإني أقسم لكم بالله، ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضبّ. ولو شئت أن أسمّيهم لفعلت».

قال الأصبغ بن نباتة: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما يسقط السعفة حياءً ولؤماً، وجبناً وفرقاً[2].

كيف يأمن هؤلاء الثمانية أن ينكثوا بيعتهم؟

بيعتهم لأمير المؤمنين عليه السلام الذي اعتبره القرآن الحكيم نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في آية المباهلة[3].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٤١ ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ ب١١٤ ح٧، والقندوزي في ينابيع المودّة: ج١ ص٢١٨ رقم٣٥ روى نحوه.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

ثم يتمادوا في غيهم فيبايعوا ضباً إيغالاً منهم في إهانة أمير المؤمنين قسيم الجنّة والنار.

وموقف أمير المؤمنين عليه السلام منهم موقف العطف والرحمة، يعـرفهم، ويخبـر عنهم، ومع ذلك يحجم عن ذكر أسمائهم لكي لا يحطمهم الناس..

ومع ذلك كله يظل الثمانية على نفاقهم وضلالهم.

مثل هذه الحرّية لا توجد إلا في الإسلام.

ولا يمثلها إلا حاكم إسلامي عادل مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وأميـر المـؤمنين عليه السلام، ومن كانت سيرته متابعة لسيرتهما.

وساطة في التزويج

كانت الكوفة تجمع خليطاً من العرب والفرس، وغيرهما من الأمـم الـذين دخلوا في الإسلام في العصور المتأخرة عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله..

وكانت القومية قد ركزت في قلوب بعضهم، نتيجـة ضـعف الإيمـان فـي نفوسهم..

لذلك: جعل بعض العرب يمتنع عن تزويج غير العرب.

فجاء غير العرب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فذكروا لـه ذلك، وطلبوا إلـى أميـر المؤمنين عليه السلام أن ينصحهم ويقوم بدور الوساطة في ذلك.

ففعل علي عليه السلام ذلك، ولم يستجب أولئك لعلي عليه السلام.

أية حريّة هذه التي يسعى أمير المؤمنين عليه السلام في التزويج، فلا تقبل وساطته، ولا يحرّك ساكن؟

هذه هي حرّية الإسلام.

وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. سورة آل عمران: الآية ٦١.

صلاة التراويح

كان النبي ﷺ يصلّي نوافل شهر رمضان فرادى ولم يجز أن تُصلى جماعة، حتى أنّ المسلمين اجتمعوا خلف رسول الله ﷺ في إحدى ليالي شهر رمضان، فلما أتمّ الصلاة، خرج من المسجد وذهب ﷺ إلى البيت ولم يسمح لهم في ذلك[١].

وكان الوضع هكذا في عهد أبي بكر.

وكذلك في فترة من عهد عمر بن الخطاب.

ثم رأى عمر أن تصلّى هذه النوافل جماعة وسميت بـ(صلاة التراويح) وجرى على ذلك عثمان بن عفان.

فلما جاء أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى الحكم منع عن التراويح كما لم يسمح بها رسول الله ﷺ.

غير أن جماعة من المسلمين حيث كانوا قد تعودوا صلاتها سنين طويلة خرجوا في مظاهرة ضد المنع عن التراويح..

فلما بلغ الخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام أمر بأن يتركوا ليفعلوا ما شاؤوا.[٢]

. وهذا من مصاديق الحرية في الإسلام حيث يدع الرئيس الأعلى للإسلام والمسلمين الناس يخالفونه، ولا يعاقبهم بشيء.

اتق الله

نقل في (المناقب) عن مسند أحمد بن حنبل قال:

قال الجعد بن نعجة الخارجي لأمير المؤمنين عليه السلام: اتق الله يا علي إنك ميت.

---

(١) راجع الطرائف لابن طاووس: ص٤٥٤ـ٤٥٥ إبداع عمر وقوله نعمت البدعة.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٢ ص٢٨٣.

قال عليه السلام له: «**لا بل والله قتلا، ضربة على هذا** ـ وأشار إلى رأسه الشريف ـ **قضاءً مقضياً، وعهداً معهوداً**، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾»[1]،[2].

أترى من كان يجرأ في ذلك الزّمان أن يقول لحاكم يحكم أكبر دولة في العالم مثل هذا القول إلا ويسجل القائل اسمه في سجل الأموات..؟

فلا جزاء له في المنطق غير الإسلامي، سوى السجن والتعذيب، والقتل في النهاية.

ولكن الرجل الخارجي يقول هذه الكلمة بكل حريّة واطمئنان دون وجل أو رعب، ويهين بهذه الجملة مثل أمير المؤمنين عليه السلام، ثم لم يكن له جزاء من أمير المؤمنين إلا فتح باب من أبواب الغيب الذي علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وإشفاعه بآية من القرآن يكذّب به القائل ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[3].

فالرجل مفتر في قوله: إنك ميت، لأنّ الله تعالى يقول:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[4].

وهذا منطق الكلمة حيث يحلّ محلّ منطق السيف.

وهذه هي الحرية التي لا توجد إلا في الإسلام.

سؤال بتعنت

نقل المحدث القمّي رحمه الله عن عبد العزيز الجلودي في كتاب (الخطب) قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

---

(١) سورة طه: الآية ٦١.

(٢) المناقب: ج٢ ص٩٦ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٣) سورة طه: الآية ٦١.

(٤) راجع بحار الأنوار: ج٥٤ ص٢٣١ باب١ ح١٨٨، والآية ١٦٩ في سورة آل عمران.

«سلوني فإني لا أُسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت فيه، لايقولها بعدي إلا جاهل مدع، أو كذّاب مفتر».

فقام رجل من جانب مجلسه وفي عنقه كتاب كأنه مصحف ـ وهو رجل أدم ضرب، أي: خفيف اللحم، طوال، جعد الشعر كأنه من مهودة العرب ـ فقال رافعاً صوته لعلي عليه السلام: أيها المدعي ما لا يعلم، والمقلد ما لا يفهم أنا السائل فأجب.

فوثب إليه أصحاب علي عليه السلام وشيعته من كل ناحية، فهمّوا به.

فنهرهم علي عليه السلام، فقال لهم: دعوه ولا تعجلوه فإن الطيش لا يقوم به حجج الله، ولا به تظهر براهين الله.

ثم التفت عليه السلام إلى الرجل وقال له: سل بكل لسانك وما في جوانحك فإني أجيبك.

ثم سأله الرجل عن مسائل فأجابه.

فحرك الرجل رأسه وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله»[١].

هذا مفهوم الحرية عند علي بن أبي طالب عليه السلام.

منطق الكلمة.. لا منطق العنف.

منطق الحوار.. بدل منطق الرصاص.

حريّة الكلام سمحت للسائل المتعنت أن يخضع فيكون مؤمناً مؤدباً.

ومنطق البرهان فسح المجال لليهودي العنيد أن يكون مسلماً خاضعاً.

وهذا هو منطق الإسلام، ومفهوم الحريّة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) سفينة البحار: ج١ ص٥٨٦ باب السين المهملة، والمحتضر لسليمان الحلّي: ص٨٨.

العفو عن السب

ذكر المؤرّخون في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام عند ما كان بالكوفة أيام خلافته:

أنّه مرت امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأته.

فقال رجل من الخوارج ـ وكان حاضراً هناك ـ:

قاتله الله كافراً، ما أفقهه.

فوثب القوم ليقتلوه.

فقال علي عليه السلام: رويدا إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب»[1].

هذا ما ذكر في التاريخ.

ولم أجد باقي القصة، وأن أمير المؤمنين عليه السلام، هل رد عليه السب لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[2].. أم عفاه وتركه.

والظاهر أنه قد عفا عنه، لأنه لو كان فعل علي عليه السلام معه شيئاً لاقتضى أن يسجله التاريخ أيضاً، وعدم ذلك دليل العفو عنه ظاهراً.

ولولا حرية الكلمة لما تجرأ الرجل الخارجي للتطاول على أمير المؤمنين عليه السلام ونسب الكفر إليه في وضح النهار، أمام عينيه وبمحضر أصحابه.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٢٠ ص٦٣ رقم٤٢٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

فالإمام عليه السلام بسياسته الرشيدة وحكمته السياسية، ترك الناس وما يقولون، لعلّه يكون صمام أمان يتنفس به أصحاب الأمراض النفسية، كي لا تصل النوبة إلى حدّ السيف، وقيام حرب ولو صغيرة داخل الكوفة.

وليس معنى ذلك أنّ الإسلام يجوّز لهذا الخارجي في أن يتفوّه بمثل هذه الجملة، كلا، فهذا الذي تكلّم به الخارجي من أبشع الحرام، وأشنع الآثام، ولكن المقصود هو بيان ما للحاكم الإسلامي الأعلى من سعة في منح الحرّيات للناس حتى لمثل هذا المنكر الفظيع.

تحليل الموقف

وإلا فالحكم الأولي الشرعي لمثل هذا الإنسان القتل.

لأنّ ساب النبي صلى الله عليه وآله وساب الإمام عليه السلام حدّه القتل، كما ذكر الفقهاء.

ونقل العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار) بأسانيد عدّة عن ابن عباس: أنّه مرّ بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لقائده ـ لأنّه كان مكفوفاً وقتئذ ـ : ما يقولون هؤلاء؟

قال: يسبون علياً عليه السلام.

قال: قربني إليهم.

فلما أن وقف عليهم قال: أيكم الساب الله؟

قالوا: سبحان الله، ومن يسب الله فقد أشرك بالله.

قال: فأيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قالوا: من يسب رسول الله فقد كفر.

قال: فأيكم الساب علي بن أبي طالب؟

قالوا: قد كان ذلك.

قال: فأشهد الله، وأشهد الله، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سب الله عزّ وجلّ»[١].

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام رواه عنه عبد الله بن سليمان العامري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء في رجل سمعته يشتم علياً ويبرأ منه؟ قال: فقال لي: **«والله، هو حلال الدم»**[٢].

وروي أنّه من ذكر النبي محمداً صلى الله عليه وآله أو واحداً من أهل بيته عليهم السلام بالسوء وبما لا يليق بهم، أو الطعن فيهم عليهم السلام وجب عليه القتل[٣].

وفي (دعائم الإسلام) عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن رجل تناول علياً عليه السلام.

فقال: **«إنّه لحقيق أن لا يقيم يوماً»**.

ثم قال عليه السلام: **«ويقتل من سبّ الإمام كما يقتل من سبّ النبي صلى الله عليه وآله»**[٤].

والأحاديث الشريفة في ذلك تعدّ بالعشرات.

ولا أراني بحاجة في هذا المجال المختصر إلى سردها جميعاً.

الأهم والمهم في الإسلام

لكن مع ذلك لم يقتل أمير المؤمنين عليه السلام الخارجي الذي سبّه ولم يأمر

---

(١) راجع نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص١٠٥، ومثله في مناقب الخوارزمي: ص١٣٧ الفصل١٤، والحاكم في المستدرك: ج٣ ص١٣٠ رقم٤٦١٥ و٤٦١٦ روى نحوه عن أم سلمة في قولها: لعبد الله الجدلي: أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقلت: معاذ الله! سبحان الله... أو فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سبّ علياً فقد سبّني، والثاني عنها كذلك قولها: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى، والأول رواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٩ ص١٣٠ والنسائي في السنن الكبرى: ج٥ ص١٣٣ رقم٨٤٧٦ وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله لبريدة حين أمره خالد بن الوليد أن يسبّ علياً امام رسول الله صلى الله عليه وآله: من سبّ علياً فقد سبّني. رقم٨٤٧٥، ومسند أحمد: ج٦ ص٣٢٣ رقم٢٦٧٩١ وغيرهم.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٢١٥ ب٢٧ ح٣٤٥٩٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص١٠٦ ب٢٣ ح٢٢٢٠١.

(٤) دعائم الإسلام للقاضي المغربي: ج٢ ص٤٥٩ـ٤٦٠ كتاب الحدود، ف٣ ح١٦٢٠.

بقتله، بل لم يدع أصحابه أن يقتلوه!!

ذلك للمصلحة الأهم، أو المفسدة في قتله، مما تخصّان أمير المؤمنين عليه السلام في ظروفه الخاصّة آنذاك، أو تعمّ الإسلام والمسلمين في ذلك الجو الخاصّ المحيط بهم، أو كلاهما.

وقد تكون تلك المصلحة مجرد إظهار عفو الإسلام وسماحته.

وربما تكون المفسدة تصور بعض الجهال عنف الإسلام وقسوته.

أو تمكّن نشر المغرضين واتباع الشيطان أن الإسلام قاس عنيد.

أو لغير ذلك.. فهذه الأمور هي أهم من تنفيذ حكم واحد من أحكام عقوبات الإسلام، وأجدر بالاهتمام، وأولى بالتنفيذ.

فدعاية السوء تؤثّر سلباً ـ أحياناً ـ على الإسلام وعلى الأمّة أكثر مما يؤثّر ـ إيجاباً ـ تنفيذ بعض أحكام الإسلام. وفي هذا المجال يقول المحقق القمّي رحمه الله ما مضمونه: «الذي أفتى به العلماء، وادعوا عليه إجماع الفقهاء، وجاء به النصّ الشرعي: أنّ سباب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام حدّه القتل. لكن يشترط أن لا يكون في تنفيذ هذا الحكم خوف الفساد»[1].

ولذلك ورد الحديث الصحيح السند، في الكافي عن زرارة عن أحدهما ـ يعني، الباقر أو الصادق عليهما السلام ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لولا أنّي أكره أن يقال: إنّ محمداً استعان بقوم حتى إذا ظفر بعدوّه قتلهم، لضربت أعناق قوم كثير»[2].

فدعاية السوء ضد رسول الله صلى الله عليه وآله أوجبت أن يترك النبي صلى الله عليه وآله قتل كثيرين ممن كانوا يستحقّون القتل، أو يجب قتلهم.

---

(١) جامع الشتات: ج٢ ص٧١٢.

(٢) الكافي: ج٨ ص٣٤٥ حديث إسلام علي عليه السلام ح٥٤٤.

من أصول سياسة الإسلام

وهذا أصل عميق من أُصول سياسة الإسلام يُستنبط منه الكثير من الأحكام السياسية الداخلية والخارجية الإسلامية.

وليس معنى ذلك أنّ كل أحكام الله تعالى تتغير بإستهزاء المستهزئين، بل معنى ذلك أنّ إستهزاءَ أو تهمةَ الإسلام، أو نبي الإسلامﷺ، أو أئمة الإسلامعليهم السلام بل وحتى مراجع الدين.. استهزاءً وتهمة ودعاية، تستوجب إضعاف الإسلام، وتضعيف المسلمين وتخذيلهم وحملهم على الوهن أو الشماتة بهم ونحو ذلك.. وفي نفس الوقت تشجيع الظالمين والكافرين وفتح ألسنتهم بالسوء على الإسلام والمسلمين.

فهذه الأمور تستوجب عدم تطبيق بعض المواد من العقوبات الإسلامية حفظاً على علو الإسلام، وعظمته وشموخه..

لقول النبيﷺ: «**الإسلام يعلو ولا يعلى عليه**»[1].

وبكلمة إذا ترتّب على تنفيذ عقوبة إسلامية، فساد عرف من جهة الشريعة، فإن مراعاته إذاً أهم من مراعاة تلك العقوبة، ترفع اليد عن أجراء العقوبة.

وقد صرّحت بذلك الأحاديث الشريفة. من ذلك: الحديث الصحيح الإسناد الذي رواه الشيوخ الثلاثة الأجلة، الكليني[2]، والصدوق[3]، والطوسي[4] رحمهم الله عن هشام بن سالم قال:

قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: ما تقول في رجل سبّابة لعليعليه السلام؟

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١٤٢ ب١ ح٢٠٩٨٥.

(٢) راجع الكافي: ج٧ ص٢٦٩ـ٢٧٠ باب النوادر ح٤٤.

(٣) راجع ثواب الأعمال: ص٢١١ عقاب الناصب والجاحد لأمير المؤمنينعليه السلام.

(٤) راجع تهذيب الأحكام: ج١٠ ص٨٦ـ٨٧ ب٦ ح١٠١، وص٢١٥ ب١٥ ح٥٢.

قال: فقال لي: حلال الدم والله.

ثم قال﵇: لولا أن تعمّ بريئاً.

قال: قلت: لأي شيء يعمّ به بريئاً؟

قال ﵇: يقتل مؤمن بكافر ولم يزد على ذلك.

وقد علّق العلامة المجلسي﵀ فيما نقل عن (مرآة العقول) هنا بقوله: «أي، أنت أو البلية بسبب القتل من هو بريء منه».[1]

لهذه الأمور ترك علي﵇ قتل الذي سبّه ومنع من قتله.

وعندما نقيس قضية سبّ علي﵇ بمحضره وعفوه عن السابّ ـ على وجازتها ـ بقضايا أُخرى لساسة معظم البلدان الإسلامية اليوم، تعرف البون الشاسع فيما بينهما..

فاليوم من يسبّ أحد رؤساء غالب البلدان الإسلامية، خصوصاً إذا كان في وجهه وبين أصحابه، فأقل عقوبة له الحبس، والتعذيب، ومنعه عن حقوقه القانونية، وعن تجارته وكسبه، ونحو ذلك، وقد يؤدّي به ذلك إلى الإعدام، أو الموت تحت التعذيب القاسي.

من هنا نعرف الحريّة في ظل أمير المؤمنين﵇ الذي هو المطبق الدقيق للإسلام العظيم.

تخلفوا عن البيعة

بعد مقتل عثمان بن عفان، بايع المسلمون الإمام أمير المؤمنين﵇ وتخلّف عن البيعة عدد من المنافقين.

لكن أمير المؤمنين﵇ لم يلزمهم البيعة.

---

(١) مرآة العقول: ج٢٣، ص٤١٩، شرح الحديث ٤٤، باب النوادر من كتاب الحدود.

وقد أراد بعض أصحابه إلزامهم بالبيعة، واستجاز في ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، لكنه لم يقابل من طرف الإمام عليه السلام إلا بالرفض الشديد.

وذلك تحقيقاً لممارسة الحرّية الإسلامية وإمعاناً من أجل منطق الكلمة، وكلمة المنطق، لا كلمة السيف والعنف.

قال العلامة المجلسي رحمه الله في البحار[1]:

فخرج علي عليه السلام إلى المسجد فبايعه الناس..

وجاءوا بسعد بن أبي وقاص.

فقال عليه السلام: بايع.

قال: لا حتى يبايع الناس.

فقال عليه السلام: خلوا سبيله.

وجاءوا بابن عمر، فقالوا: بايع.

فقال: لا حتى يبايع الناس.

قال عليه السلام: ائتني بكفيل.

قال: لا أرى كفيلاً.

قال الأشتر: دعني أضرب عنقه.

قال عليه السلام: دعوه، أنا كفيله.

وبايعت الأنصار إلا نفراً يسيراً منهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وسلمة بن مخلّد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك، ونافع بن خديج، وفضالة بن عبيدة، وكعب بن عجرة، وكانوا عثمانية.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٣٢ ص٧ـ٨ ب١ ح٢، والطبري في تاريخه: ج٣ ص٤٥١ خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، والبلاذري في انسابه: ص٢٠٧، بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها فراجع.

ولم يكن ردّ فعل أمير المؤمنين عليه السلام على هذه التخلّفات إلا النصيحة والدعوة إلى الحق فحسب.

نقل العلامة المجلسي قدس سره في (البحار) عن (الإرشاد) قال: لما اعتزل سعد ومن سميناه أمير المؤمنين عليه السلام وتوقفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه ثم قال ـ فيما قال ـ :

«وأيم الله لأنصحن للخصم، ولأنصفن للمظلوم.

وقد بلغني عن سعد، وابن مسلمة، وأُسامة، وعبد الله، وحسان بن ثابت أمور كرهتها.

والحق بيني وبينهم»[1].

هذا هو كل ردّ فعل أمير المؤمنين عليه السلام تجاه من تخلّفوا عن بيعته بلا حجّة لهم ولا منطق.

هنا تتجلّى الحرّية الإسلامية التي يمارسها الحاكم الإسلامي العادل، منطق الكلمة، وسيف المنطق، لا منطق السيف.

مع علمي بغدرهما

بايع الزبير وطلحة في جمهور المسلمين الذين بايعوا علياً عليه السلام ثم طلبا من أمير المؤمنين عليه السلام الإذن لهما في العمرة لمّا رأوا من عدم تفريق علي عليه السلام في العطاء بينهما وبين سائر المسلمين، وعدم استجابته عليه السلام لهما في تسليم الكوفة والبصرة إليهما، إذ علم الإمام عليه السلام بالمؤامرة التي تمت بينهما وبين معاوية في ذلك.

وكان علي عليه السلام يعلم أنّهما لا يريدان العمرة، ولكنهما يريدان الغدر

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٣ ب١ ح١٩.

والحرب، ومع ذلك لم يمتنع الإمام عليه السلام من الإذن لهما، قضاءً لممارسة الرئيس الحرية الإسلامية الرائعة.

فقد قال عليه السلام لهما حين استأذناه في الخروج إلى العمرة:

«لا والله، ما تريدان العمرة، ولكن تريدان البصرة».

وقال عليه السلام لابن عباس وهو يخبره عن استئذانهما في العمرة:

«إني أذنت لهما مع علمي بما انطويا عليه من الغدر، فاستظهرت بالله عليهما، وإنّ الله سيردّ كيدهما، ويظفرني بهما»[1].

مخالفة شريح

قال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عند ذكره بعض أحوال شريح: «وأقرّ علي عليه السلام شريحاً على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه، مذكورة في كتب الفقهاء.

وسخط علي عليه السلام مرة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء، وأمر بالمقام ببانقيا ـ وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنيها اليهود ـ فأقام بها مدّة حتى رضي عنه، وأعاده إلى الكوفة»[2].

هل من كاره

بعد ما تمت البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام وبايع جمهور المسلمين، عمد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمل لم يسبق له في التاريخ مثيل.

فقد نقل ابن شهر آشوب في (المناقب) عن الراغب، عن عمّار، وابن عباس أنّه قال: لما صعد علي عليه السلام المنبر قال لنا:

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص٢٩٩ ب١١٤ ح٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤ ص٢٩ نسب شريح وذكر بعض أخباره.

«قوموا فتخللوا الصفوف ونادوا: هل من كاره؟

فتصارخ الناس من كل جانب: اللهم قد رضينا وسلّمنا وأطعنا رسولك وابن عمّه»[١].

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة بالحق من عند الله تعالى، ومع ذلك يمتنع عن البيعة في أول الأمر لكي لا يقال عنها بيعة إكراه وإجبار.

ثم يبايعه الناسُ باختيارهم، ومن لم يبايع، لم يجبره على البيعة ومع ذلك كله، يأمر بتخلل الصفوف لعل هناك من كاره فيمنحه أمير المؤمنين عليه السلام حرّية البيعة، وحرّية الكلام، وحرّية الحوار، وحرّية البحث..

أية حرّية رائعة هذه في الإسلام يمارسها الرئيس الأعلى بعد تمام البيعة؟

إنها من خصائص الإسلام العظيم.

موقف الحسن البصري

كان الحسن البصري، كما ذكره المؤرّخون:

ممن قيل فيه: إنّه يبغض علياً ويذمّه.

ويقول فيه: لو كان علي يأكل الحشف ـ يعني، أردى التمر ـ بالمدينة لكان خيراً لـه مما دخل فيه.

وكان من المخذّلين عن نصرة علي عليه السلام.

وكان يقول علي عليه السلام عنه: أما إن لكل قوم سامرياً، وهذا سامري هذه الأمة، إلا أنّه لا يقول ﴿لا مِساس﴾[٢] ولكنه يقول: لا قتال»[٣].

---

(١) المناقب: ج٢ ص٢٥٩ فصل في إخباره بالغيب.

(٢) سورة طه: الآية ٩٧.

(٣) سفينة البحار: ج١ ص٢٦٢ باب الحاء بعده السين.

هذا الرجل لقيه عليﷺ وهو يتوضأ في ساقية فقال له:

أسبغ طهورك يا فتى.

قال: لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء.

قالﷺ: وإنك لحزين عليهم!؟

قال: نعم.

قالﷺ: فأطال الله حزنك»[1].

وهذا كل ما قابل به عليﷺ الحسن البصري.

كلمة بكلمة.

وسبة بدعاء عليه.

وهذا مفهوم الحرية الإسلامية في عمقها العظيم.

موقف الأشعث

وذكر ابن شهر آشوب في (المناقب) قال:

«وروي عن الحسن بن عليﷺ ـ في خبر ـ أنّ الأشعث بن قيس الكندي بنى في داره مئذنة فكان يرقى إليها إذا سمع الأذان في أوقات الصلاة في مسجد جامع الكوفة، فيصيح من على مئذنته: يا رجل إنك لكاذب ساحر».

وماذا كان رد فعل الإمامﷺ لهذه الجريمة النكراء؟

إنه مجرد إخبار عن مصير هذا الرجل الوقح.

قال الإمام الحسنﷺ متابعاً: «وكان أبي يسميه: عنق النار.

وفي رواية: عرف النار.

(١) سفينة البحار: ج١ ص٢٦٢ باب الحاء بعده السين.

فيسأل عن ذلك، فقال: إن الأشعث إذا حضرته الوفاة يدخل عليه عنق من النار ممدودة من السماء فتحرقه فلا يدفن إلا وهو فحمة سوداء».

هذا كل رد فعل الإمامعليه السلام للأشعث بن قيس مقابل فعلته التي من يفعل مثلها في سلطان أي طاغوت فأقل ما يصيبه ـ كرد فعل ـ السجن والتعذيب والمنع عن الحقوق السياسية والإجتماعية.

أما أمير المؤمنينعليه السلام فهو سلطان حق، وخليفة الله، ورئيس مطبق للإسلام بدقة وإتقان.

«فلما توفي الأشعث نظر سائر من حضره إلى النار وقد دخلت عليه كالعنق الممدود حتى أحرقته وهو يصيح ويدعو بالويل والثبور»[1].

الدية لمقتول المعارضة

لما عزم أمير المؤمنينعليه السلام لصد معاوية ورده، والمسير إلى صفّين، خطب خطبة حرض فيها الناس على الجهاد، فعارضه رجل، فقتله الناس فوداه أمير المؤمنينعليه السلام.

أخرج العلامة المجلسيرحمه الله في (البحار) عن (كتاب نصر بن مزاحم) عن معبد قال:

«قام عليعليه السلام على منبره خطيباً.. فسمعته يقول:

سيروا إلى أعداء الله

سيروا إلى أعداء القرآن والسنن

سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار

فعارضه رجل من بني فزارة، ووطأه الناس بأرجلهم، وضربوه بنعالهم حتى

---

(١) راجع المناقب: ج٢ ص٢٦٣.

مات، فوداه أمير المؤمنين عليه السلام من بيت المال.

فقام الأشتر وقال: يا أمير المؤمنين: لا يهدّنك ما رأيت، ولا يؤسينك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن»[1].

ويظهر من هذا الحديث أن الرجل كان قد خاشن الكلام مع أمير المؤمنين عليه السلام، ومع ذلك اعتبره الإمام قتيل بيت المال، فدفع ديته من بيت المال.

أين توجد مثل هذه الحرّية في الكلام، والرأي، والتعبير إلا في الإسلام؟

أمير المؤمنين عليه السلام يدعو الناس إلى حرب عدو الله وعدو رسوله: معاوية بن أبي سفيان، فيعارضه الرجل، ويقتله الناس...

ومع ذلك يدفع أمير المؤمنين عليه السلام ديّته إلى ورثته؟

أين وفي أي أنظمة الأرض يوجد مثيل لذلك حتى في أكثر بلاد العالم حرّية هذا اليوم؟

وهكذا مثلت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام الإسلام العظيم في كل الأبعاد بعمق وشمول، وفي بعد الحرّية ـ أيضاً ـ ومنح الناس ذلك في مختلف المستويات وشتى الأمور وضرب علي عليه السلام الرقم القياسي وهكذا ليسير الحكام في الإسلام بسيرته الوضّاءة، ويصححوا سياستهم بسياسة علي عليه السلام الرشيدة في كل الأصعدة.

المساواة في سياسة أمير المؤمنين

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بنى سياسته ـ كنبي الإسلام صلى الله عليه وآله ـ على المساواة العادلة بين مختلف أفراد الأمّة في تقسيم أموال الأمّة ـ التي هم فيها سواء ـ عليهم بالسوية..

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٩٨ ب١١ ح٣٧٠.

وكان ذلك من السمات البارزة له عليه السلام حتى ورد في عدّ صفاته النادرة في بعض زيارته:

«القاسم بالسوية، والعادل في الرعية»[1].

وتطبيق ذلك كلّف الإمام عليه السلام الكثير من المتاعب، والانشقاقات والحروب وتفرق بعض الرؤوس عنه. لكن أمير المؤمنين عليه السلام لم يعبأ بكل ذلك مقابل تطبيق الإسلام، تطبيقاً كاملاً.

وفيما يلي نذكر نماذج من مساواة أمير المؤمنين عليه السلام مما حفظه التاريخ.

يبدأ بنفسه

بدأ أمير المؤمنين عليه السلام في المساواة بنفسه الكريمة أولاً، ثم طبقّها على غيره، لكي لا يكون للناس حجّة.

عندما قُتل عثمان، وبايع المسلمون أمير المؤمنين عليه السلام.. صعد المنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخطب في الناس خطبة ذكّرهم بتقوى الله، وشرح لهم سياسته في البلاد والعباد، ثم نزل عن المنبر وأمر بفتح بيت المال، فقال لعمّار: «يا عمّار قم إلى بيت المال، فأعط الناس ثلاثة دنانير لكل إنسان، وارفع لي ثلاثة دنانير. فمضى عمّار وأبو الهيثم مع جماعة من المسلمين إلى بيت المال، ومضى أمير المؤمنين عليه السلام إلى مسجد قبا يصلّي فيه...

فأبى طلحة والزبير وعقيل أن يقبلوها»[2].

سهل وغلامه واحد

سهل بن حنيف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنصار، وقد شهد مع

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٩٧ ص٣٦٤ ب٥ ح٦.

(٢) راجع المناقب: ج٢ ص٢٥٩ فصل في إخباره بالغيب، وكذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج٧ ص٣٧

النبي ﷺ بدراً..

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: أنّه ذكر سهل بن حنيف فقال:

«كان من النقباء».

ثم قال عليه السلام:

«ما سبقه أحد من قريش ولا من الناس بمنقبة وأثنى عليه»[١].

وهذا الحصر إضافي ـ على حدّ تعبير الفقهاء ـ بالنسبة للبدريين، أو الأنصار، أو من بقي منهم، غير أهل بيت النبي ﷺ.

وقد روي في تعظيم أمير المؤمنين عليه السلام لسهل هذا أنه عليه السلام كبر عليه لما مات خمساً وعشرين تكبيرة.

فقد ذكر الشيخ الكليني قدس سره عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«كبّر رسول الله ﷺ على حمزة سبعين تكبيرة.

وكبّر علي عليه السلام على سهل بن حنيف خمساً وعشرين تكبيرة.

قال: كبر خمساً، خمساً.

كلّما أدركه الناس قالوا: يا أمير المؤمنين، لم ندرك الصلاة على سهل فيضعه فيكبّر عليه خمساً. حتى انتهى إلى قبره خمس مرات[٢].

هذا الرجل العظيم، في هذه المنزلة الجليلة لم يدع أمير المؤمنين عليه السلام المساواة في العطاء بينه وبين عبد أسود له قد أعتقه.

فقد روى الشيخ المفيد قدس سره في (الاختصاص)، عن ابن دأب قال:

«ولى علي عليه السلام بيت مال المدينة عمار بن ياسر، وأبا الهيثم بن التيهان

---

(١) سفينة البحار: ج١ ص٦٧٦ باب السين بعده الهاء.

(٢) الكافي: ج٣ ص١٨٦ باب من زاد على خمس تكبيرات ح٣.

فكتب: العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء.

فاتاه سهل بن حنيف بمولى لـه أسود فقال: كم تعطي هذا؟

فقال لـه أمير المؤمنين عليه السلام: كم أخذت أنت؟

قال: ثلاثة دنانير، وكذلك أخذ الناس.

قال عليه السلام: فأعطوا مولاه مثل ما أخذ ثلاثة دنانير»[1].

وفي (المناقب): «قام سهل بن حنيف فأخذ بيد عبده فقال: يا أمير المؤمنين، قد أعتقت هذا الغلام، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف»[2].

أخته ومولاتها عطاء واحداً

نقل الشيخ المفيد قدس سره، عن ابن دأب ـ في حديث طويل ـ: «... دخلت عليه عليه السلام أخته أم هاني بنت أبي طالب فدفع إليها عشرين درهماً، فسألت أم هاني مولاتها العجمية، فقالت: كم دفع إليك أمير المؤمنين عليه السلام؟

فقالت: عشرين درهماً.

فانصرفت مسخطة.

فقال لها علي عليه السلام: انصرفي رحمك الله، ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل على إسحاق»[3].

ولم يفضل الأشراف

نقل العلامة المجلسي رحمه الله عن الشيوخ الأجلة: المفيد والكليني والطوسي

---

(١) الاختصاص: ص١٥٢ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) المناقب: ج٢ ص١١١ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

(٣) الاختصاص: ص١٥١ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

وابن ادريس رضوان الله عليهم جميعاً بأسانيد مختلفة:

أنّه أتى أمير المؤمنينعليه السلام رهط من الشيعة ـ عند تفرّق الناس عنه، وفرار كثير منهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدنيا ـ فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن يخاف خلافه عليك من الناس، وفراره إلى معاوية.

حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسويّة والعدل في الرعيّة.

فقال أمير المؤمنينعليه السلام: ويحكم أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام؟

لا والله، لا يكون ذلك ما سمر السمير، وما رأيت في السماء نجماً.

والله، لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم»[1].

مناقشة لطلحة والزبير

طلحة والزبير امتعضا لصنع أمير المؤمنينعليه السلام معهما في المساواة بينهما وبين غيرهما من المسلمين في العطاء، وناقشا أمير المؤمنينعليه السلام في ذلك، ولكن الحق كان أقوى منهما، وأولى بالاتباع في منطق أمير المؤمنينعليه السلام.

نقل في (مناقب آل أبي طالب) عن أبي الهيثم بن التيهان، وعبد الله بن أبي رافع قالا: إنّ طلحة والزبير جاءا إلى أمير المؤمنينعليه السلام وقالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر.

قالعليه السلام: فما كان يعطيكما رسول اللهصلى الله عليه وآله؟

فسكتا!!

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٤١ ص١٢٢ ب١٠٧ ح٢٩.

قال عليه السلام: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم بالسوية بين المسلمين؟

قالا: نعم.

قال عليه السلام: فسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالاتباع عندكم أم سنّة عمر؟

قالا: سنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم قالا: يا أمير المؤمنين، لنا سابقة وعناء وقرابة.

قال عليه السلام: سابقتكما أقرب أم سابقتي؟

قالا: سابقتك.

قال عليه السلام: فقرابتكما أم قرابتي؟

قالا: قرابتك.

قال عليه السلام: فعناؤكما أعظم من عنائي؟

قالا: عناؤك.

قال عليه السلام: فوالله، ما أنا وأجيري هذا إلا بمنزلة واحدة، وأومأ بيده إلى الأجير[1].

وهكذا جرت سيرة علي أمير المؤمنين عليه السلام لتكون نبراساً للأجيال الصاعدة وأملاً للمظلومين والمستضعفين، وكبحاً لجماح المستكبرين والطغاة، فلا يفضل غني على فقير، ولا أبيض على أسود، ولا عربي على عجمي، ولا شريف على وضيع.. إلا عند الله في القيامة بالتقوى.. لا بالمال في العطاء الذي جعلهم الله فيه سواءً في الدنيا.

عفو علي

يحق للحاكم الإسلامي الأعلى أن يعفو عن بعض المجرمين إذا كانت

(١) المناقب: ج٢ ص١١٠ فصل بالمسابقة بالعدل والأمانة.

هناك مصلحة أهم من مصلحة تنفيذ العقوبة الإسلامية.

وهكذا يحق للحاكم الأعلى الإسلامي أن يخفف من مقدار العقوبة كماً أو كيفاً إذا دعت المصلحة الأهم إلى ذلك.

والأهمية في ذلك تكون نابعة من الشريعة الإسلامية التي مصدرها القرآن الحكيم، والسنّة المطهرة، وإجماع الفقهاء، والعقل.

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أعلم من يعرف هذه المصالح، وهذه الأمور الأهم، ومن أجل ذلك يلاحظ في تاريخه عليه السلام الموارد الكثيرة لعفوه عن المجرمين من تنفيذ العقوبات الإسلامية بحقهم قضاءً لهذه الأهمية.

وفيما يلي نذكر بعض هذه الموارد.

العفو عن مروان

مروان بن الحكم كان من رؤوس النفاق، وكان ممن جهز وشجع الجيش مع عائشة وطلحة والزبير في وقعة الجمل ضد أمير المؤمنين عليه السلام، وكان قد أشعل نار الحرب وحرّض أهل البصرة على أن يشقّوا عصا المسلمين..

هذه الحرب التي راح ضحيتها عشرات الألوف.. وعشرات الألوف من المسلمين المصلّين الصائمين..

لكن مع ذلك كلّه فقد عفا أمير المؤمنين عليه السلام عن مروان هذا بعد أسره.

ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار) عن (المناقب) قال:

«وأسر مالك الأشتر يوم الجمل مروان بن الحكم فعاتبه عليه السلام وأطلقه»[1].

ونقل أيضاً عن (الخرائج) رواية أخرى في ذلك كما يلي:

«روي عن أبي الصيرفي، عن رجل من مراد قال: كنت واقفاً على رأس أمير

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص٥٠ ب١٠٤ ضمن ح٢.

المؤمنينعليه السلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال: إن لي حاجة؟

فقالعليه السلام: ما أعرفني بالحاجة التي جئت فيها، تطلب الأمان لابن الحكم؟

قال: نعم، أريد أن تؤمنه.

قالعليه السلام: آمنته، ولكن اذهب إليه وجئني به ولا تجيئني بـه إلا رديفـاً فإنّـه أذل له.

فجاء به ابن عباس ردفاً خلفه فكأنّه قرد.

فقال لـه أمير المؤمنينعليه السلام: أتبايع؟

قال: نعم، وفي النفس ما فيها.

قالعليه السلام: الله أعلم بما في القلوب.

فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفّه عن كفّ مروان فنترها، فقالعليه السلام: لا حاجـة لي فيها، إنها كفّ يهودية لو بايعني بيده عشرين مرة لنكث بإسته.

ثم قالعليه السلام: هيه يا ابن الحكم خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة[١]»

البغاة: هم الخارجون على إمام عادل.

وحكم أسراهم إذا كانت لهم فئة: القتل.

وكان أصحاب الجمل بغاة. وكانوا فئة. فكان الحكم الأوّلي لله قتل مروان.

لكن المصلحة الإسلامية ـ التي كان يراها أمير المؤمنين عليعليه السلام آنـذاك ـ اقتضت العفو عنه بالرغم مما كان يعلمه أمير المؤمنينعليه السلام مـن خبثـه، ولعـن النبيصلى الله عليه وآله لـه ولمن في صلبه إلى يوم القيامـة إلا المـؤمن مـنهم وهـم قليـل، وعلمهعليه السلام كذلك: بما سيحدث مروان من فتن ومظالم.[٢]

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٢٩ـ٢٣٠ ب٤ ح١٨١.

(٢) روي: أنّه لا يولد له لأحد مولود الا أتى به النبيصلى الله عليه وآله فدعا له، فادخل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو الوزغ بن

وعن عائشة أيضاً

وعائشة أيضاً كانت باغية بنصّ القرآن الحكيم:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[1].

وعائشة قاتلت خليفة الرسول ﷺ الشرعي المنصوب من عند الله ورسوله والمنتخب من الناس.

(إذن) فهي باغية، وحدّ الباغي والباغية القتل في الإسلام.

وكانت عائشة تتوقع ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام ولذا لما رأت أمير المؤمنين عليه السلام بعدما انتصر عليها قالت له ـ في استعطاف ـ :

«ملكت فاسجح» يعني، اعف بفضلك، ولا تنفذ حكم الإسلام الأوّلي، بل استفد من صلاحية العفو التي لك، فعفا عنها أمير المؤمنين عليه السلام للمصلحة الإسلامية الأهم آنذاك من مصلحة قتل مثل عائشة وإن كانت باغية ورأساً للبغاة، وسبباً لإيجاد حرب طاحنة أبادت الكثير من المسلمين.

قال في (البحار): فجهزها أمير المؤمنين عليه السلام أحسن الجهاز، وبعث معها بتسعين امرأة أو سبعين[2] من البصرة إلى المدينة.

وعبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير كان من المبغضين لعلي عليه السلام وآل بيت الرسول ﷺ وهو

الوزغ، الملعون بن الملعون. المستدرك للحاكم: ج٤ ص٤٧٩، إذا بلغت بنو أميّة أربعين...، وابن حمّاد في الفتن: ج١ ص١٣١ رقم٣١٧. وفيه قوله ﷺ: اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً، اتخذوا مال الله تعالى بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتابه دغلاً.

(١) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص٥٠ ب١٠٤ ح٢.

الذي كان المحرّض لأبيه من أجل إشعال حرب الجمل، وقد روى فيه عن علي عليه السلام قوله:

«مازال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله».[١]

وكان يبغض بني هاشم ويلعن ويسبّ علياً عليه السلام[٢].

هذا الرجل الخارجي الذي جرد سيفه في وجه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

هذا الباغي في منطق الإسلام.

كان مستحقاً للقتل.

لكن أمير المؤمنين عليه السلام عفا عن عبد الله بن الزبير في وقعة الجمل.

نقل العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار) عن (المناقب):

إنّ عائشة بعثت أخاها محمد بن أبي بكر إلى أمير المؤمنين عليه السلام تطلب منه الأمان والعفو لعبد الله بن الزبير. فآمنه أمير المؤمنين عليه السلام وآمن معه سائر الناس ممن اشتركوا في حرب الجمل[٣].

عفوه عن موسى بن طلحة

قال في (البحار): «وجيء بموسى بن طلحة بن عبيد الله، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قل: استغفر الله وأتوب إليه ثلاث مرات.

فقالها، وخلى علي عليه السلام سبيله.

ثم قال له: اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو

---

(١) ينابيع المودّة للقندوزي: ج١ ص٤٥٠ الباب٥٢. وروى ابن الأثير في أسد الغابة: ج٣ ص١٦٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج١٨ ص٤٠٤ مثله، وفي رواية البلاذري في أنساب الأشراف: ص٢٥٥ قول علي للزبير: قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى نشأ ابنك، ابن السوء ففرّق بيننا وبينك.

(٢) سفينة البحار: ج٢ ص١٣٣ باب الغين بعده الباء.

(٣) بحار الأنوار: ج٤١ ص٥٠ ب١٠٤ ح٢.

كراع فخذه واتق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك»[1].

العفو عن صاحب التآمر

نقل في (مناقب آل أبي طالب) عن الأصبغ بن نباتة قال:

«صلّينا مع أمير المؤمنين عليه السلام الغداة، فإذا رجل عليه ثياب السفر قد أقبل، فقال علي عليه السلام: من أين؟

قال: من الشام.

قال عليه السلام: ما أقدمك؟

قال: لي حاجة.

قال عليه السلام: أخبرني وإلا أخبرتك بقضيتك.

قال: أخبرني بها يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: نادى معاوية يوم كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، من سنة كذا وكذا: من يقتل علياً فله عشرة آلاف دينار.

فوثب فلان، وقال: أنا.

قال له معاوية: أنت؟

فلما انصرف إلى منزله ندم وقال: أسير إلى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي ولديه فاقتله؟

ثم نادى مناديه اليوم الثاني: من يقتل علياً فله عشرون ألف دينار.

فوثب آخر فقال: أنا.

فقال معاوية: أنت؟

ثم إنه ندم واستقال معاوية، فأقاله.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص٥٠ ب١٠٤ ضمن ح٢.

ثم نادى مناديه اليوم الثالث: من يقتل علياً فله ثلاثون ألف دينار.

فوثبت أنت ـ وأنت رجل من حِمَير ـ.

قال الرجل: صدقت.

قال علي عليه السلام: فما رأيك؟ تمضي إلى ما أمرت به أو ماذا؟

قال الرجل: لا، ولكن انصرف.

قال عليه السلام: يا قنبر أصلح راحلته، وهيئ لـه زاده، وأعطه نفقته[1].

هذه واحدة أخرى من أمثلة العفو الرائعة التي ضربها علي عليه السلام في سيرته الوضّاءة. يعلم بمن أراد قتله. ويتركه ليذهب حيث شاء. ويضيف: أنه يصلح راحلته، ويهيئ زاده، ويعطيه نفقته..

أين تجد مثيل ذلك إلا في الإسلام الصحيح؟

العفو عن أسرى صفين

نقل في (المناقب) عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال:

«كان علي عليه السلام إذا أخذ أسيراً في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه»[2].

محاربون، شهروا سيوفهم على أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قتل بعضهم بعض المؤمنين من أصحاب علي عليه السلام ـ لكنه لا يعرف بذلك ولا يعترف به ـ وانكسر جيشهم، وظفر أمير المؤمنين عليه السلام بهم..

مع ذلك كله تركهم، وأطلق سراحهم.. في حين أنّ فئتهم كانت موجودة وهم معاوية وأصحابه.

وهذه من سياسة العفو الرائعة في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، يجلب بها

---

(١) المناقب: ج٢ ص٢٦٠ـ٢٦١ فصل في إخباره بالغيب.

(٢) المناقب: ج٢ ص١١٤ فصل في حلمه وشفقته.

الأعداء إلى الإسلام، ويحرض بها المنافقين والنفعيين على الالتحاق بصفوف المؤمنين، ويربط بها على قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

رد أموال الخوارج إليهم

ونقل في (المناقب) أيضاً عن عرفجة، عن أبيه قال:

«لما قتل عليﷺ أصحاب النهر جاء بما كان في عسكرهم فمن كان يعرف شيئاً أخذه، حتى بقيت قدر ثم رأيتها بعد قد أخذت»[1].

أمر بالضرب ثم عفا

ونقل في (المناقب) أيضاً قال: «وبعث أمير المؤمنينﷺ إلى لبيد بن عطارد التميمي في كلام بلغه، فمرّ به أمير المؤمنينﷺ في بني أسد، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفلته.

فبعث إليه أمير المؤمنينﷺ فأتوه به. وأمر به أن يضرب.

فقال له: نعم، والله إن المقام معك لذلّ، وإن فراقك لكفر.

فلما سمع ذلك منه قال: قد عفونا عنك، إنّ الله عزّ وجل يقول: **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾**[2].

أما قولك: إنّ المقام معك لذلّ فسيئة اكتسبتها.

وأمّا قولك: إنّ فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها، فهذه بهذه»[3].

العفو ـ عندما تستوجبه المصالح التي هي أهم من غيرها ـ ينقض به حكم الحاكم، فإنّ العفو من حكم الله، والضرب من حكم الله والحكم الأهم ينقض به الحكم المهم. وبهذه السماحة واللطف والرفق يستبقي الإسلام على المسلمين، ويؤلّف قلوب غير المسلمين، ويستجلبهم إلى الإسلام.

---

(١) المناقب: ج٢ ص١١٤ فصل في حلمه وشفقته.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩٦.

(٣) المناقب: ج٢ ص١١٣ فصل في حلمه وشفقته.

أمير المؤمنين بين الناس دائماً

عادة أصحاب السلطات يعيشون بعيدين عن المجتمع، ويترفعون عن ممارسة الحاجات الصغيرة بأنفسهم لعدّة أسباب:

١. للجبروت والطغيان.

٢. للخوف من المجتمع الذي يمارسون الظلم معه.

٣. للفرار من كثرة تراكم الأعمال عليهم.

أما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو أبعد ما يكون عن هذه الأسباب كلها.. فعلي عليه السلام أبعد ما يكون عن الجبروت والطغيان.

وأمير المؤمنين عليه السلام لا يظلم أحداً حتى يخافه في دخول المجتمع.

وسيد الوصيين عليه السلام يبحث عن التعب والمشقة في سبيل الله، فكيف يفر عن ذلك.

لذلك كان عليه السلام يمارس الأعمال الصغيرة بنفسه الكريمة بجنب ممارسة الأعمال الكبيرة، ويقضي حاجات الناس بشخصه، يبحث عنها بين الناس ليلاً نهاراً، وفي الحرّ والبرد. وهذا هو الذي كان يطمئن الضعفاء والمساكين والمستضعفين، إلى أن لا يخشوا ظلم الناس لهم، لأنّهم يعلمون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي بنفسه يبحث في الأزقة والأسواق، والطرق العامّة والمجتمعات الجامعة.. فيسعفهم، ويدفع عنهم كل حيف.

وهذا هو الذي يصد ـ أيضاً ـ الطغاة والمستكبرين عن الظلم وإيذاء الناس، لأنهم يعلمون أنّ علياً عليه السلام لهم بالمرصاد، وهو بشخصه موجود بين أفراد المجتمع، فلا يأمنون في كل لحظة وفي كل مكان أن يكون علي عليه السلام هو الشاهد والحاضر يقبض عليهم متلبسين بالجريمة.

وفيما يلي نذكر نماذج من حضور أمير المؤمنين عليه السلام بين الناس دائماً

ليعتبر به قادة المسلمين، فلا يتركوا الشعوب لينعزلوا في الأبراج العاجية بعيدين عن المجتمع فيأمن الظالمون ردعهم، ويخاف المظلومون ظلم الظالمين.

الشفاعة إلى القصاب

نقل العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار) عن كتاب (الخرائج) قال:

روي أنّ قصاباً كان يبيع اللحم من جارية إنسان وكان يحيف عليها، فبكت وخرجت فرأت علياً عليه السلام فشكته إليه.

فمشى عليه السلام معها نحوه، ودعاه إلى الإنصاف في حقها، وكان يعظه ويقول له: «ينبغي أن يكون الضعيف عندك بمنزلة القوي فلا تظلم الناس»[1].

والشفاعة إلى التمّار

نقل ابن شهر آشوب في (المناقب) عن أبي مطر البصري قال:

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بأصحاب التمر، فإذا هو بجارية تبكي، فقال: يا جارية ما يبكيك؟

قالت: بعثني مولاي بدرهم فأبتعت من هذا تمراً، فأتيتهم به فلم يرضوه فلما أتيته به أبى أن يقبله.

قال عليه السلام للتمار: يا عبد الله إنها خادم، وليس لها أمر فاردد إليها درهمها وخذ التمر.

فقام إليه الرجل فلكزه[2].

فقال الناس: هذا أمير المؤمنين.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص٢٠٣ـ٢٠٤ ب١١٠ ح١٨.

(٢) المناقب: ج٢ ص١١٢ فصل في حلمه وشفقته. لكزه يلكزه لكزاً: هو الضرب بالجُمع في جميع الجسد، وقيل: اللكز هو القرع في الصدر بجمع اليد، وكذلك في الحنك. انظر لسان العرب: ج٥ ص٤٠٦ مادة لكز.

فربا الرجل[1] واصفر وأخذ التمر ورد إليها درهمها،ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني!

فقال‰: ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك.

أو قال: ما أرضاني عنك إذا وفيت الناس حقوقهم»[2].

يظهر من القصّة: أنّ أمير المؤمنين‰ ربما كان جديد النزول بذاك البلد ـ البصرة أو الكوفة ـ أو كان الرجل بائع التمر جديداً بها، فلم يعرف أمير المؤمنين‰، ولذلك لكز الإمام.

ولم يعاقبه علي‰ على اللكزة لأنّها قضية شخصية في نظر الإمام، ولايعبأ علي‰ بشخصه من حيث هو شخصه..

ثم إنّ مهمة الإمام‰ الساعة هي ردّ الحيف عن الجارية، وهذه المهمّة ربما تضمحل إذا حاسب الإمام الرجل على اللكزة.

هذه القضايا على صغرها هي التي تربي المجتمع من نواح عديدة، بسبب حضور الرئيس الأعلى للمسلمين بين الناس، يقضي حوائجهم بشخصه وينصح الظالمين، ويأخذ بحق المظلومين.

إصلاح بين زوجين

ونقل في (المناقب) أيضاً عن الإمام محمد بن علي الباقر‰ قال في خبر:

«إنّه رجع علي‰ إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول:

إنّ زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدّى علي، وحلف ليضربني!

فقال‰: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله.

---

(١) خروج النفس بصعوبة لعلة تحدث في الصدر من شدة الخوف.

(٢) المناقب: ج٢ ص١١٢.

فقالت: يشتد غضبه وحرده عليّ.

فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول:

لا والله، أو يؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع.

أين منزلك؟

فمضى عليه السلام إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم.

فخرج شاب.

فقال علي عليه السلام: يا عبد الله، اتق الله، فإنك قد أخفتها وأخرجتها.

فقال الفتى ـ وهو لا يعرف أمير المؤمنين عليه السلام ـ: وما أنت وذاك؟! والله، لأحرقنها لكلامك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟

قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين.

فسقط الرجل في يديه.

فقال: يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي؟ فوالله، لأكونن لها أرضاً تطأني.

فاغمد علي عليه السلام سيفه وقال: يا أمة الله أدخلي منزلك، ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه»[1].

لأعين مظلوماً

نقل الشيخ الجليل محمد بن محمد بن النعمان المفيد رحمه الله في كتابه (الاختصاص)، في حديث طويل عن ابن دأب جاء فيه:

---

(١) المناقب: ج٢ ص١٠٦ في المسابقة بالتواضع.

قال: ذكر الكوفيون: إنّ سعيد بن قيس الهمداني رآه ـ يعني علياًعليه السلام ـ في شدّة الحرّ في فناء حائط.

فقال: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟

قال عليه السلام:

«ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً»[1].

من هو أضعف مني

ونقل المفيد رحمه الله أيضاً، قال: «وذكروا أنّه عليه السلام توضأ مع الناس في ميضاة المسجد، فزحمه رجل، فرمى به.

فأخذ الدرّة فضربه بها، ثم قال له: ليس هذا لما صنعت بي، ولكن يجيء من هو أضعف مني فتفعل مثل هذا، فتضمن»[2].

المنع عن المشي خلفه

نقل العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار)[3]، عن (الكافي) و(المحاسن) بأسانيد صحيحة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم فقال:لكم حاجة؟

فقالوا: لا يا أمير المؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي معك.

فقال لهم: انصرفوا، فإنّ مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلّة للماشي.

قال: وركب مرة أخرى فمشوا خلفه فقال عليه السلام:

---

(١) الاختصاص: ص١٥٧ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الاختصاص: ص١٥٩ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار: ج٤١ ص٥٥ ب١٠٥ ح٢.

انصرفوا، فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة لقلوب النوكى»[1].

النوكى، جمع الأنوك: الأحمق.

وأخرج في (المناقب) عن زاذان: «إنّه عليه السلام كان يمشي في الأسواق وحده.. وهو ذاك يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]»[3].

وهكذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام بين الناس دائماً، وفي أوساط المجتمع، يعيش مشاكلهم ويحل معضلاتهم، ويؤدّبهم بلسانه وعلمه، وسيرته وأفعاله.

التطبيق الدقيق للإسلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام يطبق الإسلام تطبيقاً دقيقاً في الأمور الصغيرة والكبيرة، لأن الأمر الصغير كبير إذا كان حكم الله، والكبير كبير لأنه حكم الله.

فالمقياس حكم الله، وبحسابه يكون كل شيء منتسباً إلى الله تعالى كبيراً.

بهذا المنظار الواقعي العميق كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقيم سيرته مع الناس وفي مختلف أدوار الحياة، كما كان عليه السلام هكذا دقيقاً وعميقاً في حياته الشخصية.

وفيما يلي نذكر بعض النقاط من ذلك ليكون خير أسوة للساسة المسلمين وقادة بلاد الإسلام.

---

(١) النوكى: يعني الحمقى، بحار الأنوار: ج٤١ ص٥٥ ب١٠٥ ح٢.

(٢) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٣) المناقب: ج٢ ص١٠٤ فصل في المسابقة بالتواضع.

إطفاء السراج

جاء في كتاب (المناقب) لابن شهر آشوب عن ابن مردويه قال: «وسمعت مذاكرة: إنّه عليه السلام دخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال، فطفئ السراج، وجلس في ضوء القمر، ولم يستحلّ أن يجلس في الضوء من غير استحقاق»[1].

أترى كم كان يصرف من الزيت هذه اللحظات التي كان يكلّم فيها عمرو بن العاص؟ إنه شيء يسير جداً.

ولكن علي بن أبي طالب عليه السلام أُسوة وقدوة، فإذا كان واقعياً دقيقاً إلى هذا الحدّ في أموال المسلمين، فلا تصل النوبة إلى ما وصل اليوم إليه بعض رؤساء بلاد الإسلام الذي يبذر المليارات.. وعشرات المليارات من أموال المسلمين اعتباطاً وسرفاً.

خشن في ذات الله

ونقل (المناقب) أيضاً عن ابن مردويه قال:

«لما أقبل ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ من اليمن، تعجّل إلى النبي صلى الله عليه وآله واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه. فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلّة من البز الذي كان مع علي عليه السلام.

فلما دنا جيشه خرج علي عليه السلام ليتلقاهم، فإذا هم عليهم الحلل.

فقال: ويلك ما هذا؟

قال: كسوتهم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس.

قال عليه السلام: ويلك من قبل أن تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟

---

(١) المناقب: ج٢ ص١١٠ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

قال الراوي: فانتزع عليعليه السلام الحلل من الناس وردّها في البز، وأظهر الجيش شكاية لما صنع بهم»[1].

قال أبو سعيد الخدري:

شكا الناس علياً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله خطيباً فقال:

يا أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله»[2].

كسر الذهب

ونقل في (المناقب) أيضاً عن زاذان قال:

«إن قمبراً قدّم إلى أمير المؤمنينعليه السلام جامات من ذهب وفضّة في الرحبة وقال: إنك لا تترك شيئاً إلا قسّمته، فخبأت لك هذا.

فسلّ سيفه وقال: ويحك لقد أحببت أن تُدخل بيتي ناراً؟

ثم استعرضها بسيفه فضربها حتى انتثرت من بين إناء مقطوع بضعة وثلاثين وقال: عليّ بالعرفاء.

فجاءوا، فقالعليه السلام: هذا بالحصص»[3].

جامات الذهب والفضّة قد تكون قيمتها أكثر وأكثر ما دامت جامات من قيمتها بعد كسرها.. ولكن حيث إن أواني الذهب والفضة محرمة، لعلّه لذلك كسرها أمير المؤمنينعليه السلام ووزعها غير محرم. وهكذا ضرب أمير المؤمنينعليه السلام الرقم القياسي في التطبيق الدقيق للإسلام.

(١) المناقب: ج٢ ص١٠٨ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة، وابن كثير في السيرة النبوية: ج٤ ص٢٠٥ في بعث علي وخالد إلى اليمن.

(٢) الطبري في تاريخه: ج٢، ص٤٠٢، في أحداث السنة العاشرة من الهجرة.

(٣) المناقب: ج١ ص٣٧٥ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

لا.. للقوميات

القومية هي إحدى أساليب الاستعمار الفكرية التي ضرب بها المسلمين وحطمهم، وشتت شملهم، وفرق جمعهم، وبالتالي: وتطبيقاً للقانون «فرق تسد» ساد الاستعمار على بلاد الإسلام وعلى المسلمين، وهو ما نراه اليوم بكل وضوح وجلاء..

أما الإسلام فقد نفى هذه القوميّات يوم أعلن القرآن الحكيم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

ويوم أعلن النبي ﷺ:

«ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى»[٢].

وقال ﷺ:

«كلكم لآدم وآدم من تراب»[٣].

كذلك: سار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المسير نفسه، ونفى القوميات بكل قوّة وشجاعة، تحكيماً للقرآن، وتطبيقاً لأمر رسول الله ﷺ.

العربية والعجمية سواء

ذكر ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عن أبي إسحاق الهمداني قال: «إنّ امرأتين أتتا علياً عليه السلام إحداهما من العرب والأخرى من الموالي فسألتاه، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) تحف العقول للحرّاني: ص٣٤ خطبته ﷺ في حجّة الوداع.

(٣) تحف العقول: ص٣٤ خطبته ﷺ في حجّة الوداع.

فقالت إحداهما: إني امرأة من العرب وهذه من العجم.

فقال عليه السلام: إني والله، لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق»[١].

أخته والعجمية سواء

وقد ذكرنا سابقاً أنّه عليه السلام لم يفضّل في العطاء أخته العربية، القرشية الهاشمية، وهي من أقرب الناس إليه، لم يفضلها على مولاة أعجمية.

وقال عليه السلام في بعض خطبه:

«لأسوين بين الأسود والأحمر»[٢].

وعندما أراد توزيع بيت المال كتب عليه السلام:

«العربي والقرشي

والأنصاري والعجمي.

وكل من في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء»[٣].

وهكذا جعل أمير المؤمنين عليه السلام الإطار العام هو الإسلام، يتحطم على صخرته الصلدة كل القوميات والقبليات والأعراف غير الإسلامية والتجزءات والتبعيضات غير الإنسانية.

سياسة علي في مختلف الأبعاد

وكانت سياسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مختلف الأبعاد، وفي كل أمر مارسه، سياسة حكيمة رشيدة، مقتبسة من سياسة الله تعالى

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٠٠-٢٠١ مناقب علي عليه السلام وذكر طرف من أخباره في عدله وزهده.

(٢) الاختصاص: ص١٥١ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) الاختصاص: ص١٥٢ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

خالق البشر والعالم بأحسن سياسة لهم، والمنزّل للقرآن الحكيم، أجمع دستور حياة عرفه البشر..

ومتبعة لسياسة رسول الله ﷺ التي هي أول وأحكم وأعمق سياسة مارسها إنسان على وجه الأرض.

لذلك كانت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام كلّها سياسة رشيدة.

في أيام رسول الله ﷺ.

وفي أيام مَن قبله.

وفي أيام خلافته الظاهرية.

حفظ الوحدة الإسلامية

فلم يدع أمير المؤمنين عليه السلام علي مجالاً للمشعوذين والذين يريدون إلقاء الخلاف بين المسلمين.

فقد نقل الإربلي رحمه الله في كتاب (كشف الغمّة) بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام قال:

«جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام يسعى بقوم.

فأمرني أن دعوت له قنبراً.

فقال له علي عليه السلام: أخرج إلى هذا الساعي فقل له: قد أسمعتنا ما كره الله تعالى فانصرف في غير حفظ الله تعالى»[1].

منطق العدل

والعدل هو أساس سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في كل أمر.

ومن ذلك ما أوصى به ولاته في أهل الكتاب ومنهم اليهود الذين وصفهم

---

(١) كشف الغمّة: ج٢ ص٢١٨ وأما مناقبه.

القرآن الحكيم بأنّهم:

﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ﴾[1].

فقد ذكر الشيخ الكليني في (الكافي) بسنده عن رجل من ثقيف ـ وكان من عمال أمير المؤمنين ـ قال:

«استعملني علي بن أبي طالب على بانقيا وسواد من سواد الكوفة فقال لي ـ والناس حضور ـ: انظر خراجك فجد فيه ولا تترك منه درهماً. فإذا أردت أن تتوجه إلى عملك فمرّ بي.

قال: فأتيته فقال لي: إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابّة عمل في درهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»[2].

تصحيح خط المسلمين

كان أمير المؤمنين يعلم أنّ معاوية لن يُقتل في صفّين وسيبقى ليعيث الفساد في الأرض، وإنما حاربه لتصحيح خط المسلمين وليسلب الشرعية عن معاوية وحكمه ومن يأتي من بعده ويبني على أسس معاوية.

وهناك نصوص عديدة في قضايا تاريخ أمير المؤمنين تنصّ على ذلك.

فقد نقل ابن شهر آشوب عن مينا قال:

«سمع علي ضوضاء في عسكره فقال: ما هذا؟

فقيل: قُتل معاوية.

قال: كلا وربّ الكعبة، لا يقتل حتى تجتمع عليه هذه الأمة.

قالوا له: يا أمير المؤمنين، فلم تقاتله؟

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) الكافي: ج٣ ص٥٤٠ باب أدب المصدق ح٨.

قال: التمس العذر بيني وبين الله»[1].

و نقل أيضاً، عن مروان الأصفر قال:

«قدم راكب من الشام وعلي عليه السلام بالكوفة، فنعى معاوية، فأدخل على علي عليه السلام فقال له علي: أنت شهدت موته؟

قال: نعم، وحثوته عليه.

قال: إنّه كاذب.

قيل: وما يدريك يا أمير المؤمنين أنّه كاذب؟

قال: أنّه لا يموت حتى يعمل ـ كذا وكذا ـ أعمالاً عملها في سلطانه.

فقيل له: فلم تقاتله وأنت تعلم هذا؟

قال: للحجّة»[2].

بُعد النظر

من سمات أمير المؤمنين عليه السلام الظاهرة في سياسته، بُعد النظر.

وقد دلّت على ذلك الأدلّة النقليّة الكثيرة مضافاً إلى دليل العقل الذي هو العصمة.

وقد وصف ضرار بن ضمرة به أمير المؤمنين عليه السلام عندما سأله معاوية ذلك بعد استشهاد علي عليه السلام كان قوله: «كان والله بعيد المدى».

ولذلك: لم يول طلحة والزبير على الكوفة والبصرة.

ولذلك أيضاً: لم يبق معاوية على الإمارة.

لما كان يعلم به من تواطئهما مع معاوية ـ جميعاً ـ ضد أمير المؤمنين عليه السلام.

فإليك النصوص التالية:

---

(١) المناقب: ج٢ ص٢٥٩ فصل في إخباره بالغيب.

(٢) المناقب: ج٢ ص٢٥٩ فصل في إخباره بالغيب.

لا أولي معاوية ليلة

نقل العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار) عن ابن سحيم، عن أبيه أنّه قال: «لما بويع علي عليه السلام جاء إليه المغيرة بن شعبة فقال: إنّ معاوية من قد علمت، وقد ولاه الشام من كان قبلك، فولّه أنت كيما تتسق عرى الإسلام ثم أعزله إن بدا لك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ فيما قال ـ : «لا يسألني الله تعالى عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً».

ثم قرأ قوله تعالى:

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1][2].

ونقل في (البحار) عن ابن أبي الحديد: أنّ علياً عليه السلام قال للزبير يوم بايعه: «إنّي لخائف أن تغدر بي فتنكث بيعتي؟

قال: لا تخافن فإنّ ذلك لا يكون مني أبداً.

فقال علي عليه السلام: فليَ الله عليك بذلك راع وكفيل؟

قال: نعم الله لك عليّ بذلك راع وكفيل».

وقال ـ بعد حديث ـ : «بعث معاوية رجلاً من بني عبس وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام وفيه:

أما بعد: فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا، واستوثقوا الحلف فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقنك إليها ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٤ ب١ ح٢٢.

قال: فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سرَّ به وأعلم به طلحة واقرأه إياه فلم يشكّا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام.

قال: وجاء الزبير وطلحة إلى علي عليه السلام بعد البيعة له بأيام فقالا له: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت أنّ رأي عثمان كان في بني أمية، وقد ولاك الله الخلافة من بعده، فولنا بعض أعمالك.

فقال علي عليه السلام لهما: ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي، واعلما أني لاأشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ومن قد عرفت دخيله. فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس، فاستأذناه في العمرة.

وروي: أنهما طلبا منه أن يوليهما المصرين البصرة والكوفة.

فقال: حتى أنظر، ثم لم يولهما»[1].

وهذا كله من بُعد نظر أمير المؤمنين عليه السلام في سياسة البلاد والعباد.

فلو كان قد ولى معاوية، وطلحة والزبير، لتآمروا على أمير المؤمنين عليه السلام، بعد ما كانت ورقة الشرعية بيدهم بتوقيع أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٥ـ٦ ب١ ح١.

الفصل الرابع

سياسة الإسلام في المجال الاقتصادي

قال الإمام الصادق(عليه السلام): «**الاقتصاد هو الكسب كله**»[1].

إنّ الاقتصاد لـه الأهمية الكبرى في السياسة، وكلما كان التوازن الاقتصادي أقوى كانت السياسة أكثر سداداً ورشداً.

فلننظر إلى الإسلام كيف جعل من الدولة الإسلامية البعيدة الآفاق، الشاسعة[2] الأراضي، الكثيرة النفوس، أُمة غنية كاد أن يصبح الفقر فيها خبراً لكان..

ولا فقير واحد

انظر إلى القصة التالية وتدبر في أبعاد دلالتها.

ذكر الشيخ الحرّ العاملي(رحمه الله) في كتاب (وسائل الشيعة):

أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) كان يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله

---

(١) راجع سفينة البحار: ج٢ ص٤٣١ باب القاف بعده الصاد.

(٢) يتحدث جرجي زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي) وغيره ممن كتبوا عن سعة الدولة الإسلامية وحضارة الإسلام: أنّ الدولة الإسلامية توسعت وتوسعت حتى بلغت خلال قرنين قرابة ثلاثة أرباع المسكونة إلى مفتتح القرن الثالث الهجري أي في عهد الإمام محمد بن علي الجواد(عليه السلام)، فأفريقية والهند وقسم كبير من الصين وإسبانيا وقسم كبير من روسيا... وغيرها كانت تحت سيطرة المسلمين وحكم الإسلام.

من الناس قائلاً:

ما هذا؟

فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس لـه مال يعـيش به، فيكتنف الناس..

فقال الإمام ـ في غضب ـ : استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر تركتموه؟

ثم جعل الإمام عليه السلام لذاك النصراني من بيت مـال المـسلمين مرتبـاً خاصـاً ليعيش به حتى يأتيه الموت[1].

وهذا يدل على أن الفقر كاد أن لا يرى لنفسه مجالاً في الدولـة الإسـلامية حتى إذا رأى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقيراً واحـداً كـان يـستغرب، ويعتبـره ظاهرة غيـر طبيعيـة وغيـر لائقـة بـالمجتمع الإسـلامي، والنظـام الاقتـصادي الإسلامي.

ثم يجعل لـه من بيت مال المسلمين مرتبـاً يرتـزق بـه مـع أنـه نـصراني لايدين بالإسلام، لكيلا يكون في البلد الإسلامي مظهر واحد للفقر والجوع.

ولكي يعرف العالم، والمسلمون أنفـسهم أنّ الحكومـة الإسـلامية تقـضي على الفقر وترفع مستوى الفقراء لا بالنسبة للمسلمين فحسب، بل تنفي الفقـر حتى عن الكفّار ماداموا تحت رعاية الدولة الإسلامية.

لا فقر في أفريقيا

القارة السوداء التي لا تزال حتى اليوم ـ رغم كـل التقـدم الاقتـصادي فـي مختلف الميادين في العالم ـ ترزح تحت وطأة الجوع والفقر والبؤس، والتـي يموت فيها المئات والألوف.

---

(١) راجع وسائل الشيعة: ج١٥ ص٦٦ ب١٩ ح١.

هذه القارة التي تربض على مخازن الثروة الضخمة، والتي يسرق الطغاة في العالم ثرواتها دون أن يعطوها خبزاً وقمحاً يسدان الجوع.

هذه القارة كانت ـ قبل أكثر من عشرة قرون ـ تنعم بالغنى والثروة نتيجة حكم الإسلام عليها.

فقد نقل المؤرخون: أن والي أفريقيا في العهد الإسلامي ـ وبالضبط في عهد أبي جعفر الإمام محمد الباقر عليه السلام خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام مفتتح القرن الثاني الهجري ـ بعث رسالة إلى العاصمة الإسلامية يستفسر عن الصدقات والزكوات المتضخمة عنده ماذا يصنع بها؟

فصدر الجواب: أصرفها على الفقراء والضعفاء.

فكتب: عملنا ذلك وزادت صدقات كثيرة فماذا نعمل بها إذن؟

وصدر الجواب: اجعل من يعلن في البلاد على رؤوس الناس: ألا من كان محتاجاً فليأت الوالي وليأخذ حاجته من الصدقات. واجعل من يبحث عن الفقراء وأهل العوز، فلعل هناك بعض من يمنعه الحياء أن يأتي الوالي..

فكتب الوالي إلى العاصمة الإسلامية: فعلنا ذلك وزادت الصدقات.

فصدر الجواب: اصرفها في عامة مصالح المسلمين.

فهل رأت أفريقيا مثل ذلك في كل تاريخها وبعد الإسلام؟

وهل رأى العالم أو قرأ أو سمع نظاماً اقتصادياً يستطيع أن يقتلع جذور الفقر عن الناس حتى يكون من بواعث العجب والدهشة رؤية فقير واحد في طول البلد الإسلامي وعرضها، ولو كان ذاك مسيحياً غير مسلم؟ وهل استطاع العالم المعاصر، والتجارب الاقتصادية الكثيرة من وضع نظام اقتصادي كهذا؟

والجواب على ذلك كله: النفي طبعاً.

فاليوم وقد بلغت الحضارات قمتها، والأنظمة الاقتصادية ذروتها، لاتكاد

تجد بلداً واحداً إلا والفقر قد نشر أجنحته السوداء، والفقراء ملأ الأرض، والجوع والحرمان شملا الشرق والغرب والجنوب والشمال.

ولعل بالحجاز

الحجاز واليمامة[1] بلاد جافة وأرض جرداء لا زرع فيها ولا ضرع غالباً، خصوصاً في التاريخ الغابر حيث كان يقل ماؤها، ولا عيون فيها إلا نادراً.

ومثل هذه البلاد من الطبيعي أن يشكو أهلها الجوع والبؤس..

لكن لم يكن قد مضى على تأسيس الإسلام بعدُ نصف قرن حيث قال زعيم الدولة الإسلامية وإمام المسلمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة خطبها على جماهير المسلمين وهو يذكر سبب تقشفه وزهده: «ولعل بالحجار أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع»[2].

فالإمام عليه السلام وهو زعيم أكبر دولة على وجه الأرض ذلك اليوم، لايلقي الكلام بجزم أن هناك في زوايا دولته المترامية الأطراف شخصاً فقيراً واحداً لم يشبع طيلة حياته، ولا إنساناً واحداً لا يطمع في تحصيله على قرص خبز، من أجل عدم التأكد لهذه الدرجة من الفقر، فيلقي الكلام بـ (لعل) وبذلك يذكر السبب لزهده وعدم شبعه من الأكل، لأن الإمام ينبغي له أن يواسي أضعف الرعية، وكيف يشبع الإمام علي عليه السلام وربما يوجد في الرعية من لم يشبع.

أما مسألة الموت من الجوع مثل هذا الذي كثر اليوم في بعض بلاد العالم، فذاك ما لا يذكر تاريخ الإسلام الصحيح له مورداً واحداً.

---

(١) اليمامة: بلاد شرقي مكّة، وقيل: من اليمن، راجع القاموس، ومجمع البحرين.

(٢) سيأتي نقل بعض الخطبة التي هذه الفقرة منها إن شاء الله تعالى.

وفي السويد

تعتبر السويد اليوم من أرقى بلدان العالم حضارة وتقدماً، ولكنها لا تزال تعاني فقراً شديداً، ويعيش فيها فقراء في منتهى الجوع والبؤس.

ففي استوكهولم عاصمة السويد، تقول عنها بعض الصحف:

في برد السويد ينام البعض من الفقر تحت الثلج، وبعضهم يلتحف بأوراق الصحف ليجدهم الكناسون صباحاً موتى من البرد[١].

فإذا كان في أرقى بلاد العالم ـ كما يقولون ـ يعيش بعض الناس هذه الحالة التعيسة من الفقر فكيف بباقي بلاد العالم..

أليس عظيماً اقتصاد الإسلام الذي ينفي الفقر ـ قبل ثلاثة عشر قرناً ـ حتى لاتكون مسألة الفقر ووجود من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع في طول البلاد وعرضها شيئاً مؤكّداً وحتمياً؟

نصوص الشريعة

النصوص الكثيرة في الشريعة الإسلامية، والأحكام الشرعية، وعمل زعماء المسلمين من النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام هي التي خلقت ذاك الجو الذي لم ير الجوع فيه موضع قدم واحدة، وإليك نماذج من الكثير الكثير:

فعن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«ما آمن بي من أمسى شبعاناً وأمسى جاره جائعاً»[٢].

وجاء في (نهج البلاغة) من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

---

(١) مجلة (الوطن العربي) الصادرة في فرنسا: العدد ٩٤ عام ١٩٧٨م.

(٢) راجع وسائل الشيعة: ج٩ ص٥٢ ب٧ ح١١٥٠١ وفيه عنه صلى الله عليه وآله: «فما آمن بي من بات شبعاناً وجاره المسلم جائع..».

«إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مُتع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديث لـه:

«... وإنّ الناس ما افتقروا، ولا احتاجوا، ولا جاعوا، ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء»[٢].

وقال الإمام الباقر عليه السلام في حديث لـه:

«... ولأن أعول أهل بيت من المسلمين، أُشبع جوعتهم، وأكسو عورتهم، وأكف وجوههم عن الناس أحب إليّ من أن أحج حجّة، وحجّة.. حتى انتهى إلى عشر وعشر مثلها، حتى انتهى إلى سبعين»[٣].

الكرامة الاقتصادية

هناك قاعدة معروفة تقول: (الكرامة الاقتصادية تورث الكرامة الاجتماعية).

هذه حقيقة ثابتة في المجتمعات التي لم يكتمل فيها الوعي والفهم في كل الأبعاد.

ولأنّ الكثير من المجتمعات في العديد من مقاطع التاريخ هكـذا كانـت... ولاتزال.. وربما ستكون أيضاً.

فلم يتغافل الإسلام الاهتمام بها لكي لا يكون المؤمنون والأخيار في ذيـل المجتمع لا يعبأ بهم؟ ولا يقدر جانبهم.

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٢٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٩ ص١٢ ب١ ح٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج٩ ص٣٧٣ ب٢ ح١.

من أجل ذلك نرى التحريض الكبير والمؤكّد في المتواتر من روايات أهل البيت عليهم السلام على تحصيل الكرامة الاقتصادية أكثر وأكثر. وأبواب التجارة من كتب (وسائل الشيعة) و(مستدرك الوسائل) و(بحار الأنوار) و(جامع الأحاديث) ونحوها من موسوعات الحديث تطفح بهذه الروايات الشريفة المروية عن النبي وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

وهناك ملاحظات لطيفة ودقيقة في هذا المجال ـ في ثنايا الأحاديث الشريفة ـ نذكر واحدة منها.

تجارة الموالي

ذكر الكليني رحمه الله في (الكافي) بسنده عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعطينا معهم العطاء بالسوية.

وزوج سلمان، وبلالاً، وصهيباً.

وأبوا علينا هؤلاء، وقالوا: لا نفعل.

فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلمهم فيهم.

فصاح الأعاريب: أبينا ذلك يا أبا الحسن، أبينا ذلك.

فخرج وهو مغضب يجر رداءه وهو يقول:

يا معشر الموالي: إنّ هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوجون إليكم ولا يزوجونكم.

ولا يعطونكم مثل ما يأخذون.

فاتجروا بارك الله لكم.

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

الرزق عشرة أجزاء تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيرها»[1].

هذا الحديث الشريف يحتوي على عدة مواضيع إسلامية في الصميم ومهمة بالغة الأهمية وهي بإيجاز كما يلي:

١. شعبية الرئيس الإسلامي الأعلى حتى ليأتيه الموالي وهم مستضعفون في المجتمع لا قدر لهم ولا قيمة، فيفتح الرئيس صدره، ويستمع إليهم، ويفسح المجال لهم، كما يفسح المجال لغيرهم.

٢. المساواة الإسلامية العظيمة، على أساس العدل والإنسانية حتى ليجرأ غير العرب، في بلاد العرب أن يرفعوا الشكوى إلى الرئيس الأعلى من أجل استحقارهم من قبل العرب، وهذا ما لا يوجد إلا في الإسلام.

٣. قيام أمير المؤمنين عليه السلام وهو الرئيس الأعلى للدين والدنيا، بالوساطة لهم بنفسه ودخوله على العرب لينصحهم في هذا الحكم الإسلامي المهم، وهو المساواة في الزواج بين العرب وغير العرب على أساس الإسلام والإنسانية.

٤. الحرّية الإسلامية الرائعة التي تسمح لأناس عاديين أن يردّوا وساطة مثل أمير المؤمنين عليه السلام.

٥. العدل الإسلامي العظيم الذي يتجلّى في عدم قيام أمير المؤمنين عليه السلام برد فعل تجاه ردّ هؤلاء له، وعدم قيامه بعتابهم، أو عقابهم، أو منعهم عن بعض حقوقهم، ونحو ذلك مما يفعله معظم الرؤساء في مثل هذه المواقف.

٦. تشبيه أمير المؤمنين عليه السلام أولئك العرب الذين ردّوا العمل بحكم إسلامي عظيم جداً أو سياسي خطير باليهود والنصارى في هذا

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣١٨ـ٣١٩ باب النوادر ح٩٥.

الموقف القومي البغيض الذي جاء الإسلام لرفضه ورفض أمثاله، تعميقاً من الإمام﵇ لهذه النقطة السياسية المهمة في الإسلام التي تجمع المسلمين على صعيد واحد ويبنى عليها الاتحاد الإسلامي الشامل.

٧. تعليم الموالي طريق الكرامة الإجتماعية، الذي هو في مثل تلك المجتمعات غير المتشبعة بعد بروح الإسلام في كل الأبعاد: هو تحصيل الكرامة الاقتصادية..

لكي يتماسك المسلمون، وتتحد القوميات في ظل الإسلام، ولو عن طريق الكرامة الاقتصادية..

لأنّ القوميات تعشعش غالباً في المحيطات الفقيرة، فإذا كان الغنى وكانت الأراضي والسيارات، والتجارات والقصور.. ونحوها فإنّ القومية تنهار وتزول.

وبالفعل تعلّم أولئك الموالي من أمير المؤمنين علي﵇ هذه الحكمة الاجتماعية وسلكوا طريق التجارة، حتى أصبح الكثير منهم تجاراً، وأصحاب أموال، وتزوجوا ـ بعد ذلك ـ من العرب، وتزوج منهم العرب، وتماسك التلاحم العربي العجمي في ظل الإسلام العظيم.

سياسة الإسلام في المجال الصحي

قال الإمام أمير المؤمنين﵇: «**إنّ في القرآن آية تجمع الطب كله: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾**[1]»[2].

الإسلام وضع خططاً حكيمة لاقتلاع جذور المرض من أطراف الدولة الإسلامية كلها ومن عامة المسلمين.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٢٦٧ ب٨٨ ح٤٢.

فإنا نجد في قائمة الأحاديث الشريفة المأثورة عن رسول الإسلام ﷺ وعن أهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام المئات المئات.. بل الألوف والألوف منها مخصّصة لبيان الأمور الصحّية.

وللتوسّع في ذلك دونك كتاب (بحار الأنوار)[١] للعلاّمة المجلسي رحمه الله الكتاب الذي يضم زهاء مائة ألف حديث شريف، وكتاب (وسائل الشيعة) للشيخ الحر العاملي رحمه الله الكتاب الذي يضم زهاء أربعين ألف حديث شريف، فانك تجد فيهما الفصول المخصّصة بالصحّة والطبّ، والأحاديث الكثيرة فيها.

ولأجل ذلك قلّما يجد الإنسان ـ في ظلّ الحكم الإسلامي ـ مرضى كثيرين وأمراضاً متفشية.

وكانت الصحّة العامّة ترفرف بأجنحتها على الدولة الإسلامية العريضة، وكان ذلك مستمراً إلى قبل ستّين عاماً.

فالبلد الواحد ذو مائة ألف نسمة ـ مثلاً ـ كان يكفيه أطباء قليلون، وكنت ترى يومياً بعضهم بلا مراجعين، أو قليلي المراجعين يعدّون عداً بالأصابع.

ونحن حين لا ننكر ما للطب الحديث من التقدّم في بعض المجالات، نتساءل:

لماذا أصبح الطب اليوم ـ بما أوتي من حول وطول ـ عاجزاً عن معالجة المرضى، ومكتوف الأيدي أمام هذا العدد الهائل من الأمراض؟

ففي كل بلد يكون كبيراً، ترى المرضى يعدّون بالألوف..

والأطباء بالمئات..

والصيادلة ومخازن ومستودعات بيع الأدوية والعلاج بالمئات.

---

(١) انظر بحار الأنوار: ج٥٩ أبواب الطبّ ومعالجة الأمراض وخواصّ الأدوية.

ولو قسنا هذه الكمية الكبيرة بعهد الإسلام وعدد المرضى فيه لكانت النسبة واحداً بالمائة، أو أقل بكثير[١].

أليس ذلك دليلاً على رشد الإسلام في سياسته الصحّية، وفشل غير الإسلام في هذا المجال؟

فالأطباء يضاعف عددهم سنوياً بالألوف.

والمستشفيات في ازدياد.

والتجارب الصحّية في تقدم.

والمرضى ملأ الدنيا.

والأمراض طبقت البلاد.

هل هذه سياسة صحّية رشيدة؟

مقارنة

ويمكنك استطلاع هذه الحقيقة بالتحقيق عن المصحّات والمستشفيات ودور الصحّة، فإنك تجد نسبة المتدينين والملتزمين بتعاليم الإسلام الصحّية فيها أقل بكثير من غير المتدينين وغير الملتزمين بالتوجيهات الإسلامية في مجال الصحّة العامة.

---

(١) الإحصاءات الحديثة في مختلف دول العالم توقفنا على المدهش كثيراً في هذا المجال. سواء في ذلك الدول الغربية، أو الشرقية، أو الدول النامية ـ كما يعبرون ـ

وقد التقيت ـ أنا شخصياً ـ بطبيب خاص بعلاج (مرض السكري) في بلد صغير لا يعدو كل سكانه مليون نسمة، وكان الطبيب واحداً من عديدين يعالجون السكري، قال لي بالحرف الواحد: «إنني أعالج تسعة آلاف مريض مصاب بالسكري». هذا مع غض النظر عن ألوف الأمراض الأخرى، ومئات الأطباء الآخرين. وعلى هذه القصة الصغيرة فقس غيرها. وليس المقصود من ذلك التنقيص من قدر الأطباء ومهمتهم الإنسانية، فإنّ فيهم المؤمنين والأخيار والملتزمين بموازين الإسلام والإنسانية، يعرفون مسؤوليتهم أمام الله، وإنما المقصود بيان ضعف السياسة الصحّية المعاصرة.

وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت: إنّ النسبة واحد في المائة.

وهذه المقارنة البسيطة تعطيك فكرة سريعة عن مكان الصحّة في الإسلام.

وليس في هذا العرض البسيط متسع من المجال لـذكر الأسـباب الـصحية التي وضعها الإسلام لتعميم الصحّة في كل بيت، ومع كل إنسان، وإنما نرجئ ذلك إلى بحوث خاصة، فمن أراد فليلاحظ بعض ما كتب في ذلك، مثل:

(طب النبي ﷺ)[١]..

(طب الصادق عليه السلام)[٢]..

(طب الأئمة عليهم السلام)[٣]..

(شرح توحيد المفضل)[٤].

وغيرها...

تقليل الدم

ولنضع هنا مثلاً يكون نموذجاً واحداً لما قلناه عن سياسة الصحة في الإسلام:

فقد كان المسلمون غالباً حسب أوامر الشريعة الإسلامية المتكررة والمؤكّدة يعمدون إلى تقليل كمية الدم من كل فرد في كل عام على الأقل مرة واحدة خصوصاً في أيام الربيع حيث يهيج الدم، تبعاً لتهيج كل ما في الكون من إنسان، وحيوان، ونبات، وأجهزة، وطاقات وغيرها.

وذلك بعملية (الحجامة) أو عملية (الفصد)[٥].

---

(١) لأبي العباس المستغفري (٣٥٠ ـ ٤٣٢هـ) ولد وتوفي بمدينة نسف بالقرب من سمرقند.

(٢) للميرزا محمد الرازي النجفي المولود في ١٣١٨هـ

(٣) لعبد الله وحسين ابني بسطام من أعلام القرن الرابع الهجري.

(٤) للخليلي، مجلّدان.

(٥) الحجامة: هي إخراج الدم الفاسد بواسطة الممصّ ـ آلة المصّ ـ من العروق الدقيقة، والشعيرات الدموية المبثوثة

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن تقليل الدم أمان من موت الفجأة، وكذا فهو أمان من السكتة القلبية. والشلل المؤدّي إلى ذلك.

ومما ورد في ذلك حديث شريف للإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام حيث قال: «الدم هو عبد وربما قتل العبد سيده»[1].

ولكن الطبّ الحديث جاء ليمنع عن تقليل الدم منعاً باتاً وكان نتيجة ذلك ـ وغيره أيضاً ـ انتشار السكتة القلبية في طول البلاد وعرضها، ومن أقصاها إلى أقصاها.

فكانت البلاد الإسلامية تعيش ولا تعرف السكتة القلبية، ويعرف جيداً من عاش قبل نصف قرن أنّ السكتة القلبية كانت مثار عجب ودهشة إذا أصيب بها إنسان واحد.

وقدّ حدّثني شخص من المؤمنين: أنّه في شبابه وقعت حادثة وفاة بالسكتة القلبية في محلّة من بلده، وإذا بالناس يتراكضون إلى الميت وقد ملكهم العجب مما سمعوا ولم يكد بعضهم ليصدقه.

أما اليوم ـ وقد ربض الطب الحديث مكان الطب الإسلامي ـ فترى الموتى بالسكتة القلبية كثيراً.. وكثيراً، ولعلني لا أكون مبالغاً إذا قلت: إنّ نسبة ذلك قد تصل إلى ٣٥٪. أي، قرابة ثلث الناس يلقون حتفهم بالسكتة القلبية الناتجة عن تخثر الدم، نتيجة عدم تقليل الدم بالحجامة، أو الفصد، أو ما شابه ذلك.

كشف الخطأ

وقد انكشف للطب الحديث ـ أخيراً وبعد أن راح ضحية هذا الخطأ الملايين من البشر موتاً بالسكتة القلبية ـ خطأ هذا الرأي، وأنّ النافع للبدن

في اللحم، بما من شأنه تصفية الدّم، ممّا يساعد على تنشيط الدّورة الدمويّة، وتوجب الرشد. والفصد: هو شق الوريد بإخراج مقدارٌ من الدم كما هو نقياً كان أو غليظاً، وكما أنّ الحجامة تنشّط البدن فالفصد يُضعفه.

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج١ ص٨٥ ب٢٢ ح١١.

والصحّي للإنسان هو تقليل الدم.

ومما نشأ عن ذلك توجيه الأطباء للناس النصيحة بتقليل الدم.

ففي إحدى إذاعات دول الغرب ذكر أحد شخصيّات الطّب الحديث في خلال بحث له أنّ:

تقليل الدم، أو التبرع بالدم أمر صحي ضروري لكل إنسان، وهذا بدوره يمنع تصلب الشرايين الذي يؤدّي غالباً إلى تخثّر الدم، الذي يمهد الطريق إلى انسداد صمام القلب، وتوقف القلب، وبالتالي (السكتة القلبية). وإنّ عملية (الحجامة) أو (المشرط) التي كان المسلمون يزاولونها هي التي تركت نسبة الموت الفجائي فيهم قليلة ضئيلة.

هذا بعض ما في الإسلام من السياسة الصحيحة لتعميم الصحّة على الجميع في كل مكان.

سياسة الإسلام في مجال الثقافة

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

لا تكاد ترى أمّة، أو فكرة، أو مبدأ، أو نظاماً فتح أبواب العلوم والثقافة كما فتحها الإسلام، أو ندب إليها كما ندب الإسلام إلى العلم.

فكم ندب الإسلام إلى العلم، وكم قدّر من العلماء، ورفع من شأنهم.

منزلة العلم في القرآن

ونظرة باحثة بدقّة في القرآن الحكيم، وتصفّح آيات بينات ورد فيها العلم والفكر والعلماء والمفكرين، توقف الباحث على كنز كبير وزخم عظيم.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

ففي القرآن أكثر من ألف وخمسمائة آية تتحدّث عن المواد التالية: (العلم)، (المعرفة)، (التعقّل)، (التذكّر)، (التدبّر) التي يجمعها معنى (الثقافة).

وإذا علمنا أنّ كل ما في القرآن من آيات (٦٤٠٠) آية تقريباً.

وإذا علمنا أيضاً أنّ هذه الآيات تعني بكل ما في الإسلام من أصول، وفروع، وأحكام، وأخلاق، ونفس، وجسد، وعلوم الكون، والحيوان، والنبات، والفلسفة، والطب، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والعلاقات الدولية، والفردية، والعائلية، والقومية، والإقليمية، وما إلى ذلك من عبادات، ومعاملات، وجيش، وشرطة، وأمن، وحاكم، ومحكوم، وغير ذلك..

ومن مجموع ذلك نسبة الربع تقريباً يختص بالثقافة.

إذا علمنا كل ذلك وجمعنا بعضها إلى بعض ظهر لنا بجلاء اهتمام القرآن بالثقافة، وأنّه لا يشابهه اهتمام أي نظام، أو دين، أو مبدأ.

فهل نجد ـ عبر التاريخ كله ـ كتاباً للتشريع والتنفيذ جميعاً في مختلف الميادين تستأثر الثقافة منه بالربع؟

منزلة العلم في السنة

والسنّة والأحاديث الشريفة المروية عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام هي الأخرى زاخرة بالعلم والمعرفة.

ويكفيك أن تعلم أنّ كتاباً واحداً من مجاميع الأحاديث هو (بحار الأنوار) جمع فيه من أحاديث العلم والمعرفة قرابة ثلاثة آلاف حديث أو تزيد.

هذه الخلفية الثقافية الواسعة المعمّقة تعكس بعض اهتمام الإسلام بالثقافة والفكر.

نماذج

ولمجرد النماذج نذكر بعض الأحاديث لنعرف البعد العميق فـي تحـريض الإسلام على الثقافة والعلم:

١. «**اطلبوا العلم ولو بالصين**»[1].

ولو علمنا أنّ الرسول ﷺ الذي فاه بهذه النادرة العظيمـة كـان فـي الحجـاز وكان في زمان يستغرق السفر منه إلى الصين ذهابـاً وإيابـاً سـنتين، دع عنـك الأخطار الكبيرة والكثيرة التي كان يواجهها المسافر إلـى الـصين عبـر البحـار والصحاري، من تعرض للغرق والضياع والهلاك عطشاً أو جوعاً، أو بتمزيـق السباع، وما شاكل ذلك.. لعرفنا بعض عمق هذا الكلام النبوي..

«**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**»[2].

ولعلنا لا نجد في التاريخ كلمة أخرى ـ غيـر هـذه النـادرة التـي ورد بهـا الحديث الشريف ـ تدل على أنّ المهمّة الأولى والأخيرة للإنسان هـو العلـم، فمن المهد يبدأ الإنسان مدرسته، ولا ينتهي منها إلا عنـدما يوضـع فـي القبـر ويلحد.

«**العلماء ورثة الأنبياء**»[3].

الأنبياء عليهم السلام هم قمم البشر، هم السفراء بين الله وبين خلقـه، هـذه المنزلـة هي التي يختار الله لها من يشاء من بين الناس.. فليس باختيار الناس أنفـسهم بل هو اختيار الله تعالى، ولكن لأي بشر أن يتسنّم الوراثـة لهـذه القمّـة، بـأن يتعلم حتى يصبح عالماً، ويكفي ذلك دلالة على رتبة العلم وعظيم منزلته.

---

(١) بحار الأنوار: ج١ ص١٧٧ ب١ ح٥٥.

(٢) تفسير القمّي: ج٢ ص٤٠١ الهامش.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص٦٠ المجلس ١٤.

«الناس موتى وأهل العلم أحياء»[١].

الحياة ينسجم معها الأحياء ولا ينسجم معها الأموات، لأن كل شيء ينسجم مع مجانسه، وهذه الكلمة هي من أروع التعبير لذلك، فالناس ـ إن لم يكونوا علماء ـ فهم أموات، والأموات ليسوا في هذه الحياة، وأهل العلم هم الأحياء.

فالجاهل وإن كان حياً في هذه الدنيا، فهو بمنزلة الميت.

والعالم وإن كان ميتاً منذ قرون، فهو بمنزلة الحي.

«ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا»[٢].

عالم اليوم يفتخر بالتعليم الإجباري الذي فرض في بعض الدول على عامّة النّاس، مع أنّ المخطِّط الأوّل لذلك في إطاره الإيجابي الإنساني دون السلبي الممارس حالياً عند البعض هو حفيد رسول الله ﷺ الإمام جعفر الصادق عليه السلام صاحب هذه الكلمة النادرة.

فهو يتمنى لو استطاع جبر أصحابه على التفقّه والتعلّم ولو بسبب ضربهم بالسياط.

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[٣].

هذا الفرض العام في التعليم والثقافة الشامل لكل رجل وامرأة عديم الوجود في غير الإسلام، فهو من مختصات الإسلام. إنّه فريضة، وواجب شرعي إلهي، ثم إنّه لا يختص بألف قيد، وألف شرط، من: التحديدات بالعمر، أو الجنسية، أو المهنة، أو ما شاكل ذلك مما تشترط في تعليم عالم اليوم.

إنّه واجب على كل مسلم شباباً، وشيوخاً، وكهولاً، ومن مختلف

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص٢٤.

(٢) المحاسن: ص٢٢٩ ح١٦٥.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر للأمير ورّام الأشتري: ج٢ ص١٧٦.

الجنسيات، والألوان، واللغات، والقوميات، والقبليات.. إلى آخره.

وهو واجب على كل امرأة مسلمة كذلك.

والأحاديث الشريفة في التحريض على الثقافة والأمر بالعلم والاستزادة منه كثيرة لا مجال لذكرها هنا في هذا العرض المبني على الاختصار.

فهل تجد مثل ذلك في غير الإسلام؟

كلا!.

معرفة الصناعات

ويضرب الإسلام شوطاً أبعد في ميدان الثقافة، فيصدر حكمه الأكيد والوجوب المحتوم على تعلّم كافّة الصناعات، والمخترعات، والحرف، وجوباً كفائياً.

ومعنى الوجوب الكفائي هو: أنّ المسلمين لو تركوا جميعاً صنعة أو حرفة فتعطلّت عندهم أجهزة الحياة ـ ولو نسبياً ـ اشترك الجميع في الإثم والعصيان والمسؤولية أمام الله تعالى.

قال شيخ الفقهاء الشيخ المرتضى الأنصاري تَتَنُّ في كتاب (المكاسب): «وللواجب بالصناعة الواجبة كفاية خصوصاً إذا تعذّر قيام الغير به»[1].

فعلم صنع الطائرات واجب في الإسلام.

وتعلّم صنع المكائن ـ بأنواعها وأشكالها ـ واجب.

وكذلك تعلّم صنع الأقمار الصناعية، والمركبات الفضائية.

وتعلم فلق الذرة واجب أيضاً.

وهكذا كل صناعة، أو حرفة، أو اختراع ـ يتضرر الإسلام والمسلمون بتركه ـ واجب مقدّس في الإسلام..

---

(١) المكاسب: ج١ ص١٣ تقسيم المكاسب بحسب الأحكام الخمسة.

ومعنى الواجب ليس المفضّل وحسب. بل معناه ما لو توانى عنه المسلمون وتقاعسوا لاستحقّ جميعهم العقاب الإلهي ممّن كان يمكنه القيام به وتركه. ولو فعله بعض المسلمين بمقدار الكفاية، سقط وجوبه عن الآخرين.

وكان لمن فعله أجر الدنيا وثواب الآخرة. فيندرج ذلك في العبادة التي لم يخلق الله تعالى الناس إلا من أجلها حيث قال القرآن الحكيم:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

سياسة الحرية في الإسلام

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً**»[2].

الحريات التي سنّها الإسلام للمسلمين ولعامّة الناس لم يرَ التاريخ الطويل للعالم لها نظيراً ولا مثيلاً، وحتى هذا اليوم الذي يسمّى أحياناً بـ(عصر الحرّية).

فإنّ الإسلام يعطي لكل فرد من المسلمين، بل وحتى لغير المسلمين من سائر البشر، كامل الحرّية في جميع المجالات المشروعة، مادام لا يضر بحرّية غيره[3].

حرية الفكر

وأول ما يبدأ الإسلام بتحرير الناس فيه: الفكر، واختيار الدين. فإنّ الإسلام لايجبر الناس على دين معيّن أبداً، ولو كانوا في بلاد الإسلام وتحت رعايته وحمايته.

وقد أعلن القرآن الحكيم هذه الحرّية الفكرية بقوله تعالى:

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[4].

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١ ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين.

(٣) ذكرنا شيئاً من الحرّية الإسلامية في سياسة النبي صلى الله عليه وآله وسياسة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

وقد نفّذ ذلك رسول الله ﷺ في كل حروبه الدفاعية، وغزواته..

فكانت الانتصارات تلو الانتصارات التي حققها الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ لا تحمله على إجبار الناس باعتناق الإسلام، بل يعرض عليهم الإسلام، فمن قبله، فهو، ومن لم يقبله، فلا جبر عليه بالقبول.

في فتح مكة

ومن أبرز الشواهد على ذلك (فتح مكّة).

فمكّة ضغطت على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً بمختلف أنواع الضغوط: من قتل المسلمين، وتعذيبهم، وشتمهم، وإهانتهم، ومقاطعتهم، وترك مناكحتهم، وترك مبايعتهم، وترك التكلّم معهم، وتهجيرهم، وسجنهم..

ومكة هي التي تآمرت على قتل رسول الله ﷺ حتى أمره الله تعالى بالخروج منها ليلاً، فخرج ﷺ منها خائفاً يترقّب.

ومكّة هي التي قادت المسيرة ضد رسول الله ﷺ طيلة عشرين سنة تقريباً.

ومكّة هي التي أقامت العشرات من الحروب الدموية الطاحنة لتحطيم الإسلام والمسلمين. وهكذا دواليك..

ثم جاء دور انتصار الرسول ﷺ على مكّة، ووصل زمن وعد الله تعالى للرسول الأعظم ﷺ:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[1].

وللمسلمين المهجّرين، والمهاجرين، والمعذّبين في سبيل الله:

﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٥.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٧.

فدخل رسول الله ﷺ هذا البلد، ودخل معه الجيش الإسلامي.

أترى أجبر النبي ﷺ أحداً من المشركين على الإسلام؟

كلا!

فحرّية العقيدة من دستور الإسلام.

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ تجاه أهل مكّة فريد في تاريخ الفتوحات، والإنتصارات. إلا اللهم في تاريخ الأنبياء والمرتبطين بالله تعالى من الأوصياء والأولياء عليهم السلام.

وفعل النبي ﷺ ـ تعميقاً في الخير والحب العام ـ أكثر من ذلك.

فإنه كما ذكرنا سابقاً، إنّ شخصاً ممّن كان في جيش النّبي أخذ راية بيده وجعل يدور في أسواق وسكك مكّة ويصيح:

«اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرمة»[1].

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأمر الإمام علياً عليه السلام أن يأخذ الراية بيده ويعلن بضد ذاك النداء.

فأخذ علي عليه السلام راية الإسلام بيده وجعل يصيح في طرق وشوارع مكّة:

«اليوم يوم المرحمة، اليوم تصان الحرمة».

أترى أي فاتح ـ غير الرسول ﷺ ـ في مثل مكّة وموقفها من الرسول ﷺ فعل مثل ذلك؟

إنّه الإسلام الذي جاء لإسعاد البشر حتى الذي لا يؤمن بالإسلام يريد له الخير ويحب له النجاة..

إنّها من أبعاد الحرّية في الإسلام.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٢١ ص١٣٠ ب٢٦ ضمن ح٢٢.

فتح البلاد

وكانت سيرة رسول الله ﷺ عندما يفتح البلاد أن يرسل إلى أهلها حاكماً، أو قاضياً، أو معلّماً للقرآن والأحكام..

فيقوم هؤلاء ببث الثقافة الإسلامية بين أهل تلك البلاد، فمن قبل وآمن فحباً وكرامة، ومن ترك ولم يؤمن فشأنه.

الكفار في مكّة والمدينة

ومن الشواهد البارزة لذلك: إنّ مكّة، والمدينة، وما حولهما من القرى والأرياف، كان يعيش فيها ـ بكثرة ـ اليهود، والنصارى، والمشركون، حتى وفاة الرسول ﷺ فلم يجبرهم على الإسلام، بل تركهم وشأنهم.

آيات قرآنية

وأساس هذه الحرّية العميقة في القرآن الحكيم آيات عديدة منه، وقد عرض ذلك القرآن بأسلوب إنساني وعاطفي غاية في اللطف والجمال، قال عزّ وجلّ:

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]...

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[١].

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٢].

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾[٣].

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾[٤].

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٥].

حريات أخرى

والإنسان حرّ ـ بنظر الإسلام ـ في مزاولة كل أنواع الأعمال، بمختلف أشكالها، وأحوالها، في أي زمان ومكان ـ ما لم يضرّ بالآخرين ـ انطلاقاً من الآيات القرآنية الآنفة الذكر.

ومن قوله تعالى:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾[٦].

والذي يستفاد منها أنّ كل إنسان ولي نفسه، وهو حرّ في جميع تصرّفاته في نفسه وأمواله[٧].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة البلد: الآية ١٠.

(٣) سورة المزمل: الآية ١٩، وسورة الإنسان: الآية ٢٩.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٥٧.

(٥) سورة الإنسان: الآية ٣.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٧) في تفسير نور الثقلين: ج٤ ص٢٣٧ عند تفسير سورة الأحزاب زخم كبير من الأحاديث الشريفة بهذا المعنى.

وقد استنبط فقهاء الإسلام من ذلك قاعدة ثابتة أساسية هي قولهم:

«الناس مسلّطون على أموالهم وأنفسهم».

وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ:

«إن الناس مسلطون على أموالهم»[1].

وورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»[2].

فهذه الآيات والأحاديث الشريفة تؤكّد حرّية الإنسان في تصرّفاته الشخصية في جميع أبعاد الحياة: في نفسه، وماله، كيف شاء، ومتى شاء، وحيث شاء، إلا أن يستغل ذلك في المضرّات الشخصية كقتل نفسه وإسراف ماله، أو المضرّات الاجتماعية كقتل الآخرين وظلمهم وغصب أموالهم ونحو ذلك.

وبكلمة واحدة: أي تصرف كان للشخص، في نفسه، أو في أمواله، أو في طاقاته، أو في طاقات الكون ـ مما لا يزاحم حق إنسان آخر ـ فهو حلال، وله الحرّية الكاملة في مزاولته.

فإن الإسلام يعطي لكل فرد من المسلمين حرية الكسب والتجارة، حرّية العمل والصناعة، حرّية السفر والإقامة، حرّية الخطابة والكتابة، والحرّية في جميع الأمور.

فالتاجر ـ بحكم الإسلام ـ حر في التجارة من أية نقطة إلى أي بلد، دون حاجة إلى أخذ إجازة أو رخصة، وليس عليه جمارك ومكوس، ولا للبلاد الإسلامية التي يتّجر فيها حدود.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٣ ب٣٣ ح٧.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١، ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين.

والمسافر ـ بحكم الإسلام ـ حرّ في أن يسافر من أين شاء إلى حيث يريد، ويتوطّن أي بلد أراده، دون أن يطالب بجواز سفر، أو إقامة، أو يسأل عن اسمه واسم أبيه وأمه، وأسماء عشيرته وأقربائه وأصدقائه، أو يسأل عن غاية سفره أو هدفه.

والعمّال، والصّناع ـ بنظر الإسلام ـ أحرار في الأعمال التي يختارونها والصناعات التي ينتخبونها دون أية معارضة أو منع أو حاجة إلى إجازة أو نحوها.. .

والكاتب ـ عند الإسلام ـ حرّ فيما يكتب، وما يبثّ وما ينشر، دون رقابة، أو إجازة، إلا فيما يضرّ المجتمع.

سياسة الإسلام في مكافحة الجرائم

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[1].

وقد قام الإسلام بمكافحة الجرائم والجنايات، بأسلوب لم تحلم به الدول كلّها إلى اليوم، فهو يجعل ـ بقوانينه الراشدة ـ من الناس أمة طاهرة لا تأتي بجناية.

ولو نظرت إلى الدولة الإسلامية الشاسعة الأطراف، منذ البعثة النبوية الشريفة حتى مضي قرنين منها لرأيت التاريخ يسجّل سرقات قليلة في هذه الدولة الواسعة، بينما ترى أميركا اليوم وهي تدعي لنفسها أنّها من الدول الحضارية الفائقة في حضارتها تستنجد بالعالم في كيفية مكافحة هذا الخطر المحدق، لخلاصها من ستة ملايين لص، في ظرف خمسة وعشرين عاماً، فما النسبة؟

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

مائتان من السنوات، دولة كبيرة جداً، وسرقات قليلة جداً.

مع ربع قرن، ودولة كأميركا، وستة ملايين لص[1].

وتنشر كلّ يوم في الجرائد المختلفة تقارير عن مدى كثرة الجرائم في كلّ بلاد عالم اليوم، من شرقيّها وغربيّها، كما يشهد لها دُور المحاكم ومخافر الشرطة، ونحوها.

العلماء لا يعرفون عقوبة السارق

والقصّة التالية تدلّ بوضوح على مدى قدرة الإسلام في نفي الجرائم:

«في عهد المعتصم العباسي حيث كان المعتصم جالساً على أريكة الحكم، في مجلس ضخم كبير، يضم كبار العلماء والفقهاء ومن بينهم الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام[2]، وهو على أبواب العقد الثاني من عمره الشريف، يتراءى لهم طفلاً بعد، في مثل ذلك المجلس، جاؤوا بسارق فتوجّه المعتصم إلى الفقهاء المحدقين به يستفسرهم عن حكم السارق، فأجمع الكل على أنّ حكمه أن تقطع يده لقوله تعالى: **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا﴾**[3]، لكنهم اختلفوا في أنّ اليد من أين تقطع؟

فقال بعض الفقهاء، ومنهم أبو داود: تقطع يده من الزند، لقوله تعالى في آية التيمم: **﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾**[4]، فأطلق القرآن كلمة (الأيدي) وأراد بها من الزند.

---

(١) للتوسع في الموضوع راجع كتاب (العقوبات في الإسلام) للمؤلف.

(٢) هو تاسع الأئمة الإثني عشر عليهم السلام الذين نص رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامتهم وعلى وجوب طاعتهم، وهو السادس من ذرية الإمام الحسين عليه السلام.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣٨.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٣.

وقال آخرون من الفقهاء: بل تقطع يده من المرفق، لقوله تعالى في آية الوضوء:

﴿فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[1].

فأطلق القرآن كلمة (الأيدي) وأراد بها من المرفق.

هذا كله.. والإمام الجوادعليه السلام لزم جانب الصمت ولم يتكلّم بشيء، ولم يؤيد واحداً من هذه الآراء، فتطلّع المعتصم إلى رأي الإمام، حيث لم يؤيد هذه الأقوال، فتوجه إلى الإمام قائلاً:

ماذا تقول أنت يا ابن العم؟!.

الإمام: قالوا وسمعت.

المعتصم: لا بدّ أن تقول رأيك، أي شيء عندك؟.

الإمام: إن كان لابدّ من ذلك، فإنّهم أخطؤوا فيه السنّة، فإنّ القطع يكون من مفصل أصول الأصابع، ويترك له الكفّ.

المعتصم: ولم؟.

الإمام: لقول رسول اللهصلى الله عليه وآله: «السجود على سبعة أعضاء، الوجه، واليدين، والركبتين، وإبهامي الرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع، أو المرفق، لم تبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[2] وما كان لله لم يقطع.

فأعجب المعتصم بذلك، وأخذ برأي الإمامعليه السلام[3].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦.

(٢) سورة الجن: الآية ١٨.

(٣) راجع وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٢٥٢ـ٢٥٣ ب٤ ح٥.

سياسة الإسلام في الضمان الاجتماعي

قال رسول الله ﷺ: «... **فمن ترك مالاً فلورثته ومن ترك ديناً فعليّ**»[١].

والضمان الاجتماعي في الإسلام صبابة الإنسانية في قمّتها، ولذا فإنّ الإسلام حيث ينطلق من زاوية الإنسانية، يصب هذا الضمان بما توافق الإنسانية في أعمق أبعادها الفضيلة، وبتأكيد لم ير التاريخ قبل الإسلام، ولم تسجل الحضارات بعد الإسلام حتى اليوم ضماناً إجتماعياً بعمق الضمان الإجتماعي في الإسلام.

إنّه يقول: إنّ كل من يموت وعليه ديون، فعلى إمام المسلمين أداء ديونه، وكل من يموت وله مال، فالمال كلّه لورثته، ليس لإمام المسلمين منه شيء..

فهل سمعت ضماناً اجتماعياً كهذا، حتى في أعمق الحضارات؟.

بالتأكيد، لا..

زخم النصوص

وفي نصوص الشريعة الإسلامية زخم كبير من ذلك، وهو إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على مدى اهتمام الإسلام بالتأكيد على هذا الجانب الإجتماعي المهم، حيث تكرر نقل ذلك عن نبي الإسلام ﷺ والأئمة من العترة الطاهرة ﷺ.

في حديث رسول الله

روى الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ سادس أئمة أهل البيت ﷺ عن جدّه رسول الله ﷺ **أنّه قال:**

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص٤٢٤ ب٣ ح٣.

«أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، وعلي عليه السلام أولى به من بعدي».

فقيل له: ما معنى ذلك؟.

فقال: قول النبي صلى الله عليه وآله:

«من ترك ديناً، أو ضياعاً فعلي، ومن ترك مالاً فلورثته»[1].

قال الإمام الصادق عليه السلام بعد نقل هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«وما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّهم آمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم»[2].

وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان لا يصلّي على رجل عليه دين،فأتي بجنازة، فقال صلى الله عليه وآله: هل على صاحبكم دين؟ فقالوا: نعم، ديناران، فقال صلى الله عليه وآله: صلّوا على صاحبكم.

فقال أبو قتادة: هما عليّ يا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فصلّى عليه، فلما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وآله، قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً فعلي»[3].

وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره، بسنده المذكور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان يقول: «ما من غريم ذهب بغريمه إلى والٍ من ولاة المسلمين واستبان للوالي عسرته إلا برئ هذا المعسر من دينه، وصار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين»[4].

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٤ ص٢٤٠، سورة الأحزاب ح٢٣.

(٢) الكافي: ج١ ص٤٠٦ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام ح٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٣ ص١٥١ باب٣ ح٣، نقلاً عن الخلاف.

(٤) تفسير القمّي: ج١ ص٩٤ سورة البقرة، أحكام الربا.

وفي أحاديث الأئمة الطاهرين

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من مات وترك ديناً، فعلينا دينه، وإلينا عياله، ومن مات وترك مالاً، فلورثته»[١].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينزل من منبره، إلا قال:

«من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً، فعليّ»[٢].

ونقل الكليني والطوسي قدس سرهما في كتابي الحديث، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام أنّه قال: «من طلب هذا الرزق من حلّه ليعود به على نفسه وعياله، كان كالمجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ، فإن غلب عليه، فليستدن على الله عزّ وجلّ وعلى رسوله ما يقوّت به عياله، فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه، فإن لم يقضه كان عليه وزره»[٣].

ونقلا أيضاً بأسانيدهما، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال:

«الإمام يقضي عن المؤمنين الديون»[٤].

ونقل الطوسي رحمة الله عليه بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: أنّه قال له عطاء: جُعلت فداك، إنّ عليّ ديناً إذا ذكرته فسد عليَّ ما أنا فيه.

فقال عليه السلام: «سبحان الله! وما بلغك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في خطبته: من ترك ضياعاً فلأهله ضياعه، ومن ترك ديناً فعلي دينه، ومن ترك مالاً فلأهله، فكفالة رسول الله صلى الله عليه وآله ميّتاً ككفالته حيّاً، وكفالته حيّاً ككفالته ميتاً».

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٦ ص٢٤٧ ب٣ ح٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٢٠٧ ب٢ ح١.

(٣) الكافي: ج٥ ص٩٣ باب الدين ح٣، وتهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨٤ ب٨١ ح٦.

(٤) الكافي: ج٥ ص٩٤ باب الدين ح٧، وتهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨٤ ب٨١ ح٤

فقال الرجل: نفّست عني جعلني الله فداك[1].

وذكر العيّاشي في تفسيره، عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه سئل، فقال له رجل من أهل الجزيرة: جعلت فداك، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ...﴾[2] فأخبرني عن هذه (النظرة) التي ذكرها الله، لها حدّ يعرف إذا صار هذا المعسر لابدّ له من أن ينتظر وقد أخذ مال هذا الرجل وأنفق على عياله، وليس له غلّة ينظر إدراكها، ولا دين ينتظر محلّه، ولا مال غائب ينتظر قدومه.

قال عليه السلام:

«نعم، ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الامام، فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين»[3].

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله في (معاني الأخبار) بسنده المذكور عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال:

«صعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر، فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فصار بذلك أولى بهم من آبائهم وأمهاتهم، وصار أولى بهم منهم بأنفسهم، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده، جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله»[4].

ونقل الشيخ المفيد رحمه الله في (مجالسه) بسنده المذكور عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه كان يقول:

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٢١١ ب٨٤ ح١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

(٣) تفسير العياشي: ج١ ص١٥٥ سورة البقرة ح٥٢٠.

(٤) معاني الأخبار: ص٥٢ باب معاني أسماء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ح٣.

«صعد رسول الله ﷺ المنبر، فتغيّرت وجنّتاه والتمع لونه، ثم أقبل بوجهه فقال: يا معشر المسلمين! إني إنما بعثت أنا والساعة كهاتين . إلى أن قال: . أيها الناس من ترك مالاً فلأهله وورثته، ومن ترك كلاً أو ضياعاً، فعليّ وإليّ»[1].

وعن أبي عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ومن كان له على رجل مال أخذه ولم ينفقه في إسراف أو في معصية، فعسر عليه أن يقضيه، فعلى من له المال أن ينظره حتى يرزقه الله فيقضيه، وإذا كان الإمام العادل قائماً، فعليه أن يقضي عنه دينه، لقول رسول الله ﷺ: من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً، فعليّ وإليّ وعلى الإمام ما ضمنه الرسول ﷺ»[2].

هذا واحد من بنود الضمان الإجتماعي في الإسلام، ويظهر منه عمق الإنسانية في الإسلام، وفي هذا النظام بالذات.

بالعكس تماماً مما تعمله عدّة من أنظمة العالم اليوم، من جعل الضريبة على الإرث على من مات وترك أموالاً.

ولو مات شخص وعليه ديون، فليس على النظام الحاكم من دينه شيء أبداً، أترى كم يساهم مثل هذه الأنظمة في تشتيت المجتمع وتحطيم الديون بين الأفراد والجماعات، إذ الدائن لا يملك ضماناً لو أعطى ديناً لفقير معدم، لأنّه لو مات فمن الذي سيتكفّل ديونه؟

فمن تراه يقرض المحتاجين والمعوزين؟

فهل هناك ضمان إجتماعي كما في الإسلام؟

---

(١) الأمالي للمفيد: ص١٨٧ـ١٨٨ المجلس٣ ح١٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٤٠٠ ب٩ ح٧.

سياسة الإسلام في العمران والزراعة

قال رسول الله ﷺ: **«من أحيا أرضا ميتة فهي له، قضاءً من الله ورسوله»**[١].

اتخذ الإسلام سياسة حكيمة، في ازدياد العمران والزراعة، التي بهما تكون رفعة الدولة أو سقوطها، وذلك بإباحة الأراضي لمن عمّرها بالبناء، أو الزراعة، أو فتح قناة، أو شق عين، أو تشييد المصانع والمعامل، أو غير ذلك. وبالتحبيذ إلى العمل والزراعة، واتخاذ دور وسيعة، وغيرها. فعن النبي ﷺ:

«من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق»[٢].

وعنه ﷺ: **«من أحاط حائطاً على أرض، فهي له»**[٣].

وعنه ﷺ: **«من سبق إلى ما لا يسبقه إليه المسلم، هو أحق به»**[٤].

فإذا رأى الشخص، أنّ الأراضي مباحة، تعطى دون أي ثمن، وهو حرّ في أن يختار ما يريد أن يصنع، أو ما يشاء أن يبني، ولا ضريبة عليه، ولا إجازة ولا رواح ومجيء، ولا معارض، ولا، ولا...

فمن الطبيعي أن يتّخذ كسباً، أو يعمل عملاً، أو يخترع اختراعاً، أو يصنع صناعة.. أو يعمّر دوراً، أو يتّخذ مزارع، و، و...

وبذلك تزدهر الدولة بالعمارات الكثيرة، والمزارع الوافرة، والصنائع والمخترعات، وتتسع البلاد ، و، و... وتترقى، وتفوق.

وإليك ما كتبه بعض الكتّاب[٥] عن ازدهار العمارات والزراعات في الدولة الإسلامية، حينما كان يحكمها الإسلام ـ ولو نسبياً ـ قال:

---

(١) الكافي: ج٥ ص٢٨٠ باب في إحياء أرض الموات ح٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب١ ح١.

(٣) غوالي اللئالي: ج٣ ص١٨٠ ق٢ باب إحياء الموات ح٣.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب١ ح٤.

(٥) جرجي زيدان.

العمارات الكثيرة

ولكن كثيراً من المدن الإسلامية أصبحت خراباً بعد ذلك بالقياس إلى ما كان عليه في عهد الدولة الإسلامية، وخصوصاً العراق أو السواد[١] وعلى الأخص بغداد والبصرة والكوفة وسائر مدن العراق.

وقد وصف الاصطخري[٢] مدينة البصرة وصفاً بمثل ما كانت عليه أرض العراق من العمارة في عصره، قال: «البصرة مدينة عظيمة، لم تكن في أيام العجم، وإنما مصّرها المسلمون، وليس فيها مياه إلا أنهار».

وذكر بعض أهل الأخبار، أن أنهار البصرة عدّت أيام بلال بن أبي بردة فزادت على مائة ألف نهر وعشرين ألف نهر، تجري فيها الزوارق[٣]. وقد كنت أنكر ما ذكر من عدد هذه الأنهار في أيام بلال، حتى رأيت كثيراً من تلك البقاع، فربما رأيت في مقدار رمية سهم، عدداً من الأنهار صغاراً تجري في كلها زوارق صغار، ولكل نهر اسم ينسب به إلى صاحبه الذي احتفره أو إلى الناحية التي يصب فيها، فجوزت أن يكون ذلك في طول هذه المسافة وعرضها.

فاعتبر المسافة التي تحفر فيها (١٢٠،٠٠٠) نهر، أو ترعة، كم يمكن أن يكون سكّانها؟ وهذا مستغرب عند أهل هذا الزمان، لكنه يدل ـ على كل حال ـ على عمران تلك الأرض.

وأردف قائلاً:

وناهيك ببغداد.. فقد ذكر الإصطخري أيضاً في وصفها كما شاهدها في

---

(١) إنما كانت العراق تسمّى بأرض السواد، لوفرة الزراعة فيها، والزرع أخضر والأخضر يميل إلى السواد، فلذلك قيل لها أرض السواد.

(٢) هو أحد المؤرّخين في القرن الرابع الهجري.

(٣) الزوارق: جمع زورق وهو: ضرب من السفن الصغيرة. انظر مجمع البحرين: ج٥ ص١٧٦ مادة زرق.

أيامه ـ في القرن الرابع للهجرة ـ قال: وتفترش قصور الخلافة وبساتينها من بغداد إلى نهر بين فرسخين على جدار واحد، حتى تتصل من نهرين إلى شط دجلة، ثم يتّصل البناء بدار الخلافة مرتفعاً على دجلة إلى الشمّاسية نحو خمسة أميال[1]، وتحاذي الشمّاسية في الجانب الغربي الحربية، فيمتد نازلاً على دجلة إلى آخر الكرخ... الخ.

ثم قال: فأين هذه العمارات مما صارت إليه بغداد عند اضمحلالها؟.

ثم قال: وقس على ذلك مدينة دمشق وغيرها من المدن التي ضعف أمرها اليوم[2]، وهناك مدن أخرى كانت يومئذ أي، في الحكومة الإسلامية، في إبان مجدها، فأصبحت الآن اسماً بلا مسمى، مثل الفسطاط في مصر، والكوفة في العراق، والقيروان[3] في أفريقيا، وبصرى في حوران، وغيرها[4].

هذه بالنسبة إلى العمارات.

والزراعات الوافرة

وأمّا الزراعات، فهي أيضاً كانت بكثرة هائلة منقطعة النظير ـ حتى بالنسبة إلى هذه الأيام التي سهلت فيها الزراعات، وصنعت مكائن تعمل لإستخراج المياه ورش البذور والحصاد وغيرها ـ

فالعراق كان يسمّى بـ(أرض السواد) لأنّ الشخص في العراق أين ما كان يذهب أو يحل، يبصر ـ بمرمى بصره ـ الزراعات، وكان يقول واصفو مزارع العراق: إنّها لا يوجد فيها فدان غير مزروع.

---

(١) الميل الإسلامي أربعة آلاف ذراع، ويساوي ألفي متر تقريباً.

(٢) يعني، بذلك بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد سيطرة الكفّار على بلاد الإسلام.

(٣) وإن كانت القيروان أخذت في الازدهار هذه الأيام.

(٤) تاريخ التّمدن الإسلامي، الجزء الأول ص١١٧ـ ١١٩.

ومصر كانت مزروعة خصبة في عهد الحكومة الإسلامية.

قال المقريزي ـ وهو من المؤرّخين ـ :

إن هشام بن عبد الملك سنة ١٠٧ هجرية، أمر عبد الله بن الحجّاب عامله على خراج مصر أن يمسحها ـ أي، يستعلم مساحتها ـ فمسحها بنفسه، فوجد مساحة أرضها الزراعية، مما يركبه النيل ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ فدان (ثلاثين مليون فداناً).

ويقول جرجي زيدان: مع أنّ مساحة الأرض الزراعية في وادي النيل سنة ١٩١٤ مع ما تبذله الحكومة من العناية في إخصابها وتعميرها لم تتجاوز ستّة ملايين فدان كثيراً.. الخ.

ثم يقول: لأنّ مساحة مصر بما فيها من الواحات في صحراء ليبيا والأرض بين النيل والبحر الأحمر، وبينه وبين بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) إلى العريش تزيد على ٤٠٠،٠٠٠ ميل مربع، وذلك يساوي نحو ١٨٧ مليون فدان، فلا غرابة ـ إذن ـ أن يكون العامر منها (٣٠) مليون فدان.

ثم يردف قائلاً: واعتبر نحو هذا العمران أيضاً في مدن الإسلام الكبرى في الأندلس مثل: قرطبة وغرناطة وطليطلة، وفي العراق والشام بلاد لا تحصى، كانت في تلك الأيام مدناً كبرى وأصبحت الآن قرى صغيرة[1].

وهذه الشواهد وإن كانت لا تعطينا صورة تفصيلية عن العمران والزراعة في ظل الحكم الإسلامي في البلاد الإسلامية كلها، إلا أنها تكفي لأن تكون أنموذجاً عن ذلك.

وما هذا التدهور القهقرائي في الزراعات والعمارات في الدولة الإسلامية إلا من جراء إزاحة الإسلام عن مجال الحكم والتنفيذ، ومن جراء استبدال

(١) تاريخ التّمدن الإسلامي: الجزء الأوّل ص١٢٠ ـ ١٢١.

الإسلام بقوانين ليست من الإسلام ولا الإسلام منها، وجعل قيود ثقيلة على الزراعات والعمارات مضافاً إلى الضرائب.

ولو رجعت الأنظمة الإسلامية ـ اليوم ـ إلى دست الحكم، وأبيحت الأراضي لمن عمّرها وأحياها، ورفضت القوانين المقيّدة، والضرائب الباهضة، لساد البلاد الإسلامية العمران الشامل، وأكثر من تلك الزراعات، وبهما تترقى الدولة الإسلامية، وتزدهر في جميع النواحي، وتستطيع أن تجعل من نفسها أغنى دول العالم وأرقاها[1].

سياسة الإسلام في العلاقات الدولية

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّين...﴾[2].

وضع الإسلام قانوناً لشدّ الروابط الدبلوماسية، والصداقة مع جميع الدول وحتى الكافرة منها، فجوز ذلك بالنسبة إلى الكفّار الذين لم يؤذوا المسلمين، ونهى عنه مع الكفّار الذين يؤذون المسلمين، حيث يقول تعالى:

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3].

فالدول الكافرة التي أخرجت المسلمين من ديارهم، مثل إسرائيل، لايجوز

---

(١) للتفصيل راجع كتاب (الإصلاح الزراعي في الإسلام) للمؤلّف.

(٢)سورة الممتحنة: الآية ٨.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ٨ و٩.

للمسلمين إيجاد العلاقات معها، وأمّا الدول الكافرة المحايدة، فلابأس للمسلمين في أن يشدّوا معهم روابط، ويكوّنوا صداقات، ويبرّوا ويحسنوا إليهم.

وهذه الآية نزلت في خزاعة وبني مدلج حيث صالحوا الرسول الأعظم ﷺ على أن لا يقاتلوا المسلمين ولا يعينوا أحداً عليهم[١]، فشد المسلمون معهم الروابط وذهبوا إليهم وبروهم وأقسطوا وأحسنوا إليهم، وذلك حسب الرابطة العالمية التي يجعلها الإسلام بين بني الإنسان، فالإنسان نظير الإنسان، كما روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «فإنهم ـ أي الناس ـ صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»[٢]، ولم يقاطع المسلمون من لم يحاربوهم ولم يخرجوهم، أما لو قاموا ضد المسلمين، فالمسلمون ـ دفاعاً ـ يقاطعونهم ويدافعون بذلك عن أنفسهم، وليجزوا بما فعلوا.

وفي سيرة رسول الله ﷺ مع الكفّار بأصنافهم المختلفة من مشركين ونصارى، خير أسوة لأي نظام إسلامي يقوم على وجه الأرض.

فقد قال الله تعالى عن ذلك:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣].

وفي سورة الممتحنة من القرآن الحكيم عدّة من الآيات الكريمة بهذا الشأن، وكذلك آيات متفرقة في مختلف سور القرآن، ونحن نذكر نماذج من ذلك مع مختصر تفسيرها موجزين له، من تفسير (مجمع البيان)، فإنّه بيان لجانب من العلاقات الدولية الواردة في القرآن الحكيم.

---

(١) راجع تفسير مجمع البيان: ج٩ ص٤٤٩.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ ومن كتاب له ﷺ كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

الإسلام قبل الأرحام

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ...﴾[1].

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ أي، ذووا أرحامكم والمعنى قراباتكم ﴿وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ أي، لا يحملنكم قراباتكم ولا أولادكم التي بمكّة على خيانة النبي ﷺ والمؤمنين، فلن ينفعكم أولئك الذين عصيتم الله لأجلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ﴾ الله ﴿بَيْنَكُمْ﴾، فيدخل أهل الإيمان والطاعة الجنّة، وأهل الكفر والمعصية النار، ويميّز بعضكم من بعض ذلك اليوم، فيرى القريب المؤمن في الجنّة قريبه الكافر في النار.

ثم ضرب سبحانه لهم إبراهيم عليه السلام مثلاً في ترك موالاة الكفّار، فقال:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي، اقتداء حسن ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ خليل الله ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ممن آمن به واتبعه، ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ الكفّار ﴿إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ﴾ فلا نواليكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي، وبراء من الأصنام التي تعبدونها ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي، يقولون لهم جحدنا دينكم وأنكرنا معبودكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا﴾ فلايكون بيننا موالاة في الدين ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي، تصدقوا بوحدانية الله، وإخلاص التوحيد والعبادة له، ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي، اقتدوا بإبراهيم في كل أموره، إلا في

(١) سورة الممتحنة: الآية ٣ و٤.

هذا القول، فلا تقتدوا به فيه، فإنهعليه السلام إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه بالإيمان، فلما تبين لـه أنه عدو لله تبرأ منه[١].

التأسي بصمود إبراهيم

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

ثم أعاد سبحانه في ذكر الأسوة فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي، في إبراهيمعليه السلام ومن آمن معه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي، قدوة حسنة، وإنما أعاد ذكر الأسوة، لأنّ الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأوّل، فإنّ الثاني فيه بيان أنّ الأسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب، والأوّل فيه بيان أنّ الأسوة في المعاداة للكفّار، وقوله ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ بدل من قوله (لكم) وهو بدل البعض من الكل مثل قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٣] وفيه بيان أنّ هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة وهو قوله: ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وقيل: يرجو ثواب الله وما يعطيه من ذلك في

(١) راجع تفسير مجمع البيان للطبرسي: ج٩ ص٤٤٧ـ٤٤٨ مورد تفسير الآية.

(٢) سورة الممتحنة: الآيات ٦ـ٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

اليوم الآخر ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي، ومن يعرض عن هذا الإقتداء بإبراهيم عليه السلام والأنبياء عليهم السلام والمؤمنين والذين معه، فقد أخطأ حظ نفسه وذهب عمّا يعود نفعه إليه فحذفه لدلالة الكلام عليه، وهو قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي، الغني عن ذلك، المحمود في جميع أفعاله، فلا يضرّه تولّيه، ولكنّه ضرّ نفسه.

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾

أي، ليس ينهاكم الله عن مخالطة أهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال وبرّهم ومعاملتهم بالعدل، وهو قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي، وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي، العادلين، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ من أهل مكّة وغيرهم ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ أي، منازلكم وأملاككم ﴿وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ أي، عاونوا على ذلك وعاضدوهم ـ وهم العوام والأتباع عاونوا رؤساءهم على الباطل ـ ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي، ينهاكم الله عن أن تولّوهم وتوادّوهم وتحبّوهم. والمعنى، أنّ مكاتبتكم بينهم بإظهار سرّ المؤمنين موالاة لهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ منكم. أي، يوالهم وينصرهم ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يستحقّون بذلك العذاب الأليم[1].

المؤمنات المهاجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا

---

(١) راجع تفسير مجمع البيان: ج٩ ص٤٤٩ـ٤٥١.

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[1].

لما قطع سبحانه الموالاة بين المسلمين والكافرين، بيّن حكم النساء المهاجرات وأزواجهن، فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾** بالإيمان. أي، استوصفوهن الإيمان، وسمّاهن مؤمنات قبل أن يؤمنّ، لأنّهن اعتقدن الإيمان **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾** أي، كنتم تعلمون بالإمتحان ظاهر إيمانهن، والله يعلم حقيقة إيمانهن في الباطن **﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾** يعني، في الظاهر **﴿فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾** أي، لا تردّوهن إليهم **﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾** وهذا يدل على وقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة وإن لم يطلّق المشرك **﴿وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾** أي، وآتوا أزواجهنّ الكفّار ما أنفقوا عليهنّ من المهر **﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾** أي، ولا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوا المهاجرات إذا أعطيتموهنّ مهورهنّ التي يستحلّ بها فروجهنّ، لأنهنّ بالإسلام قد بِنَّ من أزواجهنّ **﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾** أي، لاتمسكوا بنكاح الكافرات، وأصل العصمة المنع، وسمي النكاح عصمة، لأن المنكوحة تكون في حبال الزوج وعصمته... **﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾** أي، إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفّار مرتدّة، فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ولم يدفعوها إليكم، كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن إليكم وهو قوله: **﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا**

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ١٠ و١١.

أنفقوا﴾ يعني، ما ذكر الله في هذه الآية ﴿حُكْمُ اللَّـهِ يَحْكُـمُ بَيْـنَكُمْ وَاللَّـهُ عَلِـيمٌ﴾ بجميع الأشياء ﴿حَكِـيمٌ﴾ فيما يفعل ويأمر بـه. ولمـا نزلـت هـذه الآيـة، آمـن المؤمنون بحكم الله وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما أمرهم به من أداء نفقات المسلمين، فنـزل ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُـمْ﴾ أي، أحد من أزواجكم ﴿إِلَـى الْكُفَّـارِ﴾ فلحقـن بهم مرتدّات ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ معناه، فغـزوتم وأصـبتم مـن الكفّـار عقبـى ـ وهـي: الغنيمـة ـ فظفـرتم وكانـت العاقبـة لكـم ﴿فَـآتُوا الَّـذِينَ ذَهَبَـتْ أَزْوَاجُهُـم﴾ أي، نساؤهم من المؤمنين ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ من المهور علـيهنّ مـن رأس الغنيمـة، وكذلك من ذهبت زوجته إلى من بينكم وبينه عهد، فنكث في إعطاء المهر، فالذي ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة، ولا ينقص شيئاً من حقه بل يعطى كملا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنـتُم بِـهِ مُؤْمِنُـونَ﴾ أي، اجتنبـوا معاصـي الله الـذي أنـتم تصدقون به، ولا تجاوزوا أمره، وقالوا: فكان جميع من لحق بالمـشركين مـن نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام، ستّ نسوة:

أم الحكم بنت أبي سفيان، كانت تحت عياض بن شدّاد الفهري.

وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة ـ أخت أم سلمة ـ كانت تحت عمر بـن الخطّاب، فلما أراد عمر أن يهاجر، أبت وارتدت.

وبروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان.

وعمدة بنت عبد العزى بن فضلة، زوجها عمر بن عبدود.

وهند بنت أبي جهل بن هشام، كانت تحت هشام بن العاص بن وائل.

وكلثوم بنت جرول، كانت تحت عمر.

فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة[1].

---

(١) راجع تفسير مجمع البيان: ج٩ ص٤٥٣ـ٤٥٥.

لا.. لكل أنواع الإستعمار

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[1].

ثم خاطب سبحانه المؤمنين، فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** أي، لا تتولّوا اليهود وغيرهم من الكفّار، وذلك أنّ جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتواصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم، فنهى الله المقاتلين عن ذلك، فقال: **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾** أي، من ثواب الآخرة **﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾** يعني، أنّ اليهود بتكذيبهم محمداً ﷺ وهم يعرفون صدقه وأنّه رسول قد يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة حظ، لأنّهم قد أيقنوا بعذاب الله[2].

سياسة الإسلام في تكثير النفوس

قال رسول الله ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط**»[3].

اليوم أصبحت دول العالم تفتخر ـ فيما تفتخر به ـ بزيادة النفوس، فالدول التي نفوسها أكثر، يكون فخرها أكثر، وكان من الطبيعي ذلك، لأنّ بكثرة النفوس يكثر العمران والزراعة، وبكثرة النفوس تزداد المصانع والمخترعات، وبكثرة النفوس تكون القوّة ضد الأعداء، وبكثرة النفوس تبتعد الدولة عن الإستعمار والإستغلال، فالدول الصغيرة تستعمر في مدّة أقصر، ولكن الدول

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١٣.

(٢) راجع تفسير مجمع البيان: ج٩ ص٤٥٧.

(٣) جامع الأخبار: ص١٠١ ف٥٨ في التزويج.

الكبيـرة لا تـستعمر إلا بجهـود كثيـرة، ومراوغـات مـستمرة ودائمـة مـن المستعمرين. هذه كلها نتيجة كثرة النفوس.

فلننظر إلى رأي الإسلام في ذلك:

الإسلام عرف نتائج تكثير النفـوس، فقـرره ووضـع لــه خطوطـاً وأُسـساً رصينة، تمكن بها من أن يجعل من الأمة الإسلامية أمة كبيرة كثيـرة النفـوس، وإليك بعض النقاط من ذلك.

أ. الإسلام حرّض على النكاح والزواج إبان بلوغ البنين والبنـات البلـوغ الشرعي فقال:

«شرار موتاكم العزاب»[1].

و«ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب»[2].

و«من سعادة المرء أن لا تطمث[3] **ابنته في بيته»**[4].

كناية عن أنّه على الرجل أن تخرج ابنته من بيته، قبل أن تحيض والحيض يكون ـ في الأغلب ـ أوائل البلوغ.

ب. رفع الإسلام القيود التي وضعت في الزواج، وحبذ اتخاذ النكاح بسيطاً يقدر عليه كل فرد، فحبذ أن يكون المهر قليلاً.

يقول الحديث الشريف:

«خير نسائكم أصبحهن وجهاً، وأقلهن مهراً»[5].

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٢٠ ب١ ح١٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٨٤ باب فضل المتزوج على العزب ح٤٣٤٦.

(٣) أي، لا تحيض.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٦١ ب٢٣ ح١.

(٥) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٦١ ب٥ ح٨.

كما حبذ أن لا يُردَ المؤمن إذا طلب التزويج وإن كان فقيراً، فالله تعالى يقول: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[١] وقد أفتى بعض العلماء بحرمة ردّ المؤمن القادر على النفقة، قال العلامة الحلّي قدس سره: «ويجب إجابة المؤمن القادر على النفقة»[٢].

ج. أباح الإسلام التزويج بأكثر من واحدة، حتى أربع إن استطاع الزوج أن يعدل بينهن، حيث قال في القرآن المجيد:

﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾[٣].

فهناك ربما يوجد أُناس كثيرون لا تكفيهم زوجة واحدة، فلم طاقاتهم تذهب هباءً ؟! وهناك من مرضت زوجته بأمراض تمنع من التوالد والتناسل، أو كانت عقيمة لا تلد، فلم يبق الزوج بلا عقب وأولاد؟ وهناك من كبرت زوجته فلا تلد، وفي الزوج توجد طاقة الإنجاب[٤]، فلماذا تذهب قواه دون إنتاج؟

وإباحة التزويج بأكثر من واحدة من أفضل وسائل تكثير النفوس، فهذا أحد الأوروبيين يقول: «إن المسلمين يتمتعون بمتع ثلاث: هي التي جعلتهم أقوياء، وصعبت استعمارنا لهم، وهي: تقدمية المبدأ، ووفرة الخامات، وكثرة النسل».

---

(١) سورة النور: الآية ٣٢.

(٢) تبصرة المتعلّمين: ص١٧٩ كتاب النكاح ف٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٣.

(٤) فإن المرأة ـ كما يقرر العلم، والعادة الجارية ـ لا تلد بعد أربعين سنة على الأغلب، ولكن الرجل يتمتع بقوة قد تجعله يتمكن من الإنجاب وإن كان عمره مائة سنة أو أكثر.

وما كثرة النسل إلا ولإباحة الزوجات فيها حظ وافر.

فهذه إحدى دول أوروبا حينما أرادت أن تشن حرباً على بعض دول العالم لمصالح نفسها، أباحت التزويج بنساء متعددات ـ قبل الحرب بعشرات السنين ـ علماً منها بأنّ ذلك يوجب تكثير النفوس، وبزيادة الناس تزداد القوى، فلما وضعت الحرب أوزارها رجعت القهقرى، فمنعت من التزويج بأكثر من زوجة واحدة، كما كانت عليه من قبل، حيث التقليد غير الصحيح.

وما هذه الدول التي تمنع من ذلك، إلا لتقليد الغرب، وإلاّ فالإسلام ـ وكما قرّرنا مختصراً ـ له الإقتصاد القوي الكفيل لإدارة الشعوب الكبيرة.

د. والإسلام يحرص كثيراً على حفظ صحّة الناس، فيأمرهم بما يقربهم من الصحة، وينهاهم عمّا يبعدهم عن الصحّة، حتى أنّ الإسلام ينهى الناس عن إبقاء القمامات في الدار إذا جنّ الليل[1]، كما يحبذ أن يغسل الشخص جميع جسده كل يومين مرة [2]، وغيرها، وغيرها.

فإذا استقامت واعتدلت صحّتهم يكون الموت والمرض فيهم أقل، فالرجل الصحيح والمرأة الصحيحة يستطيعان أن ينجبا أكثر وأكثر. وإذا حكمت هذه الموارد الأربعة في الدول الإسلامية، فمن الطبيعي أن تكثر النفوس.

فإن صار زواج كل من البنين والبنات عند البلوغ، ورفعت القيود الثقيلة من الزواج، وأبيحت النساء حتى أربع لزوج واحد، واتّزنت صحّة الناس، فلا شك أنّ الدولة التي نفوسها (٢٥) مليون نسمة مثلاً تصبح بعد مرور عشرين عاماً ضعف ذلك وعلى هذا المعدّل والمقياس.

---

(١) راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص٤٢٣ المجلس ٦٦ ح١.

(٢) راجع مكارم الأخلاق: ص٤٢٤.

سياسة الإسلام في السلم والحرب

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً...﴾[1].

الإسلام هو الدين الذي يدعو إلى السلم والسلام صدقاً، حيث يقول:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

ويقول: ﴿جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[3].

ولم يكن الإسلام ـ يوماً ما ـ مثل هذه الدول التي تدعو إلى السلام في شعارها فقط، ثم إذا قامت الحرب أفنت قنابلها عشرات الملايين، وتفتخر بأنّ في استطاعتها إبادة العالم في دقائق معدودة.

وعجيب هذا!

أيكون الفخر بالتدمير وسفك الدماء؟!.

ولكن الإسلام حينما يدعو قرآنه إلى السلام، يسير على السلام في الصغيرة من خطواته والكبيرة، فهذا التاريخ يحدّثنا بأنّ دولة الإسلام قامت على أقل من ألف وأربعمائة ضحية من المسلمين والكفّار جميعاً، وكان ذلك نتيجة الحروب التي شنّها الكفّار، فدافع المسلمون عن أنفسهم.

فهل ترى اليوم يقام نظام، على أقل من ملايين من الضحايا؟

ومن سياسة الإسلام الإنسانية في الحروب: أنّه لم يبدأ بحرب قط، فالحروب والغزوات التي قامت في حياة الرسول الأعظم ﷺ كلها كانت

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٨

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦١.

دفاعية كما أنّه لم يبدأ بحرب إلا بعد الصبح، حتى أنّ في غزوة (ذات السلاسل) حينما تمكّن المسلمون من الكفّار ليلاً، لم يهجموا عليهم وأبى أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك. ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾[1]، ومعنى الفقرة الأخيرة: أن الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح، وإنما ذكر وقت الصبح، لأنهم كانوا يسيرون إلى العدو ليلاً فيأتونهم صبحاً[2].

وفيما يلي نذكر قسماً من الأحاديث الشريفة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الأئمة الهداة عليهم السلام، في مختلف أحكام السلم والحرب، التي يظهر من خلالها جلياً كيف أنّ الإنسانية والعدل وتعميم الخير والصالح العام هي الأسس المتينة الثابتة لكل تصرفات الإسلام حتى في حالة الحرب... مما لم نجد له في التاريخ مثيلاً، لا تاريخنا المعاصر، عصر الحروب والتدمير، ولا تاريخ العالم الماضي، ولا تاريخ أي مذهب أو دين آخر.

وفي الوقت نفسه نذكر بكل اختصار عدداً من الأحاديث الشريفة في هذا المجال والتعليق عليها والبحث عنها بما يناسب حجم الكتاب.

لا.. للغدر

في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية، دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول:

سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله..

لا تغلوا[3]، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً، إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين

---

(١) سورة العاديات : الآيات ٢ و٣.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج١٠ ص٤٢٤.

(٣) (الغلول): السرقة.

أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين، فهو جار حتى يسمع كلام الله، فـإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه»[1].

لا.. لكل الرذائل في حال الحرب، واشتباك النار وسقوط القتلى.

فالقتل في سبيل الله فضيلة، سواء كان قتلاً للعدو، أم قتـل العـدو للمـؤمن كلاهما للمؤمن فضيلة.

أمّا الرذائل فلا تنقلب فضيلة.

هذا هو منطق الإسلام، وسياسته الإنسانية حتى في الحرب.. فالغاية لا تبرر الواسطة أياً كانت.

تنظيم حربي رائع

روي في (تحف العقول) كتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى زياد بن النـضر حين أنفذه على مقدّمته إلى صفّين:

«اعلم أنّ مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك، ودنوت من عدوك، فلا تسأم من توجيه الطلائع في كـل ناحيـة، وفي بعض الشعاب والشجر والخمر، وفي كل جانب، حتى لا يغيركم عدوكم ويكون لكم كمين، ولا تسير الكتائب والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلا تعبئة، فإن دهمكم أمر، أو غشيكم مكروه كنتم قد تقـدّمتم فـي التعبئـة، وإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في إقبال الأشـراف، أو فـي سـفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم ردءً ودونكم مرداً، ولـتكن مقـاتلتكم من وجه واحـد واثنـين، واجعلـوا رقبـاءكم فـي صياصـي الجبـال، وبـأعلى الأشراف وبمناكب الأنهار يريئون لكم، لئلا يأتيكم عدو من مكـان مخافـة أو

---

(١) الكافي: ج٥ ص٢٧ باب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح١.

أمن، وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فنزلتم، فعفوا عسكركم بالرماح والترسة، واجعلوا رماتكم يلون ترستكم، كيلا تصاب لكم غرّة ولا تلقى لكم غفلة، واحرس عسكرك بنفسك، وإياك أن ترقد أو تصبح إلا غراراً أو مضمضة، ثم ليكن ذلك شأنك ودأبك حتى تنتهي إلى عدوك، وعليك بالتأني في حربك، وإياك والعجلة إلا أن تمكنك فرصة، وإياك أن تقاتل إلا أن يبدؤك، أو يأتيك أمري، السلام عليك ورحمة الله»[1].

عظيم هذا الإسلام.

عظيم جداً.. وجداً.

إنّه دين الإنسانية.

إنّه بحق الدين الذي جعله خالق الإنسان لسعادة الإنسان.

فالإرتباط بينهما وثيق غاية في الوثاقة.

ففي نفس الوقت الذي يضع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا التنظيم الرائع الحربي لقائد جيشه في المقدّمة.

تراه يؤكّد في آخره:

«وإياك أن تقاتل إلا أن يبدؤك».

فالجيشان اصطفا لماذا؟

أليس للقتال؟

أليس معاوية خرج على الله وعلى الرسول صلى الله عليه وآله إذ خرج على خليفة الرسول الشرعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟

أليس معاوية وجيشُهُ بغاة في المصطلح القرآني:

---

(١) تحف العقول: ص١٩١ـ١٩٢ وصيته عليه السلام لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى صفّين.

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[1].

ولكنه الإسلام العظيم الذي لا يترك الإنسانية في أحلك الحالات وأعسر الظروف.

لا.. للمبادرة بالحرب.

نعم.. للمبادرة بالإنسانية.

هذه هو موجز منطق الإسلام العسكري.. وفي كل مجال.

لا.. للنابالم

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلقى السم في بلاد المشركين»[2].

لا.. للنابالم.

هذا ما أكّد عليه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله قبل أربعة عشر قرناً.

إنّه قال: لا... والتزم بهذا القول.

أما اليوم فيقول العالم.. لا للنابالم، ولكنهم لا يلتزمون به.

من هنا يعرف عظمة الإسلام في السيف.. وفي الالتزام.

لا.. لقتل النساء

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل عن النساء كيف سقطت الجزية عنهن ورفعت عنهن؟

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٢) الكافي: ج٥ ص٢٨ باب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح٢.

قال: فقال:

«لأنّ رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب، إلا أن يقاتلن، وإن قاتلت أيضاً فأمسك عنها ما أمكنك ولم تخف خللا، فلما نهى رسول الله ﷺ عن قتلهن في دار الحرب كان ذلك في دار الإسلام أولى، ولو امتنعت أن تؤدّي الجزية لم يمكن قتلها، فلما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها، ولو منع الرجال فأبوا أن يؤدّوا الجزية كانوا ناقضين للعهد، وحلّت دماؤهم وقتلهم، لأنّ قتل الرجال مباح في دار الشرك والذمّة، وكذلك المقعد من أهل الشرك والذمّة والأعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب، فمن أجل ذلك رفعت عنهم الجزية»[1].

الإسلام هو حامي المرأة في كل المجالات.

والمادية جعلت المرأة سلعة رخيصة، شأنها شأن الخمر.. والهيروئين.

فلينصف العالم من خلال هذا النصّ الواحد ـ الذي له ألوف الأمثال في الإسلام ـ هل الإسلام حمى المرأة أم حاربها؟

وهل المادية حمت المرأة أم خلعتها؟

يسعى بذمتهم أدناهم

عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له:

ما معنى قول النبي ﷺ: يسعى بذمّتهم أدناهم؟

قال: «لو أنّ جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين، فأشرف رجل فقال: أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأناظره، فأعطاه أدناهم الأمان، وجب على أفضلهم الوفاء له»[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٢ باب الخراج والجزية ح١٦٧٥.

(٢) الكافي: ج٥ ص٣٠ باب إعطاء الأمان ح١.

أدنى المسلمين وأقلّهم شخصية لــه كـل هـذا التقـدير الكبيـر فـي نظـام الإسلام أن يجير مشركاً في الحرب، فيجب على عامّة المسلمين، حتى القائـد العام للقوات المسلّحة أن يحترم جواره. نعم، إلا إذا ثبتت المؤامرة أو خيفت.

هذا التقدير العظيم للفرد لا يوجد في أية حكومة، أو أي نظام عسكري إلا في الإسلام.. دين الإنسانية.

وقد صرّح فقهاء الإسلام ـ استنباطاً من الأحاديث الشريفة ـ أنّه لو أعطـى الأمان للكافر عبد من المسلمين أو امرأة من المسلمات، نفذ أمانـه اسـتعظاماً للإسلام واستعلاءً للمسلمين.

فإنّ «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»[1].

قال المحقق الحلّي في (شرائع الإسلام):

ويستوي في ذلك الحر والعبد والذكر والأنثى[2].

وقال صاحب الجواهر في شرح هذه العبارة: (بلا خلاف كمـا اعتـرف بـه في المنتهى في الأخير ـ أي، الأنثى ـ ونسبه فيه أيضاً إلى علمائنا وأكثر أهـل العلم في العبد، لعموم قولـه: **«يسعى بذمّتهم أدناهم»، وخصوص خبر مسعدة في العبد)**[3].

ونصوص الشريعة بتواتر تؤكّد ذلك تعميقاً في احترام المـسلمين وإعـلاءً للإسلام، وفيما يلي نذكر بعض تلك النصوص:

في خبر مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق قال:

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤ ب١ ح١١.

(٢) شرائع الإسلام ـ كتاب الجهاد ـ في الذمام.

(٣) جواهر الكلام: ج٢١ ص٩٥ مساواة الحر والمملوك والذكر والأنثى في الأمان.

«إنّ علياًعليه السلام أجاز أمان عبد مملوك لأهل حصن من الحصون، وقالعليه السلام: هو من المؤمنين»[١].

وهذه الجملة الأخيرة (هو من المؤمنين) لعلّها إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله:

«المؤمنون تتكافأ دمائهم يسعى بذمتهم أدناهم»[٢].

فكان أمير المؤمنين عليّعليه السلام استدل على صحّة أمان العبد المسلم بأنه مؤمن فيشمله إطلاق قول النبي صلى الله عليه وآله يسعى بذمّتهم ـ أي المؤمنين ـ أدناهم.

وفي حديث محمد بن الحكم عن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«لو أنّ قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الأمان، فقالوا: لا، فظنوا أنّهم قالوا نعم، فنزلوا إليهم كانوا آمنين»[٣].

وقد مر حديث السكوني[٤].

وفي كتاب (جواهر الكلام) نقلاً عن (المنتهى) للعلامة الحلّي قدس سره: أنّ أم هاني قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إني أجرت أحمائي وأغلقت عليهم، وإنّ ابن أُمي أراد قتلهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«قد أجرنا من أجرتِ يا أم هاني، إنما يجير على المسلمين أدناهم»[٥].

وفي الجواهر أيضاً:

«إنّ زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أجارت العاص بن الربيع، فأمضاه رسول الله صلى الله عليه وآله»[٦].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٦٧ ب٢٠ ح٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢٣٧ ب٢٨ ح١.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٦٨ ب٢٠ ح٤.

(٤) الكافي: ج٥ ص٣٠ باب إعطاء الأمان ح١.

(٥) جواهر الكلام: ج٢١ ص٩٥ مساواة الحر والمملوك والذكر والأنثى في الأمان.

(٦) جواهر الكلام: ج٢١ ص٩٥ مساواة الحر والمملوك والذكر والأنثى في الأمان.

المؤمنون سواسية

عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال:

«قرأت في كتاب لعلي عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: إنّ كل غازية غزت بما يعقب بعضها بعضاً بالمعروف والقسط بين المسلمين، فإنّه لا يجوز حرب إلا بإذن أهلها، وإنّ الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمّه وأبيه، لايسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على عدل وسواء»[1].

التسوية بين أفراد المسلمين.. كبيرهم وصغيرهم.. حرهم وعبدهم.. شابهم وشيخهم.. قائدهم وجنديهم.. في الحرب وغيرها.. هذا من مختصّات الإسلام.

المسلمون تتكافئ دماؤهم

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف فقال:

«رحم الله امرئً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه... ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم، إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، والمسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، فإذا أمّن أحد من المسلمين أحداً من المشركين، لم يجب أن تخفر ذمّته»[2].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣١ باب إعطاء الأمان ح٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٤٥ ب١٨ ح٤.

وعن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قريتين من أهل الحرب، لكل واحدة منهما ملك على حدة، اقتتلوا ثم اصطلحوا، ثم إنّ أحد الملكين غدر بصاحبه، فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم، ولايجوز عليهم ما عاهد عليه الكفّار»[1].

وهذا أيضاً من مختصّات الإسلام، فالعالم والجاهل، والأسود والأبيض، والشيخ والشاب، وذو العشيرة ومن لا عشيرة له، كلهم.. حتى الجندي والقائد للقوات المسلّحة.. كلهم في الدم سواء.

أليس هذا من مختصّات الإسلام؟

نعم، فانظر إلى الغرب والشرق في هذا الأمر لتعلم ذلك.

لا.. لكل فساد

عن محمد بن سنان، أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام، كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله:

«حرّم الله الفرار من الزحف، لما فيه من الوهن في الدين، والإستخفاف بالرسل والأئمة العادلة عليهم السلام، وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة لهم على ترك ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية، وإظهار العدل، وترك الجور، وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله عزّ وجلّ وغيره من الفساد»[2].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٣٧ باب المكر والغدر والخديعة ح٤.

(٢) راجع من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٦٥-٥٦٦ باب معرفة الكبائر التي أوعد الله عزّ وجل عليها النار ح٤٩٣٤.

الإسلام دين الصلاح، والصلاح والفساد لا يجتمعان.

إذن: لا، لكل أنواع الفساد في الإسلام.

والفرار من الزحف فساد للدين، وللقادة، وللمسلمين، فلا للفرار من الزحف.

وصايا إمام المسلمين

كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا حضر الحرب، يوصي المسلمين بكلمات فيقول:

«تعاهدوا الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وقد علم ذلك الكفّار حيث سألوا: **﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾**[1] وقد عرف حقّها من طرقها، وأكرم بها من المؤمنين الذين لايشغلهم عنها زين متاع، ولا قرّة عين من مال ولا ولد، يقول الله عزّ وجلّ:

﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾[2]، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله منصباً لنفسه بعد البشرى له بالجنّة من ربّه، فقال عزّ وجلّ:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا..﴾[3] الآية، فكان يأمر بها أهله، ويُصبِّر عليها نفسه.

ثم إنّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام على أهل الإسلام، ومن لم يعطها طيب النفس بها يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها فإنّه جاهل بالسنّة، مغبون الأجر، ضال العمر، طويل الندم بترك أمر الله عزّ وجل، والرغبة

---

(١) سورة المدثر: الآية ٤٢ و٤٣.

(٢) سورة النور: الآية ٣٧.

(٣) سورة طه: الآية ١٣٢.

عمّا عليه صالحوا عباد الله، يقول الله عزّ وجل:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾[1]

من الأمانة، فقد خسر من ليس من أهلها وضل عمله، عرضت على السماوات المبنية، والأرض المهاد، والجبال المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم لو امتنعن من طول أو عرض أو عظم أو قوة أو عزة امتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة.

ثم إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم، مع العزّة والمنعة، وهو الكره في الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشهادة، وبالرزق غداً عند الرب والكرامة، يقول الله عزّ وجل:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[2].

ثم إنّ الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد، والمتوازرين على الضلال، ضلال في الدين، وسلب للدنيا مع الذلّ والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال، يقول الله عزّ وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾[3]

فحافظوا على أمر الله عزّ وجل في هذه المواطن التي الصبر عليها كرم وسعادة، ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة، فإن الله عزّ وجل لا يعبأ بما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم، لطف به علماً، وكل ذلك

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٥.

﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾[١]،

فاصبروا وصابروا، واسألوا النصر، ووطّنوا أنفسكم على القتال واتقوا الله عزّ وجل، فإنّ

﴿اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٢]»[٣].

هذه الوصايا كتاب كامل.

كل جملة منها وكل وصية منها علم وفن وإنسانية، وبالتالي إنها خلاصة الإسلام الذي يجمع كل الخيرات.

وإمام المسلمين، أمير المؤمنين‏ﷺ هو الأعرف بذلك كله في كل أبعاده، فلتؤخذ منه هذه الوصايا، ولينفّذها المسلمون في حروبهم مع الكفّار والظالمين.

تنسيق عسكري دقيق

عن أمير المؤمنين‏ﷺ، أنّه وصف القتال، فقال:

«قدّموا الرجّالة الرماة، فليرشقوا بالنبل ولتتناوش الجنبتان، واجعلوا خيل الروابط المنتخبة ردءً اللواء، ولاتنشزوا عن مراكزكم لفارس شدّ من العدو، ومن رأى فرصة من العدو فلينشز ولينتهز الفرصة بعد إحكام مركزه، فإذا قضى حاجته عاد إليه، فإذا أردتم الحملة فليبدأ صاحب المقدّمة، فإن تضعضع أدعمته شرطة الخميس، فإن تضعضعوا حملت المنتخبة ورشقت الرماة، وتقف الطلائع والمسالح في الأطراف والغياض والأكام ليتحفظ من

(١) سورة طه: الآية ٥٢.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٨.

(٣) الكافي: ج٥ ص٣٦ ح١.

المكامن، فإن ابتدأكم العدو بالحملة، فأشرعوا الرماح واثبتوا واصبروا ولتنضح الرماة، وحركوا الرايات وقعقعوا الحجف، وليبرز في وجوههم أصحاب الجواشن والدروع، فإن انكسروا أدنى كسرة، فليحمل عليهم الأوّل فالأوّل، ولا تحملوا حملة واحدة ما قام من حمل بأمر العدو فإن لم يقم فادعوه شيئاً شيئاً، وألزموا مصافّكم واثبتوا في مواقفكم، فإذا استحقّت الهزيمة، فاحملوا بجماعتكم على التعابي غير متفرقين ولا منقبضين، وإذا انصرفتم من قتال، فانصرفوا كذلك على التعابي[1]»[2].

حيث كان العالم يعيش اللاتنسيق في كل شيء، حتى في الحرب كان أهل البيت عليهم السلام يضعون للمسلمين خطوط التنسيق في كل شيء، في الحرب وغير الحرب.

هذا التنسيق الحربي الدقيق الذي تضمّنه هذا المقطع من أوامر أمير المؤمنين علي عليه السلام في القتال قبل أربعة عشر قرناً تجده كافياً حتى لعهد الأقمار الصناعية والصواريخ.. ولما بعد هذا العهد.. وسيستمر.

إعداد نفسي وعسكري

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «إن زحف العدو إليكم، فصفّوا على أبواب الخنادق، فليس هناك إلا السيوف، ولزوم الأرض بعد إحكام الصفوف، ولا تنظروا في وجوههم، ولا يهولنكم عددهم، وانظروا إلى أوطانكم من الأرض، فإن حملوا عليكم فاجثوا على الركب، واستتروا معاً بالترسة صفّاً محكماً لا خلل فيه، فإن أدبروا فاحملوا عليهم بالسيوف فإن ثبتوا فاثبتوا على

---

(١) التعابي: تعبئة الجيش.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٨٢ ب٣٢ ح٥.

التعابي، وإن انهزموا فاركبوا الخيل، واطلبوا القوم ولا قوّة إلا بالله، وإن كانت ـ وأعوذ بالله ـ فيكم هزيمة، فتداعوا وكبّروا وثقوا بالله وبما تواعد به من فرّ من الزحف، وبكّتوا من رأيتموه ولّى، واجمعوا الألوية واعتقدوا، وليسرع المخفّون في ردّ من انهزم إلى الجماعة وإلى المعسكر، فلينفر من فيه إليكم، فإذا اجتمع أطرافكم، وآبت إمدادكم، وانصرف فلكم، فألحقوا الناس بقوادّهم، وأحكموا تعابيهم، وقاتلوا واستعينوا بالله واصبروا»[1].

(الإعداد) النفسي في الحرب مع (الإعداد) العسكري رضيعا لبان، كلما كانا معاً انتصر الجيش، وهذا ما لا يتناساه الإسلام، والإمام عليه السلام يمزج الإعدادين في صورة واحدة من الكلام ليكون أكثر تماسكاً وقوّة.

لا.. لتصفية الحسابات في الحرب

عن حفص بن غياث قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن الرجل من أهل الحرب، إذا أسلم في دار الحرب، فظهر عليهم المسلمون بعد ذلك؟

فقال: «إسلامه إسلام لنفسه ولولده الصغار وهم أحرار، وولده ومتاعه ورقيقه له، فأما الولد الكبار، فهم فيء للمسلمين، إلا أن يكونوا أسلموا قبل ذلك، وأما الدور والأرضون فهي فيء ولا تكون له، لأنّ الأرض هي أرض جزية لم يجر فيها حكم أهل الإسلام، وليس بمنزلة ما ذكرناه، لأنّ ذلك يمكن احتيازه وإخراجه إلى دار الإسلام»[2].

الإسلام دين الحق والعدل، وليس دين تصفية الحسابات والتشفي، فإذا

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٨٣ ب٣٢ ح٦.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٥١ ب٦٧ ح١.

أسلم مشرك في دار الحرب قبل منه إسلامه، وكان يتبعه ولده الصغار غير البالغين..

وقد نصّ القرآن الحكيم على هذه الاستيعابية الإنسانية الرائعة الفريدة:

﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[1].

التقسيم بالسوية

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه أمر عمّار بن ياسر، وعبد الله بن أبي رافع، وأبا الهيثم بن التيهان، أن يقسّموا مالاً من الفيء بين المسلمين، وقال: اعدلوا بينهم ولا تفضّلوا أحداً على أحد.

فحسبوا فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأتوا الناس فأقبل عليهم طلحة والزبير ومع كل واحد ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثة دنانير.

فقال طلحة والزبير: ليس هكذا كان يعطينا عمر، فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟

قالوا: هكذا أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام.

فمضيا إليه عليه السلام، فوجداه في بعض أحواله قائما في الشمس على أجير له يعمل بين يديه فقالا له: ترى أن ترتفع معنا إلى الظل؟

قال: نعم.

فقالا له: إنا أتينا إلى عمّالك على قسمة هذا الفيء، فأعطونا كما أعطي سائر الناس.

قال: فما تريدان؟

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٤.

قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر.

قال عليه السلام: فما كان يعطيكما رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فسكتا.

فقال عليه السلام: أليس كان النبي صلى الله عليه وآله يقسم بين المسلمين بالسويّة؟

قالا: نعم.

قال: فسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالاتباع عندكما، أم سنّة عمر؟

قالا: سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن لنا يا أمير المؤمنين سابقة وعناء وقرابة، فإن رأيت أن لا تسوينا بالناس، فافعل.

قال: سابقتكما أسبق أم سابقتي؟

قالا: سابقتك.

قال: فقرابتكما أقرب أم قرابتي؟

قالا: قرابتك.

قال: فعناؤكما أعظم أم عنائي؟

قالا: بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم عناءً.

قال: فوالله ما أنا وأجيري هذا في المال، إلا بمنزلة واحدة، وأومئ بيده إلى الأجير الذي بين يديه[1]» الخبر.

عظيم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

إنّه الشخصية الفريدة في التاريخ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعظمة الشخص تعرف من خلال تاريخه.

فمن مثل علي عليه السلام؟

ومن لـه مثل هذا التاريخ المجيد في كل الأبعاد؟

وقد أسلم بعض الفلاسفة الغربيين، وقال: إنّ سبب إسلامي أني رأيت

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٩٠ـ٩١ ب٣٥ ح١.

علي بن أبي طالب مسلماً، ولو لم يكن الإسلام حقاً لما اعتنقه هـذا العمـلاق العظيم، ومن اعتناق عليﷺ للإسلام عرفت أنّ الإسلام حق.

الأولوية للإسلام

عن الإمام الصادق جعفر، عن أبيه، عن آبائه ﷺ، أنّ النبي ﷺ حيث حاصر أهل الطائف قال: «أيما عبد خرج إلينا قبل مولاه فهو حرّ، وأيمـا عبـد خـرج إلينا بعد مولاه فهو عبد»[1].

العبد والمولى مشركان في دار الحرب أو في ساحة الحرب لا فـرق، فلـو أسلم العبد قبل مولاه تحرر عن العبودية.. فإنّه **﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾**[2]. و**«الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»**[3].

ولو أسلم المولى ثم أسلم العبد فلا يزال عبداً لمولاه... وهذه أولوية الإسلام.

احترام الرسول

عن أمير المؤمنينﷺ أنه قال: «إن ظفرتم برجل من أهل الحـرب، فـزعم أنه رسول إليكم، فإن عرف ذلك منه وجاء بما يدل عليه، فلا سبيل لكم عليه، حتى يبلغ رسالاته، ويرجع إلى أصحابه، وإن لم تجدوا على قوله دلـيلاً، فـلا تقبلوا منه»[4].

رسول المشركين إلى المسلمين محتـرم، لا يقتـل، ولا يهـان، ولا يـسلب ولايؤذى، ولا يدفع.

هذه قاعدة إنسانية يؤكد عليها الإسلام الذي هو دين الإنسانية.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٥٢ ب٦٨ ح١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤ ب١ ح١١.

(٤) دعائم الإسلام: ج١ ص٣٧٦ كتاب الجهاد، ذكر قتال المشركين.

وفي نفس الوقت الذي يعمل الإسلام بالإنسانية، ويؤكد عليها بالغ التأكيد في كل المجالات حتى في الحرب التي هي أعتى المجالات..

في نفس الوقت لا يغفل الإسلام عن غدر المشركين، وعدم التزامهم بالإنسانية، فيؤكّد على ثبوت كون الرجل رسولاً، لكي لا يصير المسلمون مصيدة لغدر الكفّار.

أليس عظيماً هذا الإسلام في سياسته الجامعة بين الدقّة والإنسانية.

الشعار في الإسلام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «شعارنا: (يا محمد، يا محمد)، وشعارنا يوم بدر: (يا نصر الله اقترب اقترب)، وشعار المسلمين يوم أحد: (يا نصر الله اقترب)، ويوم بني النضير: (يا روح القدس أرح)، ويوم بني قينقاع: (يا ربنا لا يغلبنك)، ويوم الطائف: (يا رضوان)، وشعار يوم حنين: (يا بني عبد الله، يا بني عبد الله)، ويوم الأحزاب: (حم لا يبصرون)، ويوم بني قريضة: (يا سلام أسلمهم)، ويوم المريسيع ـ وهو يوم بني المصطلق ـ: (ألا إلى الله الأمر)، ويوم الحديبية: (ألا لعنة الله على الظالمين)، ويوم خيبر ـ يوم القموص ـ: (يا علي آتهم من عل)، ويوم الفتح: (نحن عباد الله حقاً حقاً)، ويوم تبوك: (يا أحد يا صمد)، ويوم بني الملوح: (أمت أمت)، ويوم صفّين: (يا نصر الله)، وشعار الحسين عليه السلام: (يا محمد)، وشعارنا: (يا محمد)»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بالشعار قبل الحرب وقال: وليكن في شعاركم اسم من أسماء الله تعالى»[2].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٤٧ باب الشعار ح١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١١٣ـ١١٤ ب٤٧ ح٦.

الشعار ضرورة حتمية لكل أمّة تريد النهوض بأبنائها إلى الصعود، إذ الشعار هو المعبر عن آلام الأمة وآمالها، وهو الذي يربي عليه أجيالها الصاعدة، وهو الذي يحدد مسير الأمّة ومصيرها، ويوضّح موقفها في الأحداث الداخلية والخارجية، وفي الإسلام حيث إنّ الله مبدأ ومنتهى كل شيء فليكن في الشعار بعض أسماء الله تعالى.

إحترام الكرام

في (العدد القوية) لعلي بن يوسف ـ أخ العلامة ـ عن محمد بن جرير الطبري قال: لما ورد سبي الفرس إلى المدينة، أراد عمر بن الخطاب بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيداً، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أكرموا كريم كل قوم.

فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وإن خالفكم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلام، ورغبوا في الإسلام، ولابدّ من أن يكون لهم فيهم ذرية، وأنا أُشهد الله وأُشهدكم أني قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله.

فقال المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقّنا لك يا أخا رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: اللهم إني أشهد أنهم قد وهبوا لي حقهم وقبلته، وأُشهدك أني قد أعتقتهم لوجهك.

فقال عمر: لم نقضت عليّ عزمي في الأعاجم، وما الذي رغبك عن رأيي فيهم؟ فأعاد عليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في إكرام الكرماء.

فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصني وسائر ما لم يوهب لك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم اشهد على ما قالوا، وعلى عتقي إياهم.

فرغب جماعة من قريش في أن يستنكحوا النساء.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هؤلاء لا يكرهن على ذلك ولكن يخيّرن، ما اخترنه عمل به[١]، الخبر.

الإسلام دين الحب

وقد ورد في متواتر الروايات: «هل الدين إلاّ الحبّ في الله والبغض في الله»[٢]. وبالحبّ والفضيلة استطاع الإسلام أن يكسب العالم فكرياً، ويخضع حكومات الدنيا سياسياً.

حتى أنّ المؤرخين يذكرون: أنّ الزحف الإسلامي في قوته وسرعته هو الفريد الذي لم يحدثّنا تاريخ العالم كله له مثيلاً ولا نظيراً.

وما هذا التأخر الفظيع الذي حدث للمسلمين في هذا القرن إلا وليد عدم قدرة المسلمين على تطبيق الإسلام كما ينبغي.

وقد عمد الأجانب إلى تشويه صورة الإسلام، وإعطائه إطار العنف والشدّة والقسوة، لكي يستقطبوا غير المسلمين ويضيقوا الخناق على المسلمين.

وقد إستفادوا من جهل كثير من المسلمين أيضاً، وسوء تصرّفهم.

فلو أظهر المسلمون الإسلام ناصعاً كما أنزل الله لاعتنقه أكثر البشرية، لأنّ أكثر الناس ليسوا متعصّبين، وإنما هم جهّال لا يعلمون، فإذا علموا أتوا.

هذه ثلة من أحاديث الرسول وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في مختلف شؤون الحرب، أثبتناها هنا كنماذج، من موسوعة (وسائل الشيعة) و(مستدرك الوسائل) كتاب الجهاد، وإلا ففيهما وفي غيرهما من موسوعات الحديث الكثير من النصوص، وجمعها بحاجة إلى تدوين كتاب مستقل ضخم.

---

(١) العدد القوية: ص٥٧ اليوم الخامس عشر.

(٢) راجع المحاسن: ص٢٦٣ ب٣٤ ح٣٢٧.

الفصل الخامس

من أسس الخارجية الإسلامية

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1].

تبتني أسس السياسة الخارجية للبلد الإسلامي ـ حسب نصوص الشريعة من القرآن الحكيم والسنّة المطهرة ـ على أعمدة عدّة، ترجع إليها غيرها من الأحكام والقوانين غالباً، وهي كما يلي:

قبول إسلام الناس فوراً

قال تعالى:

﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[2].

فكل من قال: «أشهد أن لا اله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ» حقن ماله وعرضه ودمه[3].

نعم، لو علم منه الكذب والدجل وأنّ ما قاله مجرد لقلقة لسان فذاك بحث آخر ليس هذا الموجز محل البحث عنه.

وبما أنّ الإسلام دين عالمي جاء من إله الإنسان لهداية كل الناس اقتضى

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠

(٢) سورة النساء: الآية ٩٤.

(٣) راجع الأمالي للصدوق: ص٧٣٩، المجلس٩٣.

أن يكون استيعابياً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[١]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٢].

وتحقيقاً لاستيعاب أكبر عدد يمكن هدايتهم إلى الحق يجب قبول إسلام كل من ألقى السلام.

أضف إلى ذلك أنّ تحقيق العدل العام يقتضي هذا القبول أيضاً، وذلك لأنّ في أولئك الذين يلقون السلام ويعترفون بالإسلام أناساً صادقين، ولا يمكن تمييزهم بدقّة عن الكاذبين، فلو لم يقبل الإسلام الاعتراف من كل إنسان، لذهب في العديد من الصادقين صدقهم سدى، وهذا ينافي تعميم الإحسان الإلهي بعباده والعدل فيهم.

وأضف إليه أيضاً أنّ الكثير من الذين يلقي السلام ويعترف بالإسلام لا عن عمق، أو عن كذب ودجل، يتحولون إلى مسلمين صادقين نتيجة للممارسات الإنسانية التي يرونها في ظل الإسلام، فينجذبون إلى الإسلام.

فالشهادتان تكون بمنزلة بوتقة الذهب، التي يصب فيها الذهب المغشوش والذي فيه خلط آخر، ثم تصفيه البوتقة شيئاً فشيئاً.

تعميم العدل

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[٣].

وورد في الحديث الشريف:

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠.

«بالعدل قامت السماوات والأرض»[1].

والإسلام: لا يحيد عن العدل مهما كلّف الأمر.

فالعدل، ووضع كل شيء في موضعه اللائق به، يعتبر من الأعمدة الأساسية في الإسلام.

ولذا نجد الإسلام ينهى عن أمور تنافي العدل، بالرغم من أنها غير منهي عنها في الممارسات السياسية في العالم قديماً وحاضراً، وكنماذج نذكر ثلاثة أمثلة من منهيات الحرب في الإسلام:

أ. لا.. للغدر

الغدر في الحرب منهي عنه، مع أنّه كثيراً ما يُسرِّع الإنتصار العاجل، ومع أن السياسة العالمية المعاصرة مبتنية على الغدر غالباً.

فعن الأصبغ بن نباته: أن علياًعليه السلام قال في خطبة له:

«لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»[2].

ويذهب الإسلام شوطاً أبعد عمقاً في التجنّب من الغدر الذي هو مناقض للعدل الإسلامي الساري المفعول في كل الأحوال.. وذلك بعدم إجازة الحرب مع الكافر المحارب للمسلمين من خلال مساعدة كفّار محاربين آخرين يغدرون بالكفّار المحاربين الأوّلين. ولعلّنا لا نجد في تاريخ الدنيا، ولا في قاموس أية سياسة علي وجه الأرض مثل هذا الالتزام العميق بالعدالة.

---

(١) غوالي اللآلي: ج٤ ص١٠٣ ح١٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ص٢٠٠ ومن كلام لهعليه السلام في معاوية.

أنظر إلى النصّ التالي المروي عن حفيد رسول الله ﷺ، وناشر علوم الإسلام، والمعلم لأئمة المذاهب كلها، أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

في خبر طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام: سأله عن فرقتين من أهل الحرب، لكل واحدة منهما ملك على حدة واقتتلوا ثم اصطلحوا، ثم إنّ أحد الملكين غدر بصاحبه، فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزو معهم تلك المدينة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا أن يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم»[1].

وآخر الحديث الشريف إشارة إلى قوله تعالى: **﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾**[2] الآية.

ب. لا.. للتمثيل

نهى الإسلام عن التمثيل بقتلى الأعداء، مهما كانوا، وأياً كانت أديانهم ومذاهبهم..

والتمثيل: هو تقطيع الأعضاء، والجوارح، وفقأ العين، ونحو ذلك من الأمور المشوِّهة لجسم القتيل.

روي عن علي عليه السلام أنّه كان ينهى الجيش عن التمثيل ويقول: **«ولا تمثلوا بقتيل»**[3].

وروي عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»**[4].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٣٧ باب المكر والغدر والخديعة ح٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٥.

(٣) الكافي: ج٥ ص٣٨ باب ما كان يوصي أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال ح٣.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢٥٦ ب٥١ ح٧.

ج. لا.. لقتل عشرة

لقد استثنى الإسلام من الموجودين في ساحة الحرب ـ أي، الكفار المحاربين ـ عشر طوائف، أو أربع عشرة على قول آخرين من الفقهاء، فإنهم لا يقتلون..

وهذا من الممارسات الخاصّة بالإسلام لا يكاد يوجد له نظير في قاموس السياسة المعاصرة.

وهؤلاء كما يلي:

١. الشيخ الفاني الذي لا يقدر على حمل السلاح.

٢. المرأة التي لا تشترك في الحرب، وان كانت تسعف الجرحى والمحاربين وتساعدهم في المأكل والملبس ونحو ذلك.

٣. الطفل قبل بلوغه البلوغ الشرعي، الذي هو في الأنثى: عشر سنوات، وفي الذكر: إكمال خمس عشرة سنة ـ غالباً ـ

٤. من به الشلل والزمن، وكل مقعد لا يقوم على رجليه.

٥. الأعمى.

٦. كل مريض أقعده المرض.

٧. الرسول الذي يأتي برسالة من الكفّار المحاربين إلى المسلمين.

٨. الراهب المنشغل بعبادته، وإن كان مع المحاربين ويدعو لهم بالنصر ولكنه لايشترك في الحرب عملياً.

٩. المجنون.

١٠. كل من لا مصلحة انتصارية في قتله.

وأضاف عدد من فقهاء الإسلام أربع طوائف أخر لا يقتلون أيضاً وهم كالتالي:

١١. الفلاح والزارع الذي يعمر الأرض بالزرع.

١٢. أصحاب الصناعات، كالمهندسين والمخترعين ونحوهم.

١٣. أصحاب الحرف كالنجار والصائغ ونحوهم.

١٤. الخنثى.

ودليل استثناء هؤلاء الطوائف نصوص الشريعة المذكورة في موسوعات الحديث وكتب الفقه بتفصيل، مثل (وسائل الشيعة) و(مستدرك الوسائل) و(جواهر الكلام) وغيرها.

إنقاذ المستضعفين

من الأعمدة الثابتة في السياسة الخارجية للحكومة الإسلامية هو إنقاذ المستضعفين أينما كانوا، ومهما كانت أديانهم ومعتقداتهم، وإن كانوا غير مسلمين وكانوا مشركين، وعبّاد أصنام، وغير ذلك..

وأساس ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾[1].

فلو كانت هناك حكومة تظلم شعبها وتستضعفهم، يجب على المسلمين مقاتلة تلك الحكومة الظالمة، وإنقاذ الشعب من براثن الظلم.

يعتنى بهذا القول، أنّ ذلك تدخل في الأمور الداخلية لحكومة أخرى..

فإن المحور عند الإسلام هو الإنسان، ومن أعمدة سياسة الإسلام إنقاذ المستضعفين أينما كانوا، وكيفما كانوا.

لا لإندلاع الحرب

الإسلام ينهى عن أن يبتدأ المسلمون بالقتال مع الكفّار الذين لم يسلّوا

(١) سورة النساء: الآية ٧٥.

سيفاً على المسلمين، ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم، ولم يظاهروا على إخراجهم، ويجيز قتال الكفّار الذين بدؤوا الحرب على المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم.

ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١].

الإسلام يعلو

ومن الأسس الثابتة للسياسة الإسلامية الخارجية هي: أنّ الإسلام يجب أن يكون دائماً، وفي كل مكان، وفي جميع المجالات، أعلى من أي دين أو حكومة أو نظام آخر، ودليل ذلك قول الرسول الأعظمﷺ: «**الإسلام يعلو ولا يعلى عليه**»[٢].

فالإسلام دائماً يجب أن يكون في تعال مستمر مهما تعالت الأديان والأمم، بحيث يكون الإسلام أعلى منها جميعاً.

أعلى في جميع الجوانب، وفي كل المجالات.

فكما أنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي اختاره الله تعالى لجميع البشر بعد بعثة خاتم الأنبياء محمدﷺ. كذلك يجب أن يناسب تعالي المسلمين في كل الميادين، هذا العلو الثابت للدين..

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨ و٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤ ب١ ح١١.

فالمسلمون يجب أن يكونوا أعلى من غيرهم في الاقتصاد، وفي الزراعة، وفي الاجتماع، وفي علم النفس، وفي فن الإدارة، وفي الحرب، وفي السلم، وفي التأليف، وفي النشر، وفي الصناعة، وفي الطب، وفي الهندسة، وفي الفيزياء، وفي الكيمياء، وفي الفضاء، وفي الذرّة، وفي غيرها.. من جميع المجالات.

وهناك نقاط في الفقه الإسلامي يجمعها رباط (الإسلام يعلو) نذكر بعضها بإيجاز:

أ. وجوب الهجرة

يجب على المسلم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فيما إذا لم يستطع هناك من إقامة شعائر الإسلام.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[1].

وعن النبي ﷺ أنّه قال:

«إني بريء من كل مسلم نزل مع مشرك في دار الحرب»[2].

وعنه ﷺ أيضاً أنّه قال:

«لا ينزل دار الحرب إلا فاسق برئت منه الذمّة»[3].

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٧.

(٢) الكافي: ج٥ ص٤٣ باب أنه لا يحل للمسلم أن ينزل دار الحرب، ح١.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٨٩ ب٣٤ ح١٢٤٨٩.

وحيث إنّ المناط المستنبط في ذلك هو (الإسلام يعلو) لذكرهم التمكّن من إقامة شعائر الإسلام ذكر الفقهاء فروعاً في المسألة يجدر الإطلاع على بعضها:

قال في (الفقه): هل المعيار في وجوب الهجرة بلد الكفر أو القطر الكافر؟ الظاهر بقرينة الآيات والروايات المتقدمة البلد الكافر، فإذا كانت مملكة كافرة فيها بلد مسلم يتمكّن المسلم فيه من إقامة شعائر الإسلام، لم تجب الهجرة، ولو انعكس بأن كان القطر مسلماً لكن البلد كان كافراً، لم تجب الهجرة فيما إذا تمكن المسلم من إقامة شعائر الإسلام.

وهل ينسحب الحكم إلى الدار بأن كان الرجل خادماً ـ مثلاً ـ في دار كافرة، في بلد مسلم، لم يتمكن فيها من إظهار شعائر الإسلام فهل يجب عليه الخروج منها؟ الظاهر ذلك لما تقدّم من النصّ المؤيد بالدليل العقلي[1].

بـ. الدعاء إلى الإسلام

قال الفقهاء: لا يبدأ المسلمون الكفّار بالحرب بدون دعائهم إلى الإسلام وإتمام الحجّة، وذلك في الجملة بلا خلاف ولا إشكال.

وقد استدلوا لذلك بالأدلّة الأربعة:

القرآن الحكيم، والسنّة المطهرة، وإجماع الفقهاء، ودليل العقل، مثل قوله تعالى: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ۞ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾**[2].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

---

(١) موسوعة الفقه للمرجع الراحل السيد محمد الشيرازي قدس سره: ج٤٧ ص١٣١ كتاب الجهاد المسألة٣٢.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥ و١٦.

«لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لئن يهدي الله ـ عزّ وجل ـ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاه يا علي»[1].

وعن النبي ﷺ أنه قال أيضاً:

«لا تقاتل الكفّار إلا بعد الدعاء»[2].

وهذه النقطة تحقيق آخر لـ (الإسلام يعلو) في مختلف الميادين الفكرية، والعسكرية، والإجتماعية.

جـ. حرمة الفرار من الحرب

الفرار من الحرب من أعظم المحرمات، ومن الكبائر التي وعد الله عليها النار، قال تعالى:

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[3]

وروي عن مولانا أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه كتب في جواب مسائل محمد بن سنان:

«حرّم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والإستخفاف بالرسل والأئمة العادلة عليهم السلام، وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية، وإظهار العدل، وترك الجور وإماتة

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣٠ ب٩ ح١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣١ ب٩ ح٣.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٥ و١٦.

الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال حق دين الله عزّ وجل وغيره من الفساد»[1].

وهذا الحديث الشريف تفصيل لمضمون (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) وتأكيد له.

د. العبد المسلم عند الكافر

لا يباع عبد مسلم لكافر، ولا يقر ملك كافر على عبد مسلم، فلو كان عبد مسلم وجاءه كافر ليشتريه لا يجوز بيعه له، ولو كان عبد كافر عند كافر فأسلم العبد لا يقرّ ملك الكافر عليه بل يباع العبد من مسلم، ولو كان عبد مسلم عند مسلم، فكفر المولى، لا يقر ملكه على العبد بل يرثه ورثته المسلمون.

قال الشيخ الأنصاري في (المكاسب):

(يشترط فيمن ينتقل إليه العبد المسلم ـ ثمناً أو مثمناً ـ أن يكون مسلماً، فلايصح نقله إلى الكافر عند أكثر علمائنا، كما في «التذكرة»، بل عن «الغنية» عليه الإجماع)[2].

ثم استدل له بأدلّة منها الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»[3].

إلى أن قال بعد بحث طويل: (ثم إنّه لا إشكال ولا خلاف في أنّه لا يقرّ المسلم على ملك الكافر، بل يجب بيعه عليه، لقوله ﷺ في عبد كافر أسلم: اذهبوا فبيعوه من المسلمين وادفعوا إليه ثمنه ولا تقروه عنده).

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٦٥ـ٥٦٦ باب معرفة الكبائر التي أوعد الله عزّ وجل عليها النار ح٤٩٣٤.

(٢) المكاسب المحرّمة: ج٣ ص٥٨١، مسألة بيع العبد المسلم من الكافر.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤ ب١ ح١١.

ثم قال: (ومنه يعلم أنّه لو لم يبعه باعه الحاكم، ويحتمل أن تكون ولاية البيع للحاكم مطلقاً لكون المالك غير قابل للسلطنة على هذا المال)[١].

هـ. لا يباع القرآن للكافر

لا ينقل القرآن الحكيم إلى الكافر.

هكذا ذكر فقهاء الإسلام.

لقوله ﷺ: «**الإسلام يعلو ولا يعلى عليه**»[٢].

وبيع القرآن الحكيم للكافر الذي يعتقد بعدم صحّة القرآن نوع إهانة للقرآن، وإذلال للإسلام، والإمتناع عن تمكين الكافر من القرآن نوع علو للقرآن وإعزاز للإسلام.

وقد روي عن النبي ﷺ:

«**أنه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو**»[٣].

وهناك نقاط أُخر في هذا المضمار ندع البحث عنها إلى الكتب المفصّلة في هذا المجال.

وحدة المسلمين

المسلمون كلهم أمة واحدة في منطق القرآن والإسلام.

---

(١) المكاسب المحرّمة: ج٣ ص٥٩٦ عدم استقرار المسلم على ملك الكافر ووجوب بيعه عليه.

(٢) ذكرت مصادر الحديث عند مختلف مذاهب المسلمين هذا الحديث الشريف ومن تلك المصادر ما يلي:

أ: وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤ ب١ ح١١.

ب: كنز العمّال: ج١ ص٦٦ ح٢٤٦ الفرع الثاني في فضائل الإيمان، ط: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت.

ج: الجامع الصغير للسيوطي: ج١ ص٤٧٤ ح٣٠٦٣، ط دار الفكر ـ بيروت ١٤٠١هـ

(٣) بحار الأنوار: ج٨٩ ص١٧٥ ب١٦ ح١.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[١].

وقال سبحانه:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[٢].

وقال عزّ من قائل:

﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣].

وقد ذكر في تفسير (نور الثقلين) عند ذكر هذه الآيات أحاديث مستفيضة نذكر بعضاً منها كنماذج:

في تفسير علي بن إبراهيم: وقوله:

﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

قال: الشعوب العجم، والقبائل: العرب.

وقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وهو رد على من يفتخر بالأحساب والأنساب[٤].

وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة:

«يا أيها الناس، إنّ الله قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية، وتفاخرها بآبائها، إنّ العربية ليست بأب ووالدة، وإنما هو لسان ناطق، فمن تكلّم به فهو

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٤) تفسير القمي: ج٢ ص٣٢٢ الإفك على مارية.

عربي، ألا إنكم من آدم وآدم من التراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم»[1].

وفي (روضة الكافي)، بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«كان سلمان جالساً مع نفر من قريش في المسجد، فاقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم حتى بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب: أخبرني من أنت؟ ومن أبوك؟ وما أصلك؟

فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله عزّ وجلّ بمحمد صلى الله عليه وآله.

كنت عائلا فأغناني الله بمحمد صلى الله عليه وآله.

وكنت مملوكاً فاعتقني الله بمحمد صلى الله عليه وآله.

هذا نسبي وهذا حسبي.

قال: فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلمان رضوان الله عليه يكلمهم.

فقال له سلمان: يا رسول الله ما لقيت من هؤلاء، جلست معهم فاخذوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم حتى إذا بلغوا إليّ قال عمر بن الخطاب: من أنت وما أصلك وما حسبك؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: فما قلت له يا سلمان؟

قال: قلت أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالا فهداني الله عزّ ذكره بمحمد صلى الله عليه وآله، وكنت عائلا فأغناني الله عزّ ذكره بمحمد صلى الله عليه وآله، وكنت مملوكاً فأعتقني الله عزّ ذكره بمحمد صلى الله عليه وآله، هذا نسبي وهذا حسبي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر قريش إن حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، وقال الله عزّ وجل:

﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

---

(١) تفسير القمّي: ج٢ ص٣٢٢ الإفك على مارية.

﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ثم قال النبي ﷺ لسلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله عزّ وجلّ، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل»[1].

فأين مكان القوميات، والإقليميات في الإسلام؟

فالبلاد الإسلامية كلها بلد واحد، وقانون واحد، وأمّة واحدة، بلغاتهم المختلفة، وقومياتهم المختلفة، وألوانهم المختلفة، وعادتهم المختلفة، كما لهم إله واحد، ونبي واحد، وقرآن واحد، وسنّة واحدة، وقبلة واحدة،..

ولذا فإنّ أي تفريق بين المسلمين يعتبر من أشدّ المحرّمات في الإسلام ويكون تشتيتاً للأمة الواحدة، وتسهيلاً لسيطرة الكفّار على بلاد الإسلام وعلى المسلمين سواء كان تفريقاً بالقوميات: فهذا عربي، وهذا تركي، وهذا فارسي، وهذا كردي، وهذا هندي.. الخ.

أم كان تفريقاً بالأراضي: فهذا العراق، وهذه إيران، وهذا الخليج، وهذه سوريا، وهذه مصر، وهذا الحجاز.. وهلم جراً.

أم كان تفريقاً بالجنسيات: فهذا عراقي، وهذا إيراني، وهذا مصري.. الخ.

أم أي تفريق آخر، كل ذلك مرفوض في الإسلام أيضاً وأكيداً.

لا.. للجنسية والجواز

وعليه فالجواز، والجنسية، ونحوهما من بدع الاستعمار التي ليست من الإسلام، ولا الإسلام منها في شيء.

ولم يكن لها سابق في تاريخ الإسلام الطويل إلا في القرن الأخير الذي ضعف فيه المسلمون فلعبت بهم أهواء المستعمرين.

---

(١) الكافي: ج٨ ص١٨١ـ١٨٢ خطبة لأمير المؤمنين ﷺ ح٢٠٣.

ولهذا الأمر كان ما ينقل عن العالم الزاهد الكبير المرحوم الميرزا صادق آقا التبريزي رحمه الله[١]، أنّه لما حدث قانون الجنسية والجواز والإقامة في إيران عارضه هذا العالم الجليل، وأفتى بتحريم الخضوع لـه. حتى نقل أنّه أفتى بعدم جواز الحج إلى بيت الله الحرام إذا توقف الحجّ على الخضوع للجواز والجنسية، باعتباره محرّماً أشدّ، ومزاحماً أعظم لوجوب الحجّ.

وهذا من صميم الحرّية الإسلامية التي منحها الإسلام للمسلمين في ما استفاده فقهاء الإسلام من نصوص الشريعة الإسلامية قالوا:

«الناس مسلّطون على أنفسهم»[٢].

لا.. للحدود الأرضية

وهكذا وضع الحدود الأرضية في أراضي المسلمين أيضاً من أشدّ المحرّمات، وهي الأخرى التي لا سابق لها في تاريخ الإسلام الطويل، إلا بعد (لورنس)[٣] المستعمر البريطاني الذي وضع للعراق حدوداً، ولإيران حدوداً، وللجزيرة العربية حدوداً، وهكذا دواليك. وهي مضادة لأخوة المسلمين والأمّة الواحدة التي صرّح بها القرآن الحكيم في أكثر من آية.

وصرحت بها الأحاديث الشريفة العديدة، وسار عليها المسلمون قروناً.. وقروناً..

---

(١) الميرزا صادق بن الميرزا جعفر بن الحاج الميرزا أحمد المجتهد التبريزي المعروف بـ الميرزا صادق آقا التبريزي، درس عند الشيخ هادي الطهراني، لـه عدّة كتب، منها: المقالات، والمشتقات، وشرائط العوضين وهي رسالة فقهية مبسطة، توفي في ذي القعدة عام ١٣٥١هـ ودفن في قم المقدسة.

(٢) قاعدة فقهية مستفادة من قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾. سورة الأحزاب: الآية ٦، ومن غيرذلك.

(٣) توماس لورنس: (١٨٨٨م ـ ١٩٣٥م) ضابط وكاتب إنجليزي، اتصل بالشريف حسين وشجع ثورة العرب على الأتراك (١٩١٦ـ١٩١٨م) لقب بلورنس العرب، لـه كتاب (أعمدة الحكمة السبعة).

وهذه الحدود الأرضية المفتعلة هي صنيعة الاستعمار الكافر الذي أمرنا القرآن بالإبتعاد عنه.

ونحن نتطلع إلى اليوم الذي تصبح كل البلاد الإسلامية ـ ذات الألف مليون مسلم تقريباً[1] ـ بلداً واحداً من أقصاها إلى أقصاها كما أراد الله تعالى وقال القرآن الحكيم:

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾[2].

لا.. للجمارك والمكوس

ومن المحرّمات الشديدة الأكيدة التي راجت في بلاد الإسلام في القرن الأخير هي مسألة الجمارك والمكوس.

وقد حاربها الإسلام أشدّ الحرب.

فهي بالإضافة إلى مضادتها للحرّية الإسلامية: «الناس مسلطون على أنفسهم».

كذاك مضادة للاقتصاد الإسلامي المبني على الحرّية الاقتصادية في الإسلام: «الناس مسلطون على أموالهم»[3].

«لا يحل لأحد أن يتصرّف في مال غيره بغير إذنه»[4].

«لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه»[5].

«لئلا يتوى حق امرئ مسلم»[6].

---

(١) آخر الإحصاءات تشير إلى أن المسلمين بلغوا المليارين، عام ٢٠٠٠م.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٢، سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

(٣) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٢ ب٣٣ ح٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٣٨٦ ب١ ح٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص١٠ ب١ ح٣.

(٦) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٤٤٦ ب٤٦ ح٥.

إلى غير ذلك من نصوص الشريعة والأحاديث الشريفة.

بالإضافة إلى ذلك كلّه:

هناك أحاديث شريفة شديدة اللهجة في لعن أهل الجمارك، وصبّ عذاب الله عليهم، وإليك بعضاً منها:

نقل الشيخ الصدوق‌رحمه‌الله بسنده المتّصل إلى نوف قال: قال أمير المؤمنين‌عليه‌السلام:

«يا نوف إياك أن تكون عشّاراً»[1].

ونقل أيضاً بسنده المتّصل عن جعفر بن محمد‌عليه‌السلام، عن آبائه‌عليهم‌السلام، عن علي عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: «**إنّ الله عزّ وجل لما خلق الجنّة**» إلى أن قال: «فقال عزّ وجلّ: بعزّتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر، ولا سكّير، ولا قتّات وهو النمام، ولا ديوث وهو القلطبان، ولا قلاّع وهو الشرطي، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف وهو النباش، ولا عشّار»[2].

ونقل أيضاً بسنده عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أنه قال:

«لا يدخل الجنة... عشار، ولا قاطع رحم...»[3].

ونقل أيضاً بسنده عن نوف قال: قال لي أمير المؤمنين‌عليه‌السلام:

«يا نوف أقبل وصيتي: لا تكونن نقيباً ولا عريفاً ولا عشّاراً..»[4].

ونقل العلامة المجلسي‌رحمه‌الله في (بحار الأنوار): عن أم سلمة رضي‌الله‌عنها قالت: «كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله يمشي في الصحراء فناداه مناد: يا رسول الله ـ مرّتين ـ فالتفت

---

(١) الخصال: ج١ ص٣٣٨ باب الستّة ح٤٠.

(٢) الخصال: ج٢ ص٤٣٦ باب العشرة ح٢٢.

(٣) الخصال: ج٢ ص٤٣٦ باب العشرة ح٢٣.

(٤) الأمالي للصدوق‌رحمه‌الله: ص٢١٠ المجلس٣٧ ح٩.

فلم ير أحداً، ثم ناداه فالتفت فإذا هو بظبية موثقة فقالت: إنّ هذا الأعرابي صادني ولي خشفان في ذلك الجبل، أطلقني حتى أذهب وأرضعهما وأرجع.

فقال ﷺ: وتفعلين؟

قالت: نعم، إن لم أفعل عذبني الله عذاب العشّار. فأطلقها»[1].

ونقل أيضاً عن كتاب (المنتقى في مولد المصطفى) في سياق الحديث عن رجم رسول الله ﷺ المرأة الغامدية التي زنت وهي ذات بعل ورجمها رسول الله ﷺ ـ في قصّة مفصّلة مذكورة هناك ـ إلى أن قال: فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجنة خالد فسبّها، فسمع النبي ﷺ سبّه إياها فقال ﷺ: «**مهلاً يا خالد لا تسبّها، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له**»[2].

والمكس: هو المال الذي تأخذه الدول على البضائع المستوردة أو الصادرة.

لا.. للثالوث

فهذا الثالوث المركب من:

١. الحدود الأرضية المصطنعة داخل الوطن الإسلامي الشامل.

٢. وقانون الجنسية والجواز والإقامة داخل الأمة الإسلامية الواحدة.

٣. وقانون المكوس والجمارك.

هي من عوامل تحطيم وحدة المسلمين.

وهي من الأسس الرصينة للإستعمار الكافر.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٧ ص٤٠٢ ب٥ ح١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٢١ ص٣٦٧ ب٣٥ ح٢.

فالله والقرآن والرسول ﷺ كلهم ضد هذا الثالوث.

والفقهاء وتاريخ الإسلام وفقه الإسلام كلها ضد هذا الثالوث.

نعم.. للرباط الإسلامي

نعم.. الرباط الإسلامي على الحدود بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر هو الذي لـه ذكر في قرآن الإسلام، وسنة الإسلام.

وفي تاريخ الإسلام، وفقه الإسلام.

قال الله تعالى في القرآن الحكيم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه روى عن رسول الله ﷺ قـال: سـمعته يقـول: «من رابط يوماً وليلة في سبيل الله تعالى كان كمن صام شـهراً وصـلّى شـهراً لايفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة»[2].

والحديث مذكور في موسوعات الحديث مثل (وسائل الشيعة) و(مستدرك الوسائل) و(بحار الأنوار) وغيرها[3].

ولاية الفقهاء العدول

وهي من الأسس الثابتة القويمة في الإسلام. ومعناها: أنّ الإسلام ربط كـل سياسة البلاد والعباد بأشخاص تتوفر فيهم صفتان:

الأولى: استيعاب الإسلام عن فهم ودراية وعمق واجتهاد.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٧ ب٦ ح٣.

(٣) للتفصيل انظر الفقه: ج٤٧ ص١٣٨ كتاب الجهاد: المسألة٣٦.

الثانية: العدالة. وهي تعني، القوّة الدينية والملكة الإسلامية للالتزام بعدم الظلم لا على نفسه ولا على الناس، والسير على خطى الإسلام في كل صغيرة وكبيرة.

وبهذه الولاية المتقنة فهماً وعملاً، يستطيع الإسلام برمجة نظام البلاد في سلك لا يحيد عن العدالة والفضيلة أبداً.

فالمقياس هو الفقه والعدالة في أي شخص توفرا من أية قومية كان، وبأي لغة كان يتكلّم، وأياً كان لونه ومولده. فلا الشخص هو المقياس، ولا القومية، ولا الإقليمية، ولا اللغة، ولا اللون، ولا نحو ذلك.

ثم لا يخفى أنّه لو كان هناك أكثر من فقيه جامع للشرائط فالولاية تكون لشورى الفقهاء فيديرون البلاد والعباد بأكثرية الآراء إن لم يتّفقوا على رأي واحد.

وبهذا يستطيع الإسلام أن يستوعب أكبر قدر من أفراد البشر تحت نظامه العادل، يوفّر لهم دنيا سعيدة، وآخرة فضلى.

وفي هذا المجال ورد في الشريعة الإسلامية نصوص عديدة تؤكّد ذلك ولسنا الآن بصدد استيعاب تلك النصوص وإنما نذكر بعضها كنماذج:

فقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام:

«مجاري الأمور بيد العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه»[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»[2].

(١) المكاسب للشيخ الأنصاري: ج٣ ص٥٥١ الكلام في ولاية الفقيه بالمعنى الأول.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٣١ ب١٠ ح٢٠.

وروي عن مولانا ولي العصر صاحب الزمان المهدي الموعود المنتظر عجل الله فرجه في بعض توقيعاته الرفيعة:

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم»[1].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٤٠ باب١١ ح٩.

الفصل السادس

سياسة الإسلام في الحكومة العليا

قال رسول الله ﷺ: **«لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها: فأوّلهن: نقض الحكم»**[1].

الحاكم الأعلى: الإمام

ومن الأمور التي اعتنى بها الإسلام بالغ الإهتمام في تعديله وإصلاحه هي (الهيئة الحاكمة)، ونعني بها: الذي يحكمون الناس، من مثل: الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية، الذي يعبّر عنه بـ (الإمام) أو (الفقيه العادل) أو (شورى الفقهاء) وحكّام الإمام أو الفقيه وولاته وعمال الولاة.

فانظر إلى الإسلام كيف يعيّن هؤلاء، وكيف أتقن في أمورهم.

فالرئيس الأعلى، يجب عليه أن يلاحظ جميع حاجات المسلمين، فيسدها ويغيث الضعفاء والمضطهدين، ويستمع إلى الفقراء والمساكين، وإليك نقاطاً موجزة عن تاريخ الرئيس الأعلى في الإسلام:

من مسؤولية الحاكم

في مفتتح خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الظاهرية بعد مقتل عثمان خطب الإمام عليه السلام خطبة ذكر فيها مسؤولية الرئيس الأعلى في الإسلام، جاء فيها ما يلي:

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٩ ص٢٠٨ ب١ ح١٨.

«إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيما والٍ ولي أمر أمتي من بعدي أقيم يوم القيامة على حدّ الصراط، ونشرت الملائكة صحيفته، فإن نجا فبعدله، وإن جار انتقض به الصراط انتقاضة تزيل ما بين مفاصله حتى يكون بين كل عضو وعضو من أعضائه مسيرة مائة عام، يخرق به الصراط، فأوّل ما يلقى به النار أنفه وحر وجهه»[1].

وفي سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يشبع من طعام قط، وكان يقول: «ولعل بالحجاز أو اليمامة، من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع»[2].

محاسبة الولاة

ومحاسبة الولاة والعمّال كانت في سيرة الإمام علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام لكيلا يستغل بعضهم منصبه ومقامه فيجمع الأموال من أي طريق حصلت ويظلم النّاس. وسيأتي قريباً نقل بعض رسائل الإمام عليه السلام في ذلك.

وغير هذه الأحاديث.. وغيرها.. كثير.

هذه نماذج من أُسلوب السلطة العليا في نظر الإسلام، وما هو تكليف إمام المسلمين. وهكذا يجب أن يكون إمام المسلمين وخليفة الله، يهتم بأمور المسلمين.

بينما ترى أنّ معاوية ويزيد والوليد وأضرابهم، بسبب إنحرافهم عن القوانين الإسلامية، كانوا يجمعون الأموال وينساقون وراء مشتهيات النفس وترك أحكام الله وكان المسلمون يردّون عليهم ويقتلون بعضهم، ويثورون ضد آخرين منهم بسبب ذلك.

---

(١) الأمالي للطوسي: ص٧٢٨ ضمن حديث٥، في بقية أحاديث ابن الصلت الاهوازي مجس رقم٤٤.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة.

علي يصف سلطته الشرعية

وهنا يجدر بنا أن نقتطف من سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام ما ورد عنه في هذا الشأن:

«ألا وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه.

ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه[١]، ومن طعمه بقرصيه[٢].

ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع وإجتهاد، وعفّة وسداد[٣]. فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً[٤].

ولا أدخرت من غنائمها وفراً[٥].

ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً[٦].

ولا حزت من أرضها شبراً.

ولا أخذت منها إلا كقوت أتان دبرة[٧].

ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة»[٨].

فدك

«بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس

(١) الطمر ـ بالكسر ـ : الثوب الخلق البالي.

(٢) طعمه ـ بضم الطاء ـ: ما يطعمه ويفطر عليه، وقرصيه ـ تثنية قرص ـ : وهو الرغيف.

(٣) السداد: التصرف الرشيد، وأصله الثواب والاحتراز عن الخطأ.

(٤) التبر ـ بكسر فسكون ـ: فتات الذهب والفضّة قبل أن يصاغ.

(٥) الوفر: المال.

(٦) الطمر: الثوب البالي ـ وقد نسبق ـ والثوب هنا عبارة عن الطمرين فإن مجموع الرداء والإزار يعد ثوباً واحداً فبهما يكسى البدن لا بأحدهما.

(٧) أتان دبرة: هي التي عقر ظهرها، فقل أكلها.

(٨) مقرة: أي مرّة.

قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك[١] وغير فدك، والنفس مظانها[٢] في غد جدث.

تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر[٣] وسد فرجها التراب المتراكم.

وإنما هي نفسي أروضها[٤] بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق»[٥].

لا.. للترف

«ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة. ولعل بالحجاز أو اليمامة، من لا طمع له في القرص[٦]، ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً، وحولي بطون غرثى[٧] وأكباد حرى[٨] أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة[٩] وحولك أكباد تحن إلى القد[١٠]

---

(١) فدك ـ بالتحريك ـ قرية لرسول الله ﷺ، صالح أهلها بعد خيبر وقد أمر الله عزّ وجل أن يهديها لابنته فاطمة ؑ والحديث عنها طويل مذكور في معظم كتب التاريخ.

(٢) المظان: جمع مظنة، وهي المكان الذي يظن فيه وجود الشيء.

(٣) اضغطها: جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها، والمدر: جمع مدرة، مثل قصب وقصبة، وهو التراب المتلبد، أو قطع الطين.

(٤) فرجها: جمع فرجة، مثال غرف وغرفة، كل منفرج بين شيئين، وأروضها: أذللها.

(٥) المزلق: موضع الزلل، وهو المكان الذي يخشى فيه أن تزل القدمان، والمراد هنا الصراط.

(٦) القرص: الرغيف.

(٧) بطون غرثى: جائعة.

(٨) حرى ـ مؤنث حران ـ : عطشان.

(٩) البطنة ـ بكسر الباء ـ البطر والأشر.

(١٠) القد ـ بالكسر ـ قطعة لحم مجففة في الشمس.

لا.. للأنانية

«أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة[١] العيش؟ فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المراسلة شغلها تقممها[٢]، تكترش من أعلافها[٣] وتلهو عمّا يراد بها[٤].

أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة»[٥].

الشجرة البرية أصلب عوداً

«وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان. ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والرواتع الخضرة أرق جلوداً، والنابتات العذية[٦] أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً. وأنا من رسول الله ﷺ كالصنو من الصنو والذراع من العضد»[٧].

كل الاعتماد على الله تعالى

«والله لو تظاهرت العرب على قتالي، لما ولّيت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها، لسارعت إليها...

---

(١) الجشوبة: الخشونة.

(٢) تقممها: التقاطها للقمامة. أي، الكناسة.

(٣) تكترش: تملأ كرشها، وأعلاف: جمع علف، ما يهيأ للدابة لتأكله.

(٤) يعني الذبح.

(٥) أعتسف: ركب الطريق على غير قصد، والمتاهة: موضع الحيرة.

(٦) النابتات العذية: التي تنبت عذياً، أي الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

(٧) الصنوان: النخلتان يجمعهما أصل واحد، والذراع من العضد: شبه الإمام عليه السلام نفسه من الرسول ﷺ بالذراع الذي أصله العضد، وكلا التشبيهين كناية عن شدة الإمتزاج والقرب بينهما عليهما السلام.

إليك عني يا دنيا، فحبلك على غاربك[١] قد أنسللت من مخالبـك[٢]، وأفلَـتُّ من حبائلك[٣]، واجتنبت الذهاب إلى مداحضك[٤].

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك[٥].

أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك.

ها هم رهائن القبور، ومضامين اللحود، والله لو كنت شخصاً مرئيـاً، وقالبـاً حـسياً، لأقمت عليك حدود الله فـي عبـاد غـررتهم بالأمـاني، وأمـم ألقيـتهم فـي المهـاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر[٦].

هيهات! من وطئ دحضك زلق[٧]، ومن ركب لججك غرق، ومن أزور[٨] عن حبائلك وفق، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه[٩]، والـدنيا عنـده كيـوم حان انسلاخه.

اعزبي عني[١٠] فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس[١١] لك فتقوديني».

---

(١) الغارب: ما بين السنام والعنق، وهذه الجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت.

(٢) انسل من مخالبها: لم يعلق به شيء من شهواتها.

(٣) والحبائل : جمع حبالة، شبكة الصياد.

(٤) المداحض: المساقط والمزالق.

(٥) المداعب: جمع مدعبة وهي من الدعابة أي المزاح.

(٦) الورد ـ بكسر الواو ـ : ورود الماء، والصدر ـ بالتحريك ـ : الصدور عن الماء بعد الشرب.

(٧) مكان دحض ـ بفتح السكون ـ : أي، زلق لا تثبت فيه الأرجل، وزلق: زل وسقط.

(٨) أزور: مال وتنكّب.

(٩) مناخه: أصله مبرك الإبل، من أناخ ينيخ، والمراد هنا: مقامه.

(١٠) عزب يعزب: أي، بعد.

(١١) لا أسلس: أي، لا أنقاد.

رياضة النفس

«وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله، لأروضن نفسي رياضة تهش[١] معها إلى القرص، إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها[٢] مستفرغة دموعها، أتمتلئ السائمة[٣] من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة[٤] من عشبها فتربض[٥]، ويأكل علي من زاده فيهجع[٦]، قرّت إذاً عينه، إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة[٧]، والسائمة المرعية!

طوبى لنفس أدت إلى ربّها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها[٨]، وهجرت في الليل غمضها.. حتى إذا غلب الكرى[٩] عليها، افترشت أرضها، وتوسدت كفّها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت[١٠] بذكر ربهم شفاههم، وتقشّعت[١١] بطول استغفارهم ذنوبهم.

﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٢]. فاتق الله يا بن حنيف،

---

(١) تهش: أي، تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدّة ما حرمته.

(٢) نضب معينها: أي غار ماؤها الجاري.

(٣) السائمة: الأنعام التي تسرح.

(٤) الربيضة: الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها.

(٥) الربوض للغنم: كالبروك للإبل.

(٦) يهجع: أي، يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها.

(٧) الهاملة: المتروكة، والهمل من الغنم ترى نهاراً بلا راع.

(٨) البؤس: الضر، وعرك البؤس بالجنب: الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه.

(٩) الكرى ـ بالفتح ـ : النعاس.

(١٠) الهمهمة: الصوت الخفي يتردد في الصدر.

(١١) تقشعت جنوبهم: انحلت وذهبت كما يتقشع الغمام.

(١٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

ولتكفف أقراصك[١]، ليكون من النار خلاصك»[٢].

مواساة أضعف الرعية

ومن تكاليف الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية، أن تكون معيشته الشخصية ـ في مسكنه، وملبسه، ومأكله، وغير ذلك ـ مثل أضعف الرعية اقتصادياً.

وهذا ما لا يوجد إلا في الإسلام.

فإنك لا تكاد تجد لذلك من نظير في غير الإسلام.

أما الإسلام فقد طبق ذلك في سيرة الرسول ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام. ففي نهج البلاغة كلامٌ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، جاء فيه:

«إن الله تعالى فرض على أئمة العدل، أن يقدروا[٣] أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ[٤] بالفقير فقره»[٥].

وقد نقلنا في ما سبق قصّة استغراب أمير المؤمنين عليه السلام عندما سمع صوت المقلي في بيته.

وبالفعل، فقد طبّق أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام هذه الحكمة الخالدة على نفسه عندما تسلّم أزمّة الحكم في البلاد الإسلامية.

---

(١) ولتكفف أقراصك: كأنّ الإمام عليه السلام يأمر الأقراص ـ أي الأرغفة ـ بالكفّ والانقطاع عن ابن حنيف، والمراد أمر ابن حنيف بالكفّ عنها استعفافاً.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ ومن كتاب لـه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.

(٣) يقدروا أنفسهم: أي، يقيسوا أنفسهم.

(٤) يتبيغ: يهيج به الألم فيهلكه.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٩، ومن كلام لـه عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه.

فقد ورد في الحديث الشريف أنّهﷺ كان لا يأكل اللحم في السنة إلا مرة واحدة فقط وذلك في عيد الأضحى عندما يأكل جميع المسلمين اللحم[١].

أما طول السنة، فلم يكن عليعليه السلام ليأكل اللحم، لأنّ كل يوم من أيام السنة فربما هناك بعض أفراد من المسلمين لا يجدون لحماً يأكلونه، وعليعليه السلام يريد مواساة أضعف رعيته دائماً وأبداً.

العمال والولاة

أما الولاة[٢] وعمّال الولاة[٣] وإن كانت أحكامهم أخفّ من الإمامعليه السلام، ولكن يجب عليهم أيضاً أن يتخذوا مسلك الإمامعليه السلام ويسيروا بسيرته.

فإذا كان وال أو عامل لا يمضي على حكم الإسلام كان يعزل.

فهذا الوليد حين كان والياً على العراق وشرب الخمر، عُزل وأُتي به إلى المدينة، وأقام الإمام أمير المؤمنينعليه السلام عليه حدّ شرب الخمر، فضربه ثمانين جلدة.

وفوق هذا: إنّ عثمان بن حنيف الذي كان والياً على البصرة من قبل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، حينما حضر مأدبة كان المدعوون فيها من الأغنياء فقط، كتب إليه الإمام أمير المؤمنينعليه السلام يوبّخه على استجابته لهذه الدعوة، ويصف له نفسه الشريفة ليتّخذها الولاة والعمّال أسوة:

«أما بعد يا بن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى

---

(١) تقدّم في الفصل الثالث تحت رقم٨.

(٢) (الوالي) في المصطلح الإسلامي، هو من يعيّنه الإمام لإدارة بقعة من الأرض، سواء كانت كبيرة كالعراق مثلاً، أو صغيرة كالبصرة أو الكوفة ونحوهما.

(٣) (عمال الولاة) في الاصطلاح الإسلامي: هم الموظفون من قبل (الولاة) سواء كانوا موظفين كباراً أم صغاراً.

مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان[١]، وما ظننت أنـك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو[٢]، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقمضه من هذا المقضم[٣]، فما اشتبه عليك علمه فالفظه[٤]، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه»[٥].

والحديث في هذا المجال طويل..

نكتفي بهذا المقدار المتناسب مع وضع الكتاب.

---

(١) تستطاب: يطلب لك طيبها، (الألوان): أصناف الطعام، (الجفان) ـ بكسر الجيم ـ جمع جفنة، أي القصعة.

(٢) عائلهم: محتاجهم، (مجفو): مطرود.

(٣) القضم: الأكل بطرف الأسنان، والمراد مطلق الأكل.

(٤) ألفظه: أطرحه حيث اشتبه عليك حله من حرمته.

(٥) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥.

الفصل السابع

من رسائل أمير المؤمنين في سياسة البلاد

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«فارفع إليّ حسابك واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس»**[1].

رسائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى ولاته وعمّاله وموظّفيه خير وجه ناصع لسياسة الإسلام في كيفية إدارة البلاد والعباد.

فهي بوحدها جامعة للسياسة الإسلامية في كل أبعادها وفي مختلف شؤونها.

ولكي نعكس صورة عملية أخرى لسياسة الإسلام الحكيمة..

ولكي يعتبر القادة والساسة دروساً من القيادات والسياسات المادّية التي لا تجر إلى البشر سوى الفتك والدمار والتحطيم..

ولكي يعرف الخلاص والنجاة فيم؟ وكيف؟ وعند من؟

لذلك كله: نضع هنا بعض رسائل أمير المؤمنين عليه السلام السياسية مما نقلها الشريف الرضي قدس سره في (نهج البلاغة)، ونترك الشرح والتعليق إلى مقدرة القارئ وفطنته ومقدار استفادته منها في مختلف المستويات.

ولا يخفى إنا قد ضمنا بين ثنايا الكلمات الغامضة، معانيها بين معقوفتين للتسهيل على من ليس لهم الإلمام الكامل بمعاني اللغات.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٠ ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله.

لا.. لغلظة الوالي

من كتاب لـهعليه السلام إلى بعض عمّاله: «أما بعد، فإنّ دهـاقين [الأكـابر، الزعمـاء، أرباب الأملاك بالسواد] أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة، واحتقـاراً وجفـوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يـدنوا [يقربـوا] لـشركهم، ولا أن يقـصوا [يبعـدوا] ويجفوا [يعاملوا بخشونة] لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه [تخلطـه] بطرف من الشدة، وداول [اسلك فيهم منهجاً متوسطاً] لهم بين القسوة والرأفـة، وأمرج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله»[1].

لا.. للخيانة

ومن كتاب لـهعليه السلام إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبد الله بـن عبـاس على البصرة، وعبد الله عامـل أميـر المـؤمنينعليه السلام يومئـذ عليهـا وعلـى كـور الأهواز[2] وفارس وكرمان وغيرها.

«واني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت مـن فـيء المـسلمين [مالهم من غنيمة أو خراج] شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شـدّة تـدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، والسلام»[3].

لا.. للإسراف

ومن كتاب لـهعليه السلام إلى زياد أيضاً:

«فدع الإسراف مقتصداً، واذكر في اليـوم غـداً، وأمـسك مـن المـال بقـدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ١٩.

(٢) الكور: جمع كورة، وهي الناحية المضافة إلى أعمال بلد من البلدان، والأهواز: تسع كور بين البصرة وفارس.

(٣) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٠.

أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين، وأنت عنده من المتكبرين! وتطمع ـ وأنت متمرّغ في النعيم [متقلّب في الترف] تمنعه الضعيف والأرملة ـ أن يوجب لك ثواب المتصدّقين؟ وإنما المرء مجزي بما أسلف، وقادم على ما قدم، والسلام»[1].

خلق الجباة

ومن وصية لهعليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات[2]:

«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولاتجتازن [المرور] عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلّم عليهم، ولا تخدج [لا تبخل] بالتحية لهم، ثم تقول:

عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته، لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدّوه إلى وليه، فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه.

وإن أنعم [قال: نعم] لك منعم، فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده، أو تعسفه [تأخذه بشدة] أو ترهقه [تكلّفه ما يصعب عليه] فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة، فإن كان له ماشية أو إبل، فلا تدخلها إلا بإذنه، فإنّ أكثرها له، فإذا أتيتها، فلا تدخل عليها دخول متسلّط عليه، ولا عنيف به».

وحقوق الحيوان

«ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها، ولا تسوأن صاحبها فيها، وأصدع المال صدعين [قسمه قسمين] ثم خيّره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره، ثم

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٢١.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٥.

اصدع الباقي صدعين، ثم خيّره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله، فاقبض حق الله منه، فإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما، ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً، حتى تأخذ حق الله في ماله.

ولا تأخذن عوداً، ولا هرمة، ولا مكسورة، ولا مهلوسة [العود ـ بفتح فسكون ـ المسنة من الإبل، الهرمة: أسن من العود، المهلوسة: الضعيفة] ولا ذات عواد [بفتح العين: العيب] ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه، رافقاً بمال المسلمين، حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم، ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً، وأميناً حفيظاً غير معنف، ولا مجحف ولا مغلب ولا متعب».

الرحمة بالنعم

«ثم احدر [سق سريعاً] ما اجتمع عندك، نُصيّره حيث أمر الله به، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يمصر [حلب ما في الضرع جميعه] لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يجهدنها ركوباً، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها.

وليرفه على اللاغب [أي، ليرح ما ألغب. أي، ما أعياه التعب] وليستأن بالنقب والظالع [أي، ليرفق بما نقب خفّه، وغمز في مشيته] وليوردها ما تمر به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق [وهي التي لا مرعى فيها] وليروحها في الساعات، وليمهلها عند النطاف [جمع نطفة: المياه القليلة. أي، يجعل لها مهلة لتشرب وتأكل] والأعشاب، حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقيات [سمينات] غير متعبات ولا مجهودات [بلغ منها الجهد والعناء مبلغاً عظيماً] لنقسمها على كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، فإنّ ذلك أعظم لأجرك، وأقرب لرشدك، إن شاء الله»[1].

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٥.

تواضع الوالي

ومن عهد لأمير المؤمنين علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر، حين قلّده مصر:

«فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس [ساوي] بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم [ظلمك لأجلهم] ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم»[١].

سيرة المتقين

«واعلموا عباد الله: أنّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، والمتجر الرابح.

أصابوا لذّة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم، لا ترد لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من لذّة»[٢].

احذروا الموت

«فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدّوا له عدّته، فإنّه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل، بخير لا يكون معه شرّ أبداً، أو شرّ لا يكون معه خير أبداً، فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها؟ ومن أقرب إلى النار من عاملها؟

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

وأنتم طرداء الموت، إن أقمتم لـه أخذكم، وإن فررتم منه أدرككـم، وهـو ألزم لكم من ظلّكم.

الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوي من خلفكم.

فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرّها شديد، وعـذابها جديـد، دار لـيس فيهـا رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة.

وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله، وأن يحـسن ظـنّكم بـه، فـاجمعوا بينهما، فإنّ العبد إنما يكون حسن ظنه بربّه على قـدر خوفـه مـن ربّـه، وإن أحسن الناس ظناً بالله، أشدّهم خوفاً لله.

واعلم ـ يا محمد بن أبي بكر ـ أني وقد ولّيتك أعظم أجنادي في نفـسي، أهل مصر، فأنت محقوق أن تخالف علـى نفـسك [تخـالف شـهوة نفـسك] وأن تنافح عن دينك [تدافع عنه] ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تـسخط الله برضا أحد من خلقه، فإنّ في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره»[1].

التأكيد على الصلاة

«صل الصلاة لوقتها المؤقّت لها، ولا تعجل وقتها لفـراغ، ولاتؤخّرهـا عـن وقتها لاشتغال، واعلم أنّ كل شيء من عملك تبع لصلاتك»[2].

لا سواء

«فإنه لا سواء، إمام الهدى وإمام الردى، وولي النبي، وعدو النبي.

ولقد قال لي رسول الله ﷺ:

إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعـه الله بإيمانـه،

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

وأما المشرك فيقمعه [يقهره] الله بشركه، ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان [من أسر النفاق في قلبه] عالم اللسان [من لا يعرف أحكام الشريعة ويسهل عليه بيانها] يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون»[1].

ارفع إلي حسابك

من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله[2]:

«أمّا بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك [ألصقت بأمانتك خزية ـ بالفتح ـ أي، رزية أفسدتها وأهانتها] . بلغني أنك جردت الأرض [قشرتها، والمعنى أنه أنسبه إلى الخيانة في المال، وإلى إخراب الضياع] فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع إليّ حسابك، واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس، والسلام».

وصايا إنسانية

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله[3]:

«أما بعد، فإنّك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم [أكسر به كبر الأثيم الذي يفعل الخطايا والآثام] وأسد به لهاة الثغر المخوف [اللهاة: قطعة لحم مدلاة في آخر سقف الفم على باب الحلق، قرنها بالثغر تشبيهاً له بفم الإنسان، والثغر المخوف: المكان الذي يخشى طروق الأعداء له على الحدود] فاستعن بالله على ما أهمك، وأخلط الشدّة بضغث [شيء] من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدّة حين لا تغني عنك إلا الشدّة، واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جانبك، وآس

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٠.

(٣) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٦.

بينهم [شارك بينهم واجعلهم سواء] في اللحظة والنظرة، والإشـارة والتحيـة، حتى لايطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك، والسلام».

إلى الأشتر النخعي

من كتاب لأمير المؤمنين علي عليه السلام كتبه إلى الأشتر النخعي، لمـا ولاه علـى مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهـد كتبه، وأجمعه للمحاسن[١]:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاّه مـصر: جبايـة خراجهـا، وجهـاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

تقوى الله

«أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، وإتباع ما أمر بـه فـي كتابـه، مـن فرائـضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضـاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه، ويده ولسانه، فإنّه جلّ اسمه، قد تكفّل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزّه.

وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات [يزعها: يكفّها، والجمحات: منازعات النفس إلى شهواتها ومآربها] فإنّ النفس أمارة بالـسوء، إلا ما رحم الله».

يقولون فيك ما كنت تقول

«ثم اعلم يا مالك، إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنـت تنظـر فيـه مـن

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣.

أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدلّ على الصالحين بما يجري الله على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح [أبخل] بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإنّ الشح بالنفس الإنصاف منها، فيما أحبت أو كرهت».

أصناف الناس

«وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولاتكونن عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط [يسبق] منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاّك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم».

لا.. لحرب الله

«ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنّه لا يد لك بنقمته [أي، ليس لك قوّة تدفع نقمته. يعني، لا طاقة لك بها] ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ [لا تفرحن كبراً] بعقوبة، ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت منها مندوحة [البادرة: ما يبدر عن الغضب من قول أو فعل، والمندوحة: المَخلَص] ولا تقولن: إني مؤمّر [مسلّط] آمر فأطاع، فإنّ ذلك إدغال [إدخال الفساد] في القلب، ومنهكة [مضعفة] للدين، وتقرّب من الغير ـ بكسر ففتح ـ: حادثات الدهر بتبدل الدول] وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبهّة أو مخيلة [الأُبهة: العظمة والكبرياء، والمخيلة ـ بفتح فكسر ـ: الخيلاء والعجب] فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك.

فإنّ ذلك يطامن [يخفض] إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك [طماح ككتاب: النشوز والجماح، والغَرب ـ بفتح فسكون ـ : الحدة] ويفيء إليك بما عزب [غاب] عنك من عقلك».

لا.. للتكبر

«إياك ومساماة [المباراة في السمو أي، العلو] الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإنّ الله يذلّ كل جبّار، ويهين كل مختال. أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى [لك إليه ميل خاص] من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض [أبطل] حجّته، وكان لله حرباً، حتى ينزع، أو يتوب.

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته، من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد».

أوسط الأمور في الحق

«وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإنّ سخط العامّة يجحف برضى الخاصّة [يذهب برضاهم] ، وإن سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف [الإلحاح والشدّة في السؤال] وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر، من أهل الخاصّة.

وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين [جماعتهم] والعدة للأعداء العامّة من الأمة، فليكن صغوك [ـ بالكسر والفتح ـ : التوجه] لهم، وميلك معهم».

لا تقرب النمامين

«وليكن أبعد رعيتك منك، وأشنأهم [أبغضهم] عندك، اطلبهم لمعائب الناس، فإنّ في الناس عيوباً، الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عمّا غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك.

فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك.

أطلق عن الناس عقدة كل حقد [أحلل عقدة الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم] وأقطع عنك سبب كل وتر [بالكسر: العداوة] وتغاب [تغافل] عن كل ما لا يضح لك [ما لا يظهر لك] ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإنّ الساعي [النمام بمعائب الناس] غاش، وإن تشبه بالناصحين».

سياسة المشورة

«ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً، يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر [يخوفك منه لو بذلت] ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره [الشره بالتحريك: أشدّ الحرص] بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى، يجمعها سوء الظن بالله».

شر الوزراء

«إنّ شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلايكونن لك بطانة [بالكسر] فإنهم أعوان الأثمة [جمع آثم: وهو فاعل الإثم، أي الذنب] وأخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم [ذنوبهم] وأوزارهم [جمع وزر: أي، الإثم] وآثامهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه.

أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً [صداقة].

فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثـرهم عنـدك أقـولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك، مما كـره الله لأوليائـه، واقعـاً ذلك من هواك حيث وقع».

الصق بأهل الروع

«والصق بأهل الورع والصدق، ثـم رضـهم [عـودهم] علـى ألا يطـروك [يمدحوك] ولا يبجحوك [يفرحوك بنسبة عمـل عظـيم إليـك] بباطـل لـم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو [العجب] وتدني من العزة.

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ فـي ذلـك تزهيـداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإسـاءة، وألـزم كـلا منهم ما ألزم نفسه».

الإحسان للرعية

«واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس لـه قـبلهم [ـ بكسر ففتح ـ : أي، عندهم].

فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتـك، فـإنّ حـسن الظن يقطع عنك نصباً [تعباً] طويلاً.

وإنّ أحق من حسن ظنك به، لمن حسن بلاؤك عنده، وإنّ أحق من سـاء ظنك به لمن ساء بلاؤك [صنعك] عنده.

ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعـت بهـا الألفـة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنّة تضر بشيء من ماضـي تلـك الـسنن، فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها».

تأكيد على مدارسة العلماء

«وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أنّ الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض:

فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامّة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس، ومنها التجّار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة.

وكل قد سمّى الله له سهمه [نصيبه] ووضع على حدّه فريضة في كتابه أو سنّة نبيه ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً».

الجيش والجنود

«فالجنود بإذن الله، حصون الرعية، وزين الولاة، وعزّ الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج، الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم [يقضونها به] ».

القضاة والعدل

«ثم لا قوام لهذين الصنفين، إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب، لما يحكمون من المعاقد [العقود] ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامها».

أهل الصناعات والتجار

«ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجّار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم [أي، المنافع التي يجتمعون لأجلها] ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفّق [التكسّب] بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم».

وأهل الحاجة

«ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم [صلتهم] ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكلٍ على الوالي حق بقدر ما يصلحه. وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك، إلا بالإهتمام والإستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل.

فول من جنودك أنصحهم من نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً [الصدر والقلب]، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو [يبتعد] على الأقوياء، وممّن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف».

كرائم العائلات

«ثم الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنّهم جماع [أي، مجموع] من الكرم، وشعب من العرف [المعروف].

ثم تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن [يتعاظمن] في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرنّ لطفاً تعاهدتهم به وإن قل، فإنّه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظنّ بك.

ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم، اتكالاً على جسيمها، فإنّ لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه».

استقامة العدل

«وليكن آثر [أفضل وأعلى منزلة] رؤوس جندك عندك من واساهم [ساعدهم] في معونته، وأفضل عليهم من جدّته [غناه] بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم [من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال] حتى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو، فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعية.

وإنّه لا تظهر مودّتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم [صونهم] على ولاة الأمور وقلّة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم.

فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذووا البلاء منهم [أهل الأعمال العظيمة] فإنّ كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع وتحرض الناكل [المتأخر القاعد] إن شاء الله».

ضع الناس مواضعهم

«ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضمن بلاء امرئ [صنيعة الذي أبلاه] إلى غيره، ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً. واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب [أي، ما يثقلك ويكاد يميلك من الأمور الجسام]، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾[1].

فالرد إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول: الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة».

مواصفات الحكام

«ثم اختر للحكم بين الناس، أفضل رعيتك في نفسك، ممّن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه [تجعله ماحقاً لجوجاً] الخصوم، ولا يتمادى [يستمر ويسترسل] في الزلّة ولا يحصر من الفيء [الرجوع] إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلّهم تبرماً [ضجراً وملالا] بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشّف الأمور، وأصرمهم [أقطعهم للخصومة وأمضاهم فيها] عند اتضاح الحكم، ممّن لا يزدهيه إطراء [أي، لا يستخفّه زيادة الثناء عليه]، ولايستميله إغراء، وأولئك قليل.

ثم أكثر تعاهد [مراجعة] قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علّته، وتقل معه حاجته إلى الناس.

وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك.

فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا».

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

اختبر الموظفين

«ثم انظر في أمور عمّالك، فاستعملهم اختباراً [أي، ولّهم الأعمال بالامتحان] ولا تولّهم محاباة وأثرة [محاباة: أي، اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم، وأثرة: أي، استبداداً بلا مشورة] فإنهما جماع من شعب [أي، يجمعان شعب وفروع الجور والخيانة] الجور والخيانة، وتوخ [أي، أطلب وتحر] منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدّمة، فإنّهم أكرم أخلاقاً وأصحّ أعراضاً، وأقل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً.

ثم أسبغ [أكثر] عليهم الأرزاق، فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك [أي، نقضوا في أدائها أو خانوا] ».

تفقد سيرة الموظفين

«ثم تفقّد أعمالهم، وابعث العيون [الرقباء] من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم [أي، سوق لهم وحث] على استعمال الأمانة والرفق بالرعية.

وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلّة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة».

الاقتصاد

«وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأنّ الناس كلهم عيال على الخراج وأهله».

وعمارة الأرض

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة، أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً.

فإن شكوا ثقلاً، أو علّة [فساد الزرع] أو انقطاع شرب، أو بالة [مطر] أو إحالة أرض اغتمرها [عمّها] غرق، أو أجحف بها عطش [أتلفها]، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم.

فإنّه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم [التبجح: السرور بما يرى من حسن عمله في العدل، واستفاضة العدل: انتشاره] معتمداً فضل قوّتهم [أي، متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند إليه عند الحاجة] بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم [الترفيه] والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم، ورفقك بهم.

فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم، من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإنّ العمران محتمل ما حملته.

وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنّهم بالبقاء، وقلّة انتفاعهم بالعبر».

والكُتّاب

«ثم انظر في حال كُتّابك، فولّ على أمورك خيرهم، وأخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممّن لا تبطره [لا تطغيه] الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ [جماعة من الناس تملأ البصر] ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك، فيما يأخذ لك ويعطي منك.

ولا يضعف عقداً اعتقده لك [أي، معاملة عقدها لمصلحتك] ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك [بالسكون والثقة] وحسن الظنّ منك، فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنّعهم [أي، بتكلّفهم إجادة الصنعة] وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء. ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإنّ ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره».

تنظيم الأمور

«واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها، ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت [تغافلت] عنه ألزمته».

تشجيع الصناعة

«ثم استوص بالتجّار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله [المتردد به بين البلدان] والمترفّق [المكتسب] ببدنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق [ما ينتفع به من الأدوات والآنية] وجلابها من المباعد والمطارح [الأماكن البعيدة] في برّك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولايجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته [داهيته] وصلح لا تخشى غائلته. وتفقّد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك».

منع الإحتكار

«واعلم ـ مع ذلك ـ أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكّماً في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامّة، وعيب على الولاة.

فامنع من الاحتكار، فإنّ رسول الله ﷺ منع منه.

وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة [عمل الاحتكار] بعد نهيك إياه، فنكّل به، وعاقبه في غير إسراف [يعني، في العقوبة]».

العناية بالمستضعفين

«ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى [شدّة الفقر] والزمنى [الشلل] فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً [القانع: السائل، والمعتر:المتعرض للعطاء بلا سؤال] واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم.

واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلاّت صوافي [أرض الغنيمة] الإسلام في كل بلد، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقّه، فلا يشغلنّك عنهم بطر، فإنّك لا تعذر بتضييعك التافه [الحقير] لأحكامك الكثير المهم.

فلا تشخص [لا تصرف] همك عنهم، ولا تصعّر [تمل تكبراً] خدك لهم، وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم، ممّن تقتحمه العيون [تنظر إليه احتقاراً وازدراءً] وتحقّره الرجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم.

ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه [أي، بما يقدّم لك عذراً عنده] فإنّ هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه».

الأيتام والأطفال

«وتعهد أهل اليتم وذوي الرقّة في السن [أي، المتقدّمين في السن] ممّن لا حيله له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة، فصبّروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم».

أصحاب الحوائج

«واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك [جمع حارس وشرطي] حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع [متردد من عجز] .

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن:

لن تقدّس أمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متتعتع.

ثم احتمل الخرق [العنف] منهم والعي [العجز عن النطق] ونح عنهم الضيق والأنف [التكبر]، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته [أطرافها]، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار [بجمال واعتذار].

ثم أمور من أمورك لابدّ لك من مباشرتها، منها إجابة عمّالك بما يعيا [يعجز] عنه كتّابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك.

وامض لكل يوم عمله، فإنّ لكل يوم ما فيه».

الخلوة بالله تعالى

«واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النيّة وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك، إقامة فرائضه التي هي له خاصّة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقرّبت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ».

صلاة الجماعة

«وإذا قمت في صلاتك للناس، فلا تكونن منفّراً، ولا مضيّعاً، فإنّ في الناس من به العلّة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجّهني إلى اليمن: كيف أصلّي بهم؟ فقال:صلّ بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً».

كن في الناس

«وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإنّ احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلّة علم بالأمور، والإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل.

وإنما الوالي بشر، لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين:

إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه. أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك، مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ممّا لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة».

لا.. للبطانة

«ثم إنّ للوالي خاصّة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلّة إنصاف في معاملة، فاحسم [اقطع] مادّة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال.

ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامّتك قطيعة [المنحة من الأرض] ولايطمعن منك في اعتقاد عقدة [امتلاك ضيعة] تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة».

كن مع الحق دائماً

«وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً لذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإنّ مغبة [عاقبة] ذلك محمودة.

وإن ظنّت الرعية بك حيفاً [ظلماً] فأصحر [أظهر] لهم بعذرك، واعدل [انح] عنك ظنونهم بإصحارك، فإنّ في ذلك رياضة منك لنفسك [تعويداً لنفسك على العدل]، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوك، ولله فيه رضا، فإنّ في الصلح دعة [راحة] لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإنّ العدو ربما قارب ليتغفل [أي، تقرب منك بالصلح ليحاربك غفلة] فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن».

الوفاء.. والأمانة

«وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمّة [عهداً]، فحط عهدك بالوفاء [حط عهدك: أي، احفظه وصنه] وارع ذمّتك بالأمانة، واجعل

نفسك جنّة [وقاية: أي، حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك] دون ما أعطيت، فإنّه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً، مع تفرّق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود.

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا [أي، وجدوها وبيلة مهلكة] من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمّتك ولا تخيسن [خيانة] بعهدك، ولا تختلن عدوك [تخدعنه] فإنّه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي.

وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه [أفشاه] بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته [قوّته]، ويستفيضون إلى جواره [أي، يفزعون إليه بسرعة]، فلا إدغال ولا مدالسة [الإدغال: الإفساد، والمدالسة: الخيانة] ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولاتعولنّ على لحن قول [كالتورية والتعريض] بعد التأكيد والتوثقة».

والصبر في الملمات

«ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإنّ صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة، لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك».

إياك وسفك الدماء

«إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدّة، من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيام.

فلا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام، فإنّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأنّ فيه قود البدن [قصاصه].

وإن ابتليت بخطأ أو أفرط عليك سوطك [أي، عجّل بما لم تكن تريده أردت تأديباً فأعقب قتلاً ـ مثلاً ـ] أو سيفك، أو يدك بالعقوبة، فإنّ في الوكزة [الضربة بجمع الكفّ] فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن [ترتفعن] بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم».

لا.. للعجب بالنفس

«وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء [المبالغة في الثناء]، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين».

لا.. للمنة على الرعية

«وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإنّ المن يبطل الإحسان، والتزيّد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى:

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقّط [التهاون] فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكّرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كل أمر موضعه، وأوقع كل أمر موقعه».

لا.. للإستئثار

«وإياك والإستئثار بما الناس فيه أُسوة [أي، احذر عن تخصيص نفسك بزيادة فيما فيه الناس متساوون]، والتغابي [التغافل] عمّا تعني به مما قد وضح للعيون، فإنّه مأخوذ منك لغيرك.

---

(١) سورة الصف: الآية ٣.

وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم.

أُملك حمية أنفك [أي أملك نفسك عند الغضب]، وسورة حدّك [أي، حدّة بأسك]، وسطوة يدك، وغرب لسانك [حدّه]، واحترس من كل ذلك بكفّ البادرة [ما يبدر من اللسان عن الغضب] وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك، حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدّمك من حكومة عادلة، أو سنّة فاضلة، أو أثر عن نبيناﷺ أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت ممّا علمنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا،واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علّة عند تسرع نفسك إلى هواها».

دعاء الخاتمة

«وأنا اسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة [زياد الكرامة أضعافاً] وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة.

﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[1].

والسلام على رسول اللهﷺ وآله الطيبين الطاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً، والسلام»[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣.

وصية لابن عمه

ومن وصية لأمير المؤمنين علي عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة[١]:

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب، فإنّه طيَرة من الشيطان[٢].

واعلم أنّ ما قرّبك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار».

إستخلاص

هكذا كان الإمام العادل ـ رئيس المسلمين الأعلى ـ وهكذا يجب أن يكون.

وهكذا يجب أن يكون الولاة والعمّال.

وهكذا يجب أن يكون الرؤساء والأمراء.

حتى تصلح أمور الأمة، ويهنأ الجميع في عيش حرّ مرفّه، ويتمتعوا بالسكينة والإطمئنان.

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أوصى عبد الله بن العباس حينما استخلفه على البصرة بما تقدّم.

وحينما كانت البلاد الإسلامية هكذا، وسلطتها كذلك لم تكن ـ الدولة الإسلامية ـ تحتاج إلى كثرة الدوائر، لأنّ الوالي الواحد مع عدد قليل جداً من الحرس والشرطة، وقاض واحد: كانوا يحكمون البلاد من دون ضغط عليهم، وكان الناس يقضون حوائجهم بواسطة هؤلاء دون أي تعطيل أو تسويف.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٧٦.

(٢) الطيرة: الفأل بالشرّ، والغضب إنما يتفأل به الشيطان لنيل مآربه من الغضبان.

فكان المتخاصمان يأتيان القاضي، ويحكم لهما فيذهبان من يومهما.

وكم كانت المرافعات والمخاصمات العظيمة تحلّ في ظرف سويعات قليلة، والكل كانوا راضين بالحكم، لأنّ الكل على علم أنّ قاضي الإسلام يعدل بين المتخاصمين، ولا يجوز لـه أن يجور لصداقة أو غيرها.

فالدولة الإسلامية في عهد الإمام أمير المؤمنين‰ على عظمتها وتوسّعها وكثرة نفوسها، كان يحكمها إمام وولاة وعمّال وقضاة معدودون دون أن يؤجّل الترافع، أو يسوف الحكم، أو يظلم أحد في حقّه..

وكم كان الوالي أو القاضي يقضي الأوقات دون أن يترافع إليه اثنان.

ذلك لأنّ السياسة الإسلامية هي سياسة الله، سياسة السماء، سياسة رشيدة، سياسة لم ير ـ ولن ير إلى الأبد ـ العالم لها مثيلاً في غير الإسلام.

أما هذه الأنظمة للدول الغربية والشرقية ـ التي يسير عليها العالم كلّه وساسته ـ فهي تباين الإسلام كلياً، في أصوله وفروعه، ولا يعترف الإسلام بشيء منها.

وكم ندد الإسلام بالصغيرة والكبيرة منها، حتى إنّ والياً في الكوفة، جعل لداره حاجباً، فأرسل الخليفة رجلاً أحرق غرفة الحاجب، وأمر الوالي بأن لا يكون لـه أكثر من غرفة واحدة.

لا.. للحاجب

وهكذا كتب الإمام أمير المؤمنين‰ إلى عامله على مكّة قثم بن العباس يمنعه عن اتخاذ الحاجب حيث يقول:

«ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك، ولاتحجبن ذا حاجة عن لقائك بها... »[1] إلخ.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٦٧، ومن كتاب لـه‰ إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة.

ونرى التاريخ يحدثنا عن الرسول ﷺ الذي كان الرئيس الأعظم للمسلمين والسياسي الأكبر المبعوث إليهم، كان أبسط شخص يتمكن من لقائه متى شاء.

فكيف بمن هو دون النبي ﷺ من الإمام أو الوالي أو العامل أو القاضي؟

ولم يكن ﷺ يتفوق عليهم، أو ليحتجب عنهم، وكان فيهم كأحدهم، يحدثهم إذا استمعوا، ويستمع إليهم، إذا تحدثوا[1].

كلها سياسة

أفليست هذه الأشياء من السياسة؟

أو ليس التنظيم الاقتصادي، والدستور الصحي، والقانون الثقافي، ومنح الحريات، ومكافحة الجرائم، وتكثير الزراعات والعمارات، وتوثيق العلاقات مع الدول، وتنظيمات السلم والحرب، وتعيين رؤساء الدولة، من السياسة؟.

نعم، إنها من صميم السياسة.

ولا سياسة رشيدة إلا بتنظيم هذه الأشياء تنظيماً حكيماً يوافق العقل والعاطفة ـ في حين واحد ـ كما فعل الإسلام.

فكرة الاستعمار

والقول بأن الإسلام لا علاقة له بالسياسة، وإنما هو نظام روحي أخلاقي فحسب، يكذبه القرآن الحكيم، والسنة المطهرة، وسيرة النبي ﷺ والأئمة وسيرة العلماء المراجع من بعدهم.

حتى أن الإمام الهادي عليه السلام حينما يريد أن يعلم الناس زيارة يزورون بها

---

(١) راجع مكارم الأخلاق: ص١٦ في تواضعه وحيائه ﷺ.

أئمتهمعليهم السلام يقول فيها: «... **وساسة[1] العباد وأركان البلاد..**»[2].

وهذه الفكرة ـ فكرة أنّ الإسلام لا علاقة لـه بالسياسة ـ وليـدة الإسـتعمار منذ أقل من قرن تقريباً، فحين تمكّن الإستعمار من غـرز مخالبـه فـي الـبلاد الإسلامية أخذ ينشر هذه الفكرة بين المسلمين، ليزقهم بأنّ الـدين الإسـلامي شيء، والسياسة شيء آخر[3]، ليتاح لـه الدخول في الـبلاد الإسـلامية والعمـل كيـف يـشاء، حتـى إذا أراد رجـل ديـن، أو مجتهـد، أن يقـف دون أعمـال المستعمرين، تتوجه إليه انتقادات ـ من نفس المسلمين المغفّلـين البـسطاء ـ لم تتدخل في السياسة؟

إنّ الأمور السياسية ليس من واجبك؟

استمر على صلاتك وأذكارك، ما لك ولهذه الأشياء؟

وغيرها من الكلمات التي روّج لها الإسـتعمار، ليخمـدوا بهـا كـل صـوت يرفع بالإسلام، ويدفعوا بها كل مدافع عن معالم الدين الحنيف.

ولهذا ترى الشباب المثقف بالثقافة الإستعمارية، ينظر إلى الإسـلام كنظـره إلى طقوس فارغة، وقشور لا لب فيها.

وإلا فالإسلام الذي لا سياسة معه، ليس إسلاماً.

كما أنّ السياسة التي ليست وفق الإسلام لا تكون سياسة بالمعنى الصحيح.

ومن جراء هذه الفكرة الإستعمارية، أصبح بعض الـشباب يـستقبلون كـل صيحة علت من الشرق أو الغرب، وينحازون إلى كل مبدأ أو فكرة تنساب منهما.

---

(١) ساسة: جمع سائس يعني المدبر.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦١٠ زيارة جامعة لجميع الأئمةعليهم السلام ح٣٢١٣.

(٣) نقل عن الجاسوسة الإنجليزية (المس بيل) في كتابها عن تاريخ العراق: «إن المرجع الديني الكبير السيد محمد كاظم اليزديقدس سره حينما أبرق إلى الجهات الإدارية يطالبهم بالحدّ من نشاطهم ضد الإسلام، ردوا عليه جواباً يقولون فيه: (إنك عالم ديني، ولا مس لك بالسياسة)».

فتراه يخرج إلى الشيوعية، ظناً منه أنّ الشيوعية هي التي ساوت بين الطبقات.. ولا يعلم أنّ الإسلام حفظ حقوق العامل والفلاح والفقير بشكل لم يحلم به لا تاريخ روسيا، ولا تاريخ العالم كلّه، منذ فجر التاريخ حتى اليوم.

وتنظر إلى الآخر يتلهف إلى ما يسمى بـ (نظام بريطانيا)، أو (مدنية فرنسا)، أو (حضارة أمريكا)، أو.. ولا يدري أنّ ما في بريطانيا وفرنسا وأمريكا وغيرها من أنظمة إنسانية ومدنيات كريمة ليست إلا مقتبسة من الإسلام، وما فيها من خزعبلات ودجل فقد حذر الإسلام عنها.

ولو كان الشباب المسلم يعلم عن الإسلام، وعن اقتصادياته، وحرّياته، ومدنياته، وثقافاته، و..و.. شيئاً قليلاً، لما كرّس جهوده لتطبيق مبادئ فاسدة وإقامة أفكار بالية، وتدعيم أنظمة جائرة، ليست من الإسلام ولا الإسلام منها في شيء، وهو منها براء.

الفصل الثامن

العلماء والسياسة

قال الإمام الحسين عليه السلام: «**إنّ مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه**»[1].

إنّ العلماء عبر العصور المتمادية والقرون المتتابعة سائرون على منهجهم الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرون من إصلاح أمور الأمّة الإسلامية وتقويمها، فلم يتركوا الحكّام وما يفعلون، ويدعوهم وما يريدون، بل تدخلوا في السياسة.

وقد كان من واجب العلماء أن يردّوا الأُمراء والحكّام عن الغي والفساد، إذا انزلقوا، وكان عليهم أن يقابلوهم ويرشدوهم باللسان والنصح، فإن لم ينفع ذلك فبالوقوف دونهم وما يريدون، مهما كلّفهم الأمر، وكانوا يقومون بذلك ويرشدون وينصحون، ويهددون ويكفّرون، ويعارضون ويقاطعون كل من كان ينحرف عن الإسلام من الحكام.

فكم من عالم أُبعد من دياره؟

وكم من مجتهد أُوذي وسُجن؟

وكم من فقيه أُحرق داره وطُرد؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٨٠ ب١ ح٣٧.

وكم منهم قُتل وصُلب؟

وكم؟ وكم؟

كل ذلك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الحكّام وتقويمهم عن الهوى والشهوات.

وكتاب «شهداء الفضيلة» للعلامة الأميني[1] يذكر العشرات من علماء الشيعة ـ منذ القرن الرابع الهجري حتى هذا القرن ـ الذين قضوا شهداء قد قُتلوا في سبيل إقامة الدين وإصلاح الأُمة.

وهنا نذكر ـ للقارئ الكريم ـ أسماء بعض من علمائنا الأعلام، خلال القرن الأخير من الذين جابهوا السياسات المعادية للإسلام، وتدخلوا في السياسة ليأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر، ثم نُتبع ذلك بقائمة لذكر عدد من علمائنا الأبرار الذين راحوا ضحية التدخل السياسي في البلاد وقُتلوا في سبيل الله تعالى ليعلم الناس: أنّ العلماء الأعلام، أعلنوا ـ عملياً ـ للعالم باستمرار: أنّ السياسة من واقع الإسلام، ومن أُسسه وأُصوله.

كفاح العلماء الأعلام

١. السيد محمد المجاهد، تحرك من العراق إلى إيران لمحاربة روسيا الطاغية، التي أرادت أن تهدم الإسلام، وتستعمر ديار المسلمين، ولذلك لقب بـ (المجاهد).

٢. السيّد محمد حسن الشيرازي[2]، المجدد الكبير، حارب الإنجليز، حينما

(١) العلامة الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني (١٣٢٠ـ١٣٩٢هـ) = (١٩٠٢ـ١٩٧١م) مؤرّخ أديب من فقهاء الإمامية، ولد وتوفي بإيران، ولكنه نشأ وأقام بالنجف الأشرف، أسس فيها (مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامّة) من مؤلفاته: موسوعة (الغدير) و(شهداء الفضيلة) و(أدب الزائر) وغيرها.

(٢) هو السيّد محمد حسن بن الميرزا محمود الحسيني الشيرازي، أعظم علماء عصره وأشهرهم وأعلى مراجع الإمامية

أرادت السيطرة على إيران باسم تجارة التبغ، فحرّم استعمال التبغ، وكان في ذلك قصمة لظهر المستعمر.

٣. الشيخ محمد تقي الشيرازي[1]، الذي أعلن وجوب مطاردة الإستعمار، حينما أراد السيطرة على العراق سنة (١٣٣٧هـ) فوقف بوجه الإنجليز، ودافع عن الإسلام وأبناء الإسلام، في ثورته الشهيرة المعروفة بـ (ثورة العشرين) أي عام (١٩٢٠).

٤. العلماء الأعلام في كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف بعد ثورة العشرين بقليل، ثاروا ضد البرلمان الغربي الذي أرادوا تطبيقه في العراق آنذاك، وكان هذا هو السبب في تسفير جماعة من العلماء من العراق، من أمثال المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني[2]، والمرجع الديني الميرزا حسين النائيني[3]، والمرجع الديني السيّد ميرزا علي الشهرستاني، والعلامة الحجّة السيّد محمد علي الطباطبائي، وغيرهم.

في وقته، ولد بشيراز عام ١٢٣٠هـ حضر على العلامة السيّد حسن البيد آبادي الشهير بالمدرس حتى حصلت لـه الإجازة منه قبل بلوغه العشرين حتى أصبح من المدرسين الأفاضل، هاجر إلى العراق عام ١٢٥٩هـ وأقام في النجف الأشرف، تأهل للزعامة والرياسة عام ١٢٨١هـ حتى أصبح المرجع الوحيد للإمامية، ويدل على نفوذ حكمه وقوّة سطوته مسألة التنباك الشهيرة، توفي في سامراء عام ١٣١٢هـ ودفن في النجف ﵀.

(١) هو الشيخ الميرزا محمد تقي بن الميرزا محبّ علي بن أبي الحسن الحائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية (ثورة العشرين) من أكابر العلماء وأعاظم المجتهدين ومن أشهر مشاهير عصره في العلم والتقوى والغيرة الدينية. توفي ودفن بكربلاء المقدّسة عام ١٣٢٨هـ

(٢) هو السيّد أبو الحسن بن السيّد محمد الموسوي الأصفهاني، عالم جليل ومرجع عام للإمامية في عصره، ولد في إصفهان عام (١٢٨٤هـ) وهاجر إلى العتبات المقدّسة عام (١٣٠٧هـ) أدركه الأجل عام (١٣٦٥هـ) في الكاظمية وشيع جثمانه تشييعاً قل نظيره فقد حمل على الرؤوس من بغداد إلى النجف.

(٣) هو الشيخ محمد حسين ابن شيخ الإسلام عبد الرحيم النائيني النجفي، مجتهد خالد الذكر من أعاظم علماء الشيعة، ولد في مدينة نائين الإيرانية عام (١٢٧٧هـ) وبها نشأ فتعلم المبادئ وبعض أوليات العلوم وهاجر إلى أصفهان ومن ثم إلى العراق عام (١٣٠٣هـ) لازم السيّد المجدد الشيرازي وصار كاتباً ومحرراً لـه إلى أن توفي ببغداد يوم السبت (٢٦ج١ عام ١٣٥٥هـ) ودفن في النجف الأشرف.

٥. المرجع الديني السيّد حسين القمي[١]، أخرج من إيران إلى العراق، بعد استنكاره للكفر والإستعمار ضد (رضا خان البهلوي)، كما سافر مرة ثانية من العراق إلى إيران ليطالب السلطة عند ما ترأسها (محمد رضا بهلوي) برفض الإنحرافات الكبيرة، فأخذ مطالبه ورجع إلى العراق، فكان منه القيامان، مجازفة بنفسه وبمن معه.

٦. المرجع الديني السيّد عبد الحسين شرف الدين[٢]، الذي حارب فرنسا، وأفتى ضدها حتى طُرد من لبنان إلى مصر، وكاد أن يقتل، وأُحرقت داره ومكتبته التي كانت تضم نفائس الكتب، وقسماً من تآليفه التي كانت مخطوطة، ولا تزال المكتبة الإسلامية محرومة منها.

٧. المرجع الديني السيّد آغا حسين البروجردي[٣]، قاوم الظلم في إيران مرّتين، أيام رضا خان البهلوي، حتى أشرف على القتل.

٨. مراجع التقليد في العراق أيام المد الشيوعي في زمان (عبد الكريم

---

(١) السيّد حسين السيّد محمود القمي، ولد في قم المقدسة في (١٢٨٢ هـ) ودرس فيها مقدمات العلوم، هاجر إلى العراق، حضر أبحاث كبار العلماء أمثال السيد المجدد الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمد تقي الشيرازي، وحاز على درجة سامية من العلم وكان معروفا بالصلاح والتقى والزهد، في سنة (١٣٣١هـ) هبط المشهد الرضوي عليه السلام فصار من أكبر مراجع التقليد في إيران. بعد تصديه لانحرافات نظام الشاه رضا بهلوي اصدر الاخير أمراً باعتقاله ونفيه إلى العتبات المقدسة في العراق، فسكن كربلاء والتف العلماء حوله وصار مهوى قلوب الشيعة ومن كبار مراجع التقليد في البلد، رُشح رحمه الله للزعامة العامة بعد وفاة السيد أبو الحسن الاصفهاني، توفي يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول ١٣٦٦ هـ نقل إلى النجف الأشرف ودفن في الصحن الشريف.

(٢) هو السيد عبد الحسين بن السيد يوسف الموسوي العاملي الملقب بـ(شرف الدين) من كبار علماء المسلمين وعباقرة الشيعة، ولد في الكاظمية (١٢٩٠هـ) توفي في بيروت عام (١٣٧٧هـ) ودفن في النجف بعد تشييعه تشييعاً مهيباً في بيروت وبغداد وكربلاء والنجف.

(٣) زعيم الحوزة العلمية في قم المقدّسة، آلت إليه المرجعية الشيعية بعد وفاة المرحوم السيّد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله عام ١٣٦٥هـ وافاه الأجل عام ١٣٨٠هـ ودفن بجوار السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام في قم المقدّسة إيران.

قاسم) قاوموا وحاربوا الكفر والإلحاد والضلال، حتى قتل بعضهم، وسجن آخرون، وسجن وسفّر جمع كثير منهم.

٩. مراجع التقليد في إيران، قاوموا رضا خان ومحمد رضا بهلوي حتى أسقطوهما.

١٠. مراجع التقليد والعلماء في العراق قاوموا كفر الشيوعية حتى أسقطوها وهاهم اليوم يقاومون كفر البعث العراقي وسينتصرون عليه بإذن الله تعالى.

علماء.. شهداء

«ما منا إلا مقتول أو مسموم».

روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«ما منا إلا مقتول أو مسموم»[1].

وقد فُسّر الحديث الشريف بالنبي وابنته الزهراء والأئمة الاثني عشر.

والسؤال المطروح حول هذا الحديث الشريف هو: أنّه كيف كان نصيب هؤلاء المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام القتل والسم والشهادة في سبيل الله، وهم خيرة أهل الأرض؟

والجواب الوحيد عليه: أنّهم عليهم السلام كانوا يزاولون الأعمال السياسية بكل شجاعة وصمود في قبال الظالمين، فكانوا يتعرضون للقتل والسم من قبل الظالمين نتيجة ذلك.

من هنا نستطيع أن نعرف أنّه لماذا كان العلماء الأبرار أيضاً عبر التاريخ الطويل يتعرّضون لمثل ذلك: القتل أو السم؟

(١) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢١٧ ب٩ ح١٨.

والجواب هنا هو الجواب هناك.

لأن علماء الدين لم يفتؤوا يمارسون الأعمال السياسية في كل الأبعاد بوجه الظالمين والمستبدّين، فكان نصيبهم القتل والسم.

وهنا نضع قائمة بأسماء جمع من علماء الإسلام الأبرار الأخيار الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى، ومن أهل مزاولة السياسة الإسلامية التي لا تترك بعداً من أبعاد عمل الإنسان إلا وبرمجته ونظمته.

ولمراجعة تفاصيل حياتهم يراجع كتب التاريخ، والتراجم من أمثال (طبقات أعلام الشيعة) للشيخ آغا بزرك الطهراني[١].

و(أعيان الشيعة) للسيد محسن الأمين العاملي[٢].

و(روضات الجنّات) للسيد محمد باقر الأصفهاني[٣]، وغيرها.

---

(١) العلامة الشيخ محسن أو محمد محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني المعروف بـ (آغا بزرك) (١٢٩٣ـ١٣٨٩ هـ) عالم بالتراجم ومحقق، ولد بطهرن وانتقل إلى العراق عام ١٣١٣هـ فتفقه في النجف الأشرف وأجيز بالإجتهاد قبل سن الأربعين، شارك في قضية الانقلاب الدستوري في إيران، انتقل إلى سامراء في الأعوام (١٣٢٩ـ١٣٥٥هـ) ثم عاد إلى النجف الأشرف لمتابعة العمل في تأليف كتبه إلى أن توفي، صدر عنه أكثر من ألفي إجازة في رواية الحديث، لـه عدّة كتب، منها: (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) في تسعة عشر جزءً، و(نقباء البشر في القرن الرابع عشر) وهو واحد من أحد عشر كتاباً في التراجم، وغيرها، وقد وقف مكتبته المحتوية على أكثر من خمسة آلاف كتاب.

(٢) السيّد محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي (١٢٨٢ـ١٣٧١هـ) (١٨٦٥ـ١٩٥٢م) آخر مجتهدي الشيعة الإمامية في بلاد الشام، لـه شعر واشتغال بالتراجم، ولد في قرية شقراء من أعمال مرجعيون بجبل عامل، وتعلّم بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف وعاد إلى سورية فاستقر في دمشق سنة ١٣١٩هـ وعمل في التدريس والوعظ ثم الإفتاء، توفي بدمشق، كان مكثراً في التأليف، يجمع ما تفرق من آثار الإمامية وسيرهم ويؤلف في فقههم ويذب عنهم ويناقش ويهاجم، من مؤلفاته: (أعيان الشيعة) في ٥٦ مجلداً، و(الرحيق المختوم) وهو ديوان شعره الذي نظمه قبل سنة ١٣٣١هـ و(الحصون المنيعة) رسالة في الردّ على صاحب المنار، وغيرها.

(٣) السيّد محمد باقر بن الميرزا زين العابدين الموسوي الخونساري الأصفهاني (١٢٢٦ـ١٣١٣ للهجرة) عالم جليل، عارف بالفقه والكلام وغيرهما من العلوم الدينية، من أعلام القرن الثالث عشر الهجري، كان يسكن خونسار ويتولّى الشؤون الدينية بها، لـه كتاب (حدود وتعزيرات) و(جبر واختيار) ألفه سنة ١٢٣٣هـ وغيرهما.

جد الشريف الرضي

الحسن بن علي الملقب بـ(الأطروش) و(الناصر الكبير) الجد الأُمي للشريف الرضي جامع (نهج البلاغة)، خرج على الظلم والظالمين في بلاد الديلم أيام المقتدر العباسي. وحكم مدّة ثلاث عشرة سنة، واستشهد عام (٣٠٤) هجري في بلدة آمل من أعمال طبرستان القديمة، وله من العمر تسع وسبعون سنة، وله قبر ومزار معروف هناك، عليه قبّة جميلة. ترجم له:

١. الميرزا حسين النوري في (خاتمة المستدرك)[١].

٢. كاشف الغطاء في (الحصون المنيعة).

٣. ابن داود النباكتي في (روضة أولي الألباب).

٤. الميرزا عبد الله الأفندي في (رياض العلماء)[٢].

٥. ابن الأثير في تاريخه الكبير (الكامل)[٣].

٦. السيد محسن الأمين العاملي في (أعيان الشيعة)[٤].

خال الشيخ الكليني

علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بـ(علاّن) خال ثقة الإسلام الكليني رحمه الله صاحب (الكافي) ومن شيوخه الذين أكثروا الرواية عنهم.

كانت له صلة بصاحب الأمر عليه السلام، وكان يعيش في عهد الغيبة الصغرى،

---

(١) خاتمة المستدرك: ج٣ ص٢١٦.

(٢) رياض العلماء وحياض الفضلاء: ج١ ص٢٧٦ (ط الخيام قم المقدّسة).

(٣) الكامل في التاريخ: ج٨ ص٨١ ذكر ظهور الحسن بن علي الأُطروش، (ط دار صادر بيروت لبنان ١٣٩٩ للهجرة ١٩٧٩م).

(٤) أعيان الشيعة: ج٥ ص١٧٩ رقم ٤٢٥.

وقد كتب إلى صاحب الأمر ﷺ في بعض الأمور، فجاءه التوقيع الرفيع.

قتل في أيام الغيبة الصغرى بطريق مكّة.

كان من وجوه الشيعة، ومروّجي الشريعة.

ترجم له: معظم كتب التاريخ والرجال[١].

الأنطاكي المصري

الحسن بن سليمان الأنطاكي، من علماء الشيعة في مصر، في القرن الرابع الهجري. كان في أيام الحاكم العبيدي.

وكان مجاهراً بالحق، صادعاً به، مخالفاً للباطل متبرئ منه، بقوله وعمله، قتله الحاكم العبيدي سنة (٣٩٩) للهجرة.

ترجم له: (ميزان الإعتدال)[٢] للذهبي.

و(أعيان الشيعة)[٣].

وغيرهما[٤].

الهمداني

بديع الزمان الهمداني، أحمد بن الحسين بن يحيى، الكاتب الشيعي الشهير، والأديب والخطيب، والشاعر الطائر الصيت، اتصل بالصاحب بن عبّاد، وكان صريحاً في الحق متكلّماً منطقياً فيه.

استشهد بالسم عام (٣٩٧) للهجرة.

---

(١) انظر رجال الكشي: ص٢٦٠ رقم ٦٨٢. وشهداء الفضيلة: ص٧.

(٢) ميزان الإعتدال: ج١ ص٤٩٣ رقم ١٨٥٧.

(٣) أعيان الشيعة: ج٥ ص١٠٤ رقم ٢٥٧.

(٤) انظر شهداء الفضيلة: ص١٠.

ترجم له: معظم المؤرخين والرجاليين[١].

الناشئ الصغير

(الحلاّء) علي بن عبد الله المعروف بـ (الناشئ الأصغر) لقب بالحلاّء لأنّ أباه كان يعمل حلية السيوف، وعرف بـ(الناشئ) لأنّه يقال لمن نشأ في فن الشعر واشتهر به. ونقل عن السمعاني: أنّ المشهور بهذه النسبة هو المترجم له علي بن عبد الله.

كان يقطن مصر وكان ينظم الشعر في أهل البيت عليهم السلام بسخاء وجمال، ومن أشعاره قصيدته المعروفة المفتتحة بالبيت التالي:

بآل محمد عرف الصواب   وفي أبياتهم نزل الكتاب

عاصر الغيبة الصغرى وقتل حرقاً بالنار عام (٣٦٦) للهجرة، وله من العمر خمس وتسعون سنة.

ترجم له: معظم كتب الرجال والتاريخ والأدب[٢].

الأزدي الأندلسي

محمد بن هاني الأزدي، المعروف بـ(متنبي الغرب) باعتباره من الأندلس الواقعة غرب البلاد الإسلامية، آنذاك كان من المجاهرين بالحق والمزاولين للسياسة في عصره، وقد عده ابن شهر آشوب من المجاهرين بالتشيع. ولد عام (٣٢٦) للهجرة بالأندلس.

واستشهد بها قتلاً أو خنقاً ـ على خلاف بين المؤرّخين في كيفية شهادته

---

(١) هدية العارفين للبغدادي: ج١ ص٦٩. والذريعة إلى تصانيف الشيعة للطهراني: ج٢٢ ص٦ رقم ٥٧٤٣.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ج١٦ ص٢٢٢ رقم ١٥٥. ولسان الميزان لابن حجر: ج٤ ص٢٣٨ رقم ٦٤٢. وفهرست ابن النديم: ص٢٢٦.

ـ عام (٣٦٢) وعمره إذ ذاك ستّ وثلاثون سنة.

ترجم له: معظم كتب التاريخ والرجال والأدب[1].

أبو فراس الحمداني

أبو فراس الحمداني، العالم والشاعر المعروف الذي نقل عن (الصاحب بن عباد) أنه قال في حقه:

«بدء الشعر بملك وختم بملك».

يعني، إمروء القيس، وأبا فراس.

ونقل: إنّ المتنبي كان لا ينبري لمبارزته إكباراً له، مارس السياسة، وخاض غمارها، وعمّر البلاد والعباد.

حارب الروم عدة مرات، وأسروه مرّتين، وقتل شهيداً في سبيل الله في المرّة الثانية عام (٣٥٨) للهجرة.

ترجم له: معظم كتب التاريخ والأدب والرجال[2].

والد أبي فراس

سعيد بن حمدان الحمداني، والد أبي فراس المترجم آنفاً.

من وجوه الشيعة وعلماء السياسة في عصره، قتله ناصر الدولة بالموصل عام (٣٢٣) للهجرة.

ترجم له باختصار: العديد ممن ترجموا ابنه[3].

---

(١) انظر الكنى والألقاب: ج١ ص٤٤٦.

(٢) الغدير: ج٣ ص٣٩٩. ومعجم المطبوعات العربية: ج١ ص٣٣٦. والأعلام للزركلي: ج٢ ص١٥٥.

(٣) روضات الجنّات للخوانساري: ج٣ ص١٩ ط الحيدرية طهران ١٣٩٠هـ

ابن الفرات

أبو الحسن علي بن الفرات.

كان من كُتّاب الشيعة في القرن الرابع الهجري، من عائلة معروفة بالنبل والفضل والكرم.

تولّى الوزارة في أيام المقتدر العباسي عدّة مرّات.

ونقل: أن أيامه كانت مواسم للناس..

قُبض عليه وقتل في أيام الغيبة الصغرى سنة (٣١٢) للهجرة.

ترجم له: (أعيان الشيعة) للسيّد محسن الأمين العاملي[١].

و(الشيعة وفنون الإسلام) للسيّد حسن الصدر[٢].

التهامي الشامي

أبو الحسن التهامي، علي بن محمد العاملي الشامي.

كان من العلماء والشعراء والأدباء في مفتتح القرن الخامس الهجري، وقيل في حقّه:

له شعر أدق من دين الفاسق، وأرق من دمع العاشق.

ومن قصائده ما افتتحها بهذا البيت المعروف:

حكم المنية في البرية جاري		ما هذه الدنيا بدار قرار

كان يمارس السياسة الشرعية في أيام بني العباس، فطورد فاختفى، وجعل يجوب البلاد والقرى متنكراً فراراً من ظلم حكم بني العباس، حتى دخل

---

(١) أعيان الشيعة: ج١ ص١٩١ البحث الحادي عشر في الوزراء والأمراء والقضاة ونقباء من الشيعة.

(٢) الشيعة وفنون الإسلام: ص١١٣ ط٤ ١٣٩٦هـ دار المعلم للطباعة، مصر.

مصر فظفروا به، وعرفوه، فاعتقلوه وأودعوه في السجن، وعذبوه كثيراً وشديداً، ثم قتل في السجن سراً ـ ولعلّه قضى نحبه تحت التعذيب ـ وذلك عام (٤١٦) للهجرة.

ومن جميل ما ينقل عنه.

أنّه رأى في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي.

فقيل له: بأي الأعمال.

فقال: بقولي في مرثية ولدي الصغير:

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

ترجم له: المعظم من المؤلفين في التاريخ، والشعر، والرجال[1].

ثابت بن أسلم

ثابت بن أسلم، النحوي، من نوابغ الأدب، وعلماء حلب.

كان من علماء الشيعة، جريئاً في الصدع بالحق، ذكياً في ذلك، تولّى خزانة الكتب بحلب في عهد الفاطميين، مارس السياسة بذكاء.

ألّف بعض الكتب في كشف أباطيل بعض المذاهب الباطلة.

حمل إلى مصر وقتل صلباً في حدود عام (٤٦٠) للهجرة.

ترجم له: روضات الجنات[2].

---

(١) ربع قرن مع العلامة الأميني للشاكري: ص١٦٨. وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٤٣ ص٢٢١ رقم ٥٠٧٦. والأعلام: ج٤ ص٣٢٧.

(٢) روضات الجنات: ج٢ ص١٦٨ رقم١٦٣ ط: الحيدرية طهران ١٣٩٠هـ

وأعيان الشيعة[1].

والشيعة وفنون الإسلام[2].

وغيرها[3].

أبو القاسم القزويني

أبو القاسم الشيخ عبد الكريم القزويني.

كان من علماء الفقه، والأصول، والحديث، في القرن الخامس الهجري، من الطائفة المعروفة بـ (الكرجية).

كان منطقياً، يقول الحق، ويصمد فيه، ويتدخل في سياسة العباد والبلاد، ويناقش الملحدين ويفحمهم. حتى قتلته الملاحدة سنة (٤٩٨) للهجرة.

ترجم له: شهداء الفضيلة[4]، وغيره.

الكندي الكاتب

أبو الحسين بن طرخان أحمد بن محمد الكندي المعروف بـ (الكاتب).

من علماء القرن الخامس الهجري.

كان صادعاً بالحق، ومناهضاً للباطل، يقول الحق، ويستقيم عليه.

قُتل لتشيعه وصراحته بذلك، قبيل عام (٤٥٠) للهجرة.

قال عنه النجاشي رحمه الله: (ثقة صحيح السماع وكان صديقنا).

ترجم له: المعظم من كتب الرجال[5].

---

(١) أعيان الشيعة: ج٤ ص٧ رقم١٢.

(٢) الشيعة وفنون الإسلام: ص١٧٣.

(٣) هدية العارفين: ج١ ص٢٤٨. وشهداء الفضيلة: ص٣١.

(٤) شهداء الفضيلة: ص٣١.

(٥) رجال النجاشي: ص٨٧ رقم٢١٠. ورجال ابن داود: ص٤٢ رقم١١٤. نقد الرجال للتفرشي: ج١ ص١٥٠ رقم

الحسن بن مفضل

الحسن بن مفضّل بن سهلان.

كان من كُتّاب الشيعة، وعلمائها، وساستها.

مارس السياسة، وتولّى الوزارة لسلطان الدولة الديلمي.

وقُتل في سبيل الله.

وهو الذي بنى سوراً لحائر الحسين عليه السلام في كربلاء.

ترجم له: الشيعة وفنون الإسلام[١].

وابن كثير الشامي في تاريخه[٢].

وغيرهما[٣].

أبو المحاسن الطبري

الطبري، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل.

كان من كبار العلماء في أواخر القرن الرابع الهجري، وتتلمذ عليه القطب الراوندي وغيره من فطاحل العلماء.

وذكره جمع من المؤرّخين بلقب (الإمام الشهيد).

عمد إلى ثورة فكرية تصحيحية في الإسلام ضد الباطنية التي كانت آنذاك تتغلغل في المسلمين..

ووصف المترجم لـه بأنّه أوّل من أفتى بإلحاد الباطنية التي وصفت بأنّها

١٢٦/٣٠١.

(١) الشيعة وفنون الإسلام: ص١١٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج١٢ ص٢٠ ط: دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٨هـ

(٣) ربع قرن مع العلامة الأميني: ص١٦١.

تقول: بوجوب إطاعة شيخ الطريقة ولا يجب بعد ذلك شيء من التكاليف الإلهية.

قُتل غيلة عام (٥٠١) أو (٥٠٢) للهجرة وله من العمر فوق الثمانين.

ترجم له: المعظم من المؤرّخين والرجاليين[١].

الفتال النيسابوري

الفتّال الشيخ محمد بن الحسن الواعظ النيسابوري.

لقبه بعض المؤرخين بـ (الشيخ الشهيد).

مؤلف كتاب (روضة الواعظين) وكتاب (التنوير) في التفسير.

استشهد في سبيل الله على إثر جرأته على الباطل وصراحته بالحق.

ترجم له: العلامة المجلسي[٢].

والشيخ النوري[٣].

والمحدّث الحر العاملي[٤].

وغيرهم[٥].

القطب الراوندي

الحسين بن قطب الدين الراوندي.

عالم جليل، وصف بـ (العالم الصالح الشهيد).

قتل في سبيل الله من أجل مناهضته للضلال، وصموده للحق.

---

(١) معجم البلدان للحموي: ج٣ ص١٠٤. والأنساب للسمعاني: ج٣ ص١٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ج١ ص٨.

(٣) خاتمة المستدرك: ج٢ ص٢٦٤.

(٤) أمل الآمل: ج٢ ص٢٨٨ رقم ٨٦٠.

(٥) شهداء الفضيلة: ص٣٧. ومستدرك سفينة البحار: ج٨ ص١١٧. سنن النبي ﷺ: ص٢٨ رقم٣٢.

ترجم له: أمل الآمل[1].
وخاتمة المستدرك[2].
وغيرهما[3].

الطغرائي

الطغرائي الحسين بن علي، من أحفاد أبي الأسود الدؤلي.
كان عالماً فاضلاً، وشاعراً مجيداً، ولاميته مشهورة معروفة.

كان يزاول السياسة ويروّج لأهل البيت عليهم السلام في خطبه وأشعاره ومواقفه، وكان صامداً، تولّى الوزارة مدّة، ثم لصمود مواقفه قتل ظلماً عام خمسمائة وبضعة عشر، وقد بلغ الخامسة والسبعين من عمره أو تجاوزها.
ترجم له: المعظم من المؤرّخين، وكتب تاريخ الشعر والأدب[4].

الطبرسي

أمين الإسلام الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، صاحب تفسير (مجمع البيان) وغيره من عشرات الكتب النافعة، منها أربعة تفاسير غير مجمع البيان.

كان يعيش في جو مختلف من الأديان والمذاهب، وكان طوداً في العلم، بطلاً في الإيمان، صامداً في ذات الله، حتى استشهد ليلة عيد الفطر من سنة ثمان وأربعين وخمسمائة في مدينة سبزوار.

وحمل نعشه إلى مشهد الرضا عليه السلام ودفن هناك في مكان يعرف بـ (مغتسل الرضا عليه السلام).

---

(١) أمل الآمل: ج٢ ص٨٧ رقم٢٣٠.

(٢) خاتمة المستدرك: ج٢ ص٢٦٤.

(٣) الأعلام: ج٣ ص١٠٤. وشهداء الفضيلة: ص٤٠. وتفسير جوامع الجامع للطبرسي: ج١ ص١٣ رقم٤١.

(٤) شهداء الفضيلة: ص٤٠، سير أعلام النبلاء: ج١٦ ص٤٥٤. أمل الآمل: ج٢ ص٩٥ رقم٢٦٢.

ترجم له: معظم المؤرّخين[١].

أبو القاسم بن الفضل

السيّد أبو القاسم يحيى بن أبي الفضل شرف الدين، ينتهي نسبه إلى الإمام زين العابدين.

كان من أفاضل العلماء، وله ممارسة عميقة في سياسة البلاد، فقد كان نقيب الطالبيين بالعراق.

عارضه الملك (خوارزم شاه تكش) وقتله بالسيف عام (٥٨٥) للهجرة.

ترجم له: العديد من كتب التاريخ والرجال[٢].

الشهيد الأوّل

الشهيد الأوّل، محمد بن مكّي العاملي، الذي لا تزال كتبه وفتاواه وآراؤه مدار الحوزات العلمية الإسلامية في الفقه، والأُصولين[٣]، والحديث، وغيرها.

جاهد في الله حق الجهاد حتى أُستبيح دمه، فقُتل، ثم صُلب، ثم أحرق بالنار، في رحبة قلعة دمشق عام (٧٨٦ للهجرة) وله من العمر (٥٢) سنة.

ترجم له: المعظم من المؤرّخين وعلماء الرجال[٤].

الشهيد الثاني

الشهيد الثاني زين الدين العاملي، تالي الشهيد الأوّل في كل المكرمات،

---

(١) شهداء الفضيلة: ص٤٥. وأمل الآمل: ج٢ ص٢١٦ رقم٦٥٠. معجم رجال الحديث للخوئي: ج١٤ ص٣٠٤ رقم٩٣٦٢.

(٢) شهداء الفضيلة: ص٤٨. فهرست منتجب الدين: ص٣٨٤.

(٣) أي، أصول الدين وأصول الفقه.

(٤) شهداء الفضيلة: ص٨٠. وسنن النبي ﷺ: ص٢٤ رقم١٨. وأمل الآمل: ج١ ص١٨١ رقم١٨٨.

في الشهادة والعلم والفضيلة، وكذلك في أنّ كتبه وفتاواه وآراؤه مدار البحث والنقاش في الحوزات العلمية الإسلامية في الفقه، والأُصولين، والحديث، وغيرها.

كان مجاهداً في سبيل الله حتى ضاق به حكّام لبنان وحكّام الروم، وبحثوا عنه تحت كل حجر ومدر، وأخذوه في أيام الحجّ، فقتل على ساحل البحر ـ في قصّة طويلة ـ وأُهدي رأسه إلى ملك الروم، وتُرك جسده الشريف على الأرض.

وكان بتلك الأرض جمع من التركمان، فرأوا في تلك الليلة أنواراً تنزل من السماء وتصعد، فدفنوه هناك وبنوا عليه قبة.

ترجم له: المعظم من الرجاليين والمؤرخين[1].

الشهيد الثالث

الشهيد الثالث هو لقب لعدد من علمائنا الأبرار الذين استشهدوا في سبيل الله ومن أجل الصمود للحق، وفي كتاب (شهداء الفضيلة) أنّ العلماء والمترجمين ـ عدا بعضهم ـ يذكرون هذا اللقب لشهاب الدين التسترى الخراساني.

كان من أجلاء العلماء أيام دولة السلطان طهماسب، وكان يزاول الأعمال السياسية وينصح السلطان، ويناقش الضالّين، ويصمد للحق والفضيلة.

هجم الأوزبكية على خراسان، واستأسروا شهاب الدين التسترى وأخذوه إلى ما وراء النهر، وعذبوه، وآذوه، ثم قتلوه بالخناجر والمدى، وأحرق جسده الشريف في ميدان بخارا عام (٩٩٧) للهجرة.

ترجم له: روضات الجنّات[2].

---

(١) شهداء الفضيلة: ص١٣٢. وسنن النبي ﷺ لحسين الطباطبائي: ص٢٤ رقم١٩. وأمل الآمل: ج١ ص٨٥ رقم٨١.

(٢) روضات الجنّات: ج٤ ص٢٣٠ رقم٣٨٧.

والجنابذي في الروضة الصفوية.

وشهداء الفضيلة[١].

وغيرها[٢].

المحقق الكركي

المحقق الكركي نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي المعروف بـ(المحقق الثاني) كان في عهد الملك طهماسب الصفوي، وتولّى شؤون سياسة البلاد وإدارة العباد، وكان أمر المحقق الكركي نافذاً على الناس فوق أمر الملك، وكان الملك يعتبره من عمّاله وولاته.

دُس إليه السم غيلة، فمات على أثره عام (٩٤٥) للهجرة.

ترجم له: المعظم من المؤرّخين والرجاليين.[٣]

القاضي التستري

السيّد القاضي نور الله التستري، مؤلّف الموسوعة الضخمة المسمّاة بـ(إحقاق الحق) وعشرات المؤلّفات الأخرى المذكورة في كتب التاريخ.

تولّى القضاء في الهند في العهد الصفوي، وكان مجاهداً صامداً، حتى قتل في سبيل الله شهيداً عام (١٠١٩) للهجرة.

وكيفية قتله: أن جرد من ثيابه، وضرب بالسياط الحديدية الشائكة حتى تقطعت أعضاؤه واختلط لحمه بدمه.

ترجم له: المعظم من المؤرخين والرجاليين[٤].

---

(١) شهداء الفضيلة: ص١٦٨.

(٢) خاتمة المستدرك: ج٢ ص٢٦٩. والذريعة: ج٢ ص٣٢٩. والأعلام: ج٤ ص١٣٦.

(٣) أمل الآمل: ج١ ص١١٨ رقم١٢٢، معجم رجال الحديث: ج١٢ ص٣٨٨ رقم٨٠٥٣.

(٤) شهداء الفضيلة: ص١٧١. وخاتمة المستدرك: ج٢ ص٢٧١. وأمل الآمل: ج٢ ص٣٣٦ رقم١٠٣٧.

الحر العاملي

الشيخ علي الحرّ العاملي، جدّ صاحب (الوسائل) وصهر الشيخ حسن صاحب (المعالم) ومن أحفاد الحرّ بن يزيد الرياحي المقتول مع الحسين عليه السلام في كربلاء يوم عاشوراء. كان عالماً، عيلماً في العلم، بطلاً في دين الله، صامداً في ذات الله، مجاهداً في سبيل الإسلام، حتى دسّ إليه السم فمات على أثره.
ومن جميل نظمه هذان البيتان:

إن كان حبّي للوصي ورهطه ... رفضاً كما زعم الجهول الخائض
فالله والروح الأمين وأحمد ... وجميع أملاك السماء روافض

ترجم له: العديد من المؤرّخين[1].

السيد نصر الله الحائري

السيّد نصر الله الحائري، العالم، الشاعر، والمدرس المعروف في الروضة الحسينية بكربلاء المقدّسة.
وله تخميس قصيدة الفرزدق التي قالها في حق الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.
وكان مجاهداً في سبيل الله، ممارساً لسياسة البلاد، رافضاً لأهل الباطل، منددًا بهم، حتى قتل شهيداً عام (١١٥٤) للهجرة.
ترجم له: الكثير من المؤرّخين، وكتب تاريخ الأدب والشعر[2].

الشيخ العسيلي

الشيخ صالح العسيلي من علماء لبنان وتلامذة آية الله السيّد مهدي بحر العلوم رحمه الله.

---

(١) شهداء الفضيلة: ص٢٠٦. وأمل الآمل: ج١ ص١٢٩ رقم١٣٨.
(٢) شهداء الفضيلة: ص٢١٥. وخاتمة المستدرك: ج٢ ص٥٤ رقم٢.

كان مجاهداً في سبيل الله، صامداً من أجل الله، صادعاً بالحق، مزاولاً للأمور السياسية، حتى قتل صابراً محتسباً، قتله أحمد باشا المعروف بـ(الجزار)، وذلك عام (١٢٠٨) للهجرة.

ترجم له: شهداء الفضيلة[١].

الهمداني الحائري

المولى عبد الصمد الهمداني الحائري، العالم العيلم شيخ العلماء، هو من تلامذة الوحيد البهبهاني، وصاحب الرياض قدس سرهما، كان مجاهداً في سبيل الله، عاملاً لرفع راية الإسلام، مزاولاً للأمور السياسية، حتى قتل عند باب داره عام (١٢١٦) للهجرة في فتنة الوهابية واستباحتهم لمدينة كربلاء المقدّسة. وقتل معه الألوف من المؤمنين والأخيار، وفيهم العشرات من العلماء والفضلاء منهم: الشيخ محمد، والشيخ عين علي، والسيد صادق، وغيرهم.

ترجم له: العديد من المؤرخين ومن كتبوا عن كربلاء المقدّسة[٢].

الميرزا باقر الشيرازي

الميرزا محمد باقر الشيرازي، هو تلميذ الإمام المجدد الشيرازي ﷺ، من شهداء نهضة (المشروطة) في إيران. كان يزاول الأمور السياسية، ويأمر وينهى، ويكافح أعداء الإسلام، حتى قتل في شيراز عام (١٣٢٦) للهجرة.

ترجم له: شهداء الفضيلة[٣].

---

(١) شهداء الفضيلة: ص٢٧٥.

(٢) شهداء الفضيلة: ص٢٨٦. وطرائف المقال: ج١ ص٨٣ رقم٢٦٦. وروضات الجنات: ج٤ ص١٩٨ رقم٣٧٧.

(٣) شهداء الفضيلة: ص٣٥٠.

الشيخ النوري

الشيخ فضل الله النوري، هو تلميذ الإمام المجدد الشيرازي، وابن أخت العلامة المحقق الميرزا حسين النوري صاحب مستدرك الوسائل وصهره على ابنته.

قام بثورة تصحيحية (للمشروطة) مطالباً بالمشروطة حين رأى انحراف مسير الثورة التي قادها علماء الدين.

قتل في سبيل الله صلباً عام (١٣٢٧) للهجرة.

ترجم له: الكثير من المؤرخين المتأخرين[١].

هذه أسماء واحد وثلاثين عالماً من علمائنا الأبرار الذين استشهدوا في سبيل الله نتيجة مزاولتهم للأمور السياسية، وتدخلهم في شؤون الدول والملوك الذين ما استطاعوا أن يجلبوا هؤلاء العلماء بالدرهم والدينار، وأساليب الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب..

أثبتنا أسماءهم كنماذج من الجمع الكثير من علمائنا الشهداء الذي يطفح تاريخنا المشرق بأسمائهم وصمودهم وجهادهم في كل زمان ومكان..

وتعدادهم يستدعي مجلدات.. ومجلدات..

وهم مذكورون في كتب التاريخ، والحديث، والرجال، والمعاجم.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ السياسة من واقع الإسلام وأنّ المهمّة الأولى والأخيرة لعلماء الإسلام هي تقديم سياسة العباد والبلاد.

---

(١) شهداء الفضيلة: ص٣٥٤. ومستدرك سفينة البحار: ج٥ ص٢٧١.

الخاتمة

واجب الجميع

قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

ولم يكن التدخل في الأمور السياسية، وتعديل الأمة، وتقويمها، واجب العلماء فحسب، بل هو واجب الجميع، والجميع مسؤول عنه غداً يوم القيامة. فكل زيغ، أو انحراف يحدث في الأمّة الإسلامية، يجب على جميع المسلمين مكافحته وإصلاحه.

وقد قال الرسول الأعظم ﷺ في حديث له: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**». فكما أنّ الراعي مسؤول عن الأغنام، كذلك كل مسلم مسؤول عن الآخرين.

ولا يفرق في ذلك السيّد والمسود، والعالم وغيره، والطالب والأستاذ، والرجل والمرأة، والقوي والضعيف، و.. و...

وقد كان المسلمون الأوّلون ـ الذي بهم تقدّم الإسلام، وبإيمانهم الصادق وصمودهم الجبار استقامت أركان البلاد والدين ـ إذا رأوا منكراً استنكروه بما لهم من حول وقوّة، حتى يزيلوه.

فهذا أحد المسلمين حينما يرى الرجل يحمل آلات القمار، يقول له: ولمن هذا؟ فيقال له: للأمير. يتصدّى للأمير ويقول: القمار حرام، وأنا مسلم يجب عليّ التصدّي ممن كان ولمن كان.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣٨ ب٣٥ ضمن ح٣٦.

وهذا الوليد حينما مزّق القرآن، حاصره المسلمون وقتلوه فكتبوا عليه: «هذا جزاء من مزّق القرآن»[1].

مع أنّ الوليد كان ذلك اليوم إمبراطوراً يحكم مساحة كبيرةً من الأرض.

وهذا رجل آخر من المسلمين في الشام، رأى زقاق[2] محمّلة على الجمال، فسأل عما فيها، فقيل إنها خمر، فحمل عليها ومزّقها وخرقها بسكّينة، وأراق ما فيها من خمر. وحينما قيل له: إنها لمعاوية بن أبي سفيان، قال: فلتكن.

ولكن المسلمين حينما تكاسلوا عن العمل، وفقدوا المسؤولية، صبّت عليهم المصائب ووقعوا فرائس الشرق والغرب وغيرهم.

والمسلمون اليوم بدؤوا اليقظة، ومعرفة ما يدور حولهم، فيرجى لمستقبلهم الخير الوافر، والعزّة الشاملة بإذن الله تعالى.

فأساس التقدّم والخير والعزّة.. هو الوعي الصحيح، والإيمان الصادق، وقد ورد في الحديث الشريف:

«العالم بزمانه لا تهجم عليه النوائب»[3].

فنسأل الله العلي القدير أن يعمّق في المسلمين هذا الوعي، وهذه اليقظة، حتى يعمّان الجميع، وما ذلك على الله بعزيز.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

صادق مهدي الحسيني الشيرازي

كربلاء المقدّسة: ١٣٨٣/٧/١٥هـ

---

(١) انظر تفسير القرطبي: ج٩ ص٣٥٠، تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

(٢) الزق: السقاء، وجمع القلة أزقاق، والكثير زقاق، مثل ذئب وذؤبان، والزق من الأُهُب: كل وعاء اتخذ لشراب أو نحوه، لسان العرب: ج١٠ ص١٤٣ مادة زقق.

(٣) الكافي: ج١ ص٢٧ كتاب العقل والجهل ح٢٩. وفيه: (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس).

الفهارس

١. آيات القرآن الكريم

٢. الروايات والأحاديث الشريفة

٣. المصادر

٤. المحتويات

فهرس آيات القرآن الكريم

رقم الآية | إسم السورة | رقم الصفحة

البقرة

١٢٩: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾....... ٧٤

١٥١: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ ٧٤

١٥٦: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾.. ٢٩٦

١٧٩: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾.. ١٩٥

١٩٤: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.............................. ١٣١

٢٠٨: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾...... ٢١٨

٢٥٦: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾.......................... ١٩٢

٢٥٧: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾............. ١٩٢

٢٨٠: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ...﴾ ٢٠١

آل عمران

٦١: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ ١٢٦

٩٧: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ ٢١٠

١١٠: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾... ٥٧

١٣٣: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ٩٦

١٤٤: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾............................... ٩٧

١٥٢: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ...﴾ ٢٤

١٥٣: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ﴾.... ٣٨

١٥٥: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾........ ٢٤

١٦٤: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ ٧٤
١٦٥: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ ٧٣
١٦٩: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ .... ١٢٩، ٢٢٩
٢٠٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.......... ٢٥٨

النساء

٣: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾ ٢١٦
٤٣: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ ١٩٦
٥٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ ٢٨٦
٧٥: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾.............................. ٢٤٤
٩٤: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾........................... ٢٣٣، ٢٣٩
٩٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾.... ٢٤٦
١١٥: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾........ ٢٢٩
١٤١: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.............................. ٢٣٥
١٤٥: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ ٣٦

المائدة

٦: ﴿فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ١٩٧
٣٨: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا﴾ ١٩٦
٤٢: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾.. ١٠٢
٥٠: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ ٥٦
٦٦: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ﴾......... ١٢
٨٢: ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ﴾.. ١٦٧

الأعراف

٣١: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ ٧٥٥
٨٥: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ... ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ١١٣
٩٦: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ...﴾ ١٢
١٥٧: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ .... ٣٤، ١٩٣
١٥٨: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ٢٤٠

الأنفال

١٥: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾............. ٢٢٩، ٢٤٨
١٦: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ﴾.... ٢٣، ٢٤٨
٣٠: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾.................. ٣٥، ٣٦
٦١: ﴿جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ ٢١٨

التوبة

٥: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ ٢٤٢
٦١: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٣٦

يونس

١٤: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.................. ١٩

يوسف

٩٢: ﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ﴾ ٤٤

إبراهيم

١٥: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ٣٢٦

الحجر

٩٥: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ٣٥

النحل

٩٠: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾.............................. ٢٦، ٢٣٩، ٢٤٠
١٢٨: ﴿اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.............................. ٢٣٠

الإسراء

١٥: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.............................. ٢٤٧
١٦: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾.............. ٢٤٧
٧٠: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.. ٢٦
٧١: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.. ١٢٦

الكهف

٥١: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾.............................. ١٦٩

طه

٥٢: ﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾.............................. ٢٣٠
٦١: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾.. ١٢٩
٩٨: ﴿لامساس﴾.. ١٤٠
١٣٢: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.............................. ٢٢٨

الأنبياء

٦٧: ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.. ٢٠٩
٩٠: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾.............................. ٩٧
٩٢: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.............. ٢٥١

١٠٧: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ٢٧

المؤمنون

٥٢: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ٢٥١
٦١: ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ ٩٧
٩٦: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ ١٥٥

النّور

٢: ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ٢١٠
٣٢: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ ٢١٦
٣٧: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾ ٢٢٨

الفرقان

٦: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ٣٦
٧: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ ١٩
٥٧: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾ ١٩٣

القصص

٨٣: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ ١٦١
٨٥: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ ١٩٠

الرّوم

٦٠: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ ١٢١

الأحزاب

٦: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ .... ٢٧، ١٩٣، ٢٥٤
٣٣: ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ ٥٦

٥٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.................... ٥٦

سبأ

٢٨: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾.................... ٢٤٠

يس

١ و٢ و٣: ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.................... ٣٦

٦٩: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾.................... ٣٦

الزمر

٩: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.................... ١٨٤

٦٥: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.................... ١٢١

فصلت

٦: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾.................... ١٩

الشورى

١٣: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾.......... ١٣

الفتح

٢٦: ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.................... ٥٦

٢٧: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾.................... ٢٠٠

الحجرات

٤: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.................... ٤٨

٩: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا﴾....... ١٥١، ٢٠٧، ٢٢٢

١٣: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.................... ٢٥٢، ١٦٤، ٢٥١

الذاريات

٥٦: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ ١٨٩

الطور

٢٩: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾........................... ٣٦

النجم

٣ و٤ و٥: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ٨٣

المجادلة

٢٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ ٣٦

٢٢: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾........................... ٢٦٧

الممتحنة

٣: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾......... ٢١٨

٤: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ ... إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ...﴾........................... ٢١٨

٦: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ ٢١٠

٧: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ ٢١٠

٨: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾........................... ٢١٠، ٢١٤

٩: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾........................... ٢١٠، ٢١١، ٢٤٥

١٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾......... ٢١١، ٢١٢

١١: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ ...﴾ .... ٢١١، ٢١٢

١٣: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾............ ٢١٤

الصف

٣: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾............ ٢٩٥

القلم

١ و٢: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾............ ٣٥

الجن

١٨: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾............ ١٩٣

المزّمل

١٩: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾............ ١٩٣

المدثّر

٤٢ و٤٣: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾............ ٢٢٨

الإنسان

٣: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾............ ١٩٣

البلد

١٠: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾............ ١٩٣

الضّحى

١ و٢ و٣: ﴿وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾............ ٣٥

العاديات

٢ و٣: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾............ ٢١٩

فهرس الروايات والأحاديث الشريفة

«أ»

«أترون أني أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً» ١٩

«اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم» ١١٨

«اذهبوا فأنتم الطلقاء» ٤٤

«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» ١٨٦

«اطلبوا العلم ولو بالصين» ١٨٦

«ألا حرّ يدع هذه اللماظة» ١٢٠

«الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» .... ١٣٥، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٥٠

«الاقتصاد هو الكسب كله» ١٧١

«الإمام عالم لا يجهل... مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة» ١٤

«الإمام يقضي عن المؤمنين الديون» ٢٠٠

«أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟» ٤٥

«أنه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو». ٢٥٠

«إنّ الحسين عليه السلام قتل وعليه دين، وإنّ علي بن الحسين عليه السلام باع ضيعة له بثلاثمائة ألف ليقضي دين الحسين عليه السلام وعدات كانت عليه» ٧٣

«إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد إلا

بيّنه للناس، حتى لايستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن» ١٦

«إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد أمر ملك الجبال» ٦١

«إنّ الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي، ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يطغي الغني غناه» ١٠٢

«إنّ الله جميل يحب الجمال» ٩٨

«إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مُتع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك».. ١٧٦

«إنّ الله عزّ وجل لما خلق الجنّة».. ٢٥٦

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء» ٦٣

«إن الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه»........................... ١٦

«إن الناس مسلطون على أموالهم»... ١٩٤

«إن رسول الله ﷺ لم يورث درهماً ولا ديناراً، ولا عبداً ولا وليدة، ولا شاة ولا بعيراً، ولقد قبض ﷺ وإن درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة» ٦٨

«إنّ زينب بنت رسول الله ﷺ أجارت العاص بن الربيع، فأمضاه رسول الله ﷺ»........ ٢٢٥

«إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام نظر إلى فقير انخرق كمّ ثوبه، فخرق كمّ قميصه وألقاه إليه» ٩٠

«إنّ علياً ضَمّنَ خَتّاناً قطع حشفة غلام» ٢٩

«إنّ علياً ضَمّنَ خَتّانة ختنت جارية فنزفت الدم فماتت»................................. ٣٠

«إنّ علياً عليه السلام أجاز أمان عبد مملوك لأهل حصن من الحصون».................... ٢٢٥

«إنّ في القرآن آية تجمع الطب كله».. ١٧٩

«إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» ٥١

«إنّ مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه»....... ٣٠٣

«إنّ هدايا العمّال غلول» ١٠٣

«أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب» ٣٨

«أنا دار الحكمة وعلي بابها» ٨٦
«أنا عبد من عبيد محمد» ١٠١
«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها» .... ٨٦، ١٢٣
«أنتم مهاجرون حيث كنتم، فارجعوا إلى أموالكم» ٤٧
«إنه قضى في رجل استسقى قوماً فلم يسقوه وتركوه حتى مات عطشاً بينهم وهم يجدون الماء، فضمّنهم ديته» ٢٩
«إنّه لحقيق أن لا يقيم يوماً» ١٣٣
«إنها كانت تأتينا في زمن خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان» ٥٨
«إني أذنت لهما مع علمي بما انطويا عليه من الغدر، فاستظهرت بالله عليهما، وإنّ الله سيردّ كيدهما، ويظفرني بهما» ١٣٩
«إني بريء من كل مسلم نزل مع مشرك في دار الحرب» ٢٤٦
«إني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك» ١١٥
«إني لم أُبعث لعّاناً، ولكنـي بعثت داعياً ورحمة» ٤١
«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» ٤١
«إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور» ٢٤٢
«أيها الناس إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإنّ الناس كلهم أحرار» ١٢٠
«أيها الناس: من قال لا إله إلا الله فهو آمن» ٤٤

«ب»

«بالعدل قامت السماوات والأرض» ٢٤١
«بدء الشعر بملك وختم بملك» ٣١٢
«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولايشرك به شيئاً» ٦١

«ت»

«تناكحوا تناسلوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط» ٢١٤

«ث»

«ثم فوض إلى النبي ﷺ أمر الدين والأمة ليسوس عباده»................ ١٤

«ح»

«الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته» ٩٧

«خ»

«خير السياسات العدل».. ١٥
«خير نسائكم أصبحهن وجهاً، وأقلهن مهراً» ٢١٥

«د»

«دخلت بلادكم بأشمالي هذه، ورحلتي وراحلتي ها هي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنني من الخائنين»... ٩١
«دعوه، فإن قتلني فالحكم فيه لولي الدم».. ٢٠
«الدين همّ بالليل وذل بالنهار» ٦٩

«ر»

«رحم الله امرئً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» ٢٢٦
«ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب» ٢١٥

«س»

«ساسة العباد، وأركان البلاد» .... ١١، ٣٠٠
«سلوني فإني لا أُسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت فيه، لايقولها بعدي إلا جاهل مدع، أو كذّاب مفتر».. ١٣٠

«ش»

«شرار موتاكم العزاب» ٢١٥

«ص»

«صعد رسول الله ﷺ المنبر، فتغيّرت وجنّتاه والتمع لونه، ثم أقبل بوجهه فقال: يا معشر المسلمين! إني إنما بعثت أنا والساعة كهاتين» ٢٠٢

«صعد النبي ﷺ المنبر، فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فصار بذلك أولى بهم من آبائهم وأمهاتهم، وصار أولى بهم منهم بأنفسهم، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده، جرى ذلك له» .... ٢٠١، ١٩٣

«ط»

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» ١٨٧

«ع»

«العالم بزمانه لا تهجم عليه النوائب» ٣٢٦
«العلماء ورثة الأنبياء» ١٨٦
«علي بن أبي طالب ينجز عداتي ويقضي دَيني» ٧٠
«علي محك المؤمنين» ٨٥
«علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار». .... ٨٥، ١٠٤، ١٢٢
«علي مع القرآن والقرآن مع علي» ٨٥
«علي مني بمنزلة رأسي من بدني» ٨٦
«علي مني وأنا منه ولا يقضي عني ديني إلا أنا أو علي» ٧٠
«علي وارث علمي وحكمتي» ١٢٣

«ف»

«فمن ترك مالاً فلورثته ومن ترك ديناً فعليّ»........................ ١٩٨
«فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»... ٦٣
«فارفع إليّ حسابك واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس»............. ٢٧١
«فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة»........................ ١٤
«فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه».......... ٢٥٩
«فإنهم صنفان إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق»................. ١١٩
«فتعجّل الخير ما استطعت».. ٩٧
«فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك... وأجمعهم علماً»..... ١٥

«ق»

«القاسم بالسوية، والعادل في الرعية».................................... ١٤٤
«قبض عليعليه السلام، وعليه دين ثمانمائة ألف درهم»......................... ٧١
«قد أجرنا من أجرتِ يا أم هاني، إنما يجير على المسلمين أدناهم»............. ٢٢٥
«قد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه دين، وقد مات عليعليه السلام وعليه دين، ومات الحسنعليه السلام
وعليه دين، وقتل الحسينعليه السلام وعليه دين»................................ ٧٣
قضاءً مقضياً، وعهداً معهوداً».. ١٢٩

«ك»

«كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم»..................................... ١٤
«كان علي بن أبي طالب... ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل
خبز الشعير، والزيت والخل».. ٩٢
«كان عليعليه السلام إذا أخذ أسيراً في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا
يعين عليه».. ١٥٤
«كان عليعليه السلام أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله صلى الله عليه وآله. كان يأكل الخبز والزيت

ويطعم الناس الخبز واللحم. وكانﷺ يستقي ويحتطب» ١٠١
«كانت صلاة رسول الله ﷺ أخف صلاة في تمام»........................ ٦١
«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ٣٢٥
«كلكم لآدم وآدم من تراب»........................ ١٦٤
«كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلسنا حلقة» ٧٨
«كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه»...... ٣٧

«ل»

«اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك» ١١٣
«اللهم بارك في النخع» ٥٤
«لا بل والله قتلا، ضربة على هذا» ١٢٩
«لا تقاتل الكفّار إلا بعد الدعاء»........................ ٢٤٨
«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً» .... ١٢٠، ١٨٩، ١٩٤
«لا والله، ما تريدان العمرة، ولكن تريدان البصرة» ١٣٩
«لا هو عند أهله»........................ ١٦
«لا يدخل الجنة... عشار، ولا قاطع رحم...». ٢٥٦
«لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا أن يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم» .... ٢٢٧، ٢٤٢
«لا ينزل دار الحرب إلا فاسق برئت منه الذمّة» ٢٤٦
«لأسوين بين الأسود والأحمر» ١٦٥
«لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها: فأوّلهن: نقض الحكم» ٢٦١
«لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً» ٣٧

«لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه» ٢٤٩
وأيم الله لئن يهدي الله ـ عزّ وجل ـ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاه يا علي» ٢٤٩
«لما قتل علي عليه السلام أصحاب النهر جاء بما كان في عسكرهم فمن كان يعرف شيئاً أخذه، حتى بقيت قدر ثم رأيتها بعد قد أخذت» ١٥٥
«لو أنّ قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الأمان، فقالوا: لا، فظنوا أنّهم قالوا نعم، فنزلوا إليهم كانوا آمنين» ٢٢٥
«لولا أن أشق على أمتي...» ٦٢
«لولا قومك حديثو عهد بشرك...» ٦٢
«لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة» ٢٤١
«ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا» ١٨٧
«ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى» ١٦٤

«م»

«من سعادة المرء أن لا تطمث ابنته في بيته» ٢١٥
«المؤمنون تتكافأ دمائهم يسعى بذمتهم أدناهم» ٢٢٥
«المحيا محياكم، والممات مماتكم» ٥٩
«ما آمن بي من أمسى شبعاناً وأمسى جاره جائعاً» ١٧٥
«ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً، إن أدناهم منزلة ليأكل البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات» ٩٢
«ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً» ١٦٠
«ما سبقه أحد من قريش ولا من الناس بمنقبة وأثنى عليه» ١٤٥
«ما كان لنا إلا إهاب كبش أبيت مع فاطمة بالليل، ونعلف عليها الناضح بالنهار» ٨٩

«ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب» ٣٠٨
«ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنّة» ١٥
«ما منا إلا مقتول أو مسموم» ٣٠٧
«مات الحسن عليه السلام وعليه دَين، وقتل الحسين عليه السلام وعليه دين» ٧٢
«مات رسول الله ﷺ وعليه دين» ٧٠
«مثلي ومثل هذا، مثل رجل لـه ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس، فلم يزدهـا إلا نفـوراً ... وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار» ٦٠
«مجاري الأمور بيد العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه» ٢٥٩
«مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانة» ٥٣
«مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» ٦١
«من أحاط حائطاً على أرض، فهي له» ٢٠٣
«من أحيا أرضا ميتة فهي له، قضاءً من الله ورسوله» ٢٠٣
«من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق» ٢٠٣
«من ترك ديناً، أو ضياعاً فعلي، ومن ترك مالاً فلورثته» ١٩٩
«من تطبب أو تبيطر فليأخذ البراءة من وليه، وإلا فهو لـه ضامن» ٢٩
«من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّنـي فقد سب الله عزّ وجلّ» ١٣٣
«من سبق إلى ما لا يسبقه إليه المسلم، هو أحق به» ٢٠٣
«مهلاً يا خالد لا تسبّها، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» ٢٥٧

«ن»

«الناس مسلّطون على أموالهم وأنفسهم» ١٩٤
«الناس موتى وأهل العلم أحياء» ١٨٧
«نعم الحي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد» ٥٤
«نعم القوم عبد القيس... اللهم اغفر لعبد القيس» ٥١

«نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة» ١٥
«نعم، ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الامام، فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين» ٢٠١
«نهى رسول الله ﷺ أن يلقى السم في بلاد المشركين» ٢٢٢

«و»

«وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة» ٦٣
«واعلم أنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه.. يسد فورة جوعه بقرصيه.. لا يطعم الفلذة في حوله إلا في سنة أضحيته» ٩٣
«والله إن المقام معك لذل، وإن تركك لكفر» ١١٢
«والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها» ٣٧
«والله ما أرزأكم من أموالكم شيئاً وإنّ هذا لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها» ٩١
«والله، لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم» ٨٨
«والله، هو حلال الدم» ٢٣٣
«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجّتي عليكم» ٢٦٠
«وإن أخذ ـ يعني الوالي ـ هدية كان غلولا» ١٠٣
«وضع أمر أخيك على أحسنه» ١١٦
«ولا تمثلوا بقتيل» ٢٤٢
«ولقد ولي علي عليه السلام خمس سنين فما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعة، ولا أورث بيضاء، ولا حمراء» ٨٩
«وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته» ٦٣
«وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بيّنه، فمن زعم أنّ الله لم يكمل دينه فقد ردّ» ... ١٦
«ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمّة؟» ١٥
«ومن كان له على رجل مال أخذه ولم ينفقه في إسراف أو في معصية، فعسر عليه

أن يقضيه، فعلى من لـه المال أن ينظره حتى يرزقه الله فيقضيه ... ومن تـرك دينـاً أو ضياعاً، فعليّ وإليّ وعلى الإمام ما ضمنه الرسول‌ﷺ»........................ ٢٠٢
«ويقتل من سبّ الإمام كما يقتل من سبّ النبي»........................ ١٣٣
«وإنّ الناس ما افتقروا، ولا احتاجوا، ولا جاعوا، ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء» ١٧٦
«ولأن أعول أهل بيت من المسلمين، أُشبع جوعتهم... أحب إليّ من أن أحج» ... ١٧٦
«ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن» ٤٤
«ومن ألقى سلاحه فهو آمن»........................ ٤٤
«ومن دخل الكعبة فهو آمن» ٤٤
«ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ٤٤
«ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن»........................ ٤٤

«هـ»

«هدايا العمّال سحت»........................ ١٠٣
«هدية الأمراء غلول» ١٠٣
«همّ علي بن الحسين‌عليه السلام بدين أبيه حتى قضاه الله»........................ ٥٣
«هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته»........................ ١٠٢

«ي»

يا علي إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي» ٢٦
«يا أهل البصرة ما تنقمون مني، إنّ هذا لمن غزل أهلي»........................ ٩٠
«يا أيها الناس، والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلا وقد أمـرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلا وقد نهيتكم عنه» ١٥
«يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمـر ما فعلت» ٣٥
«يا عمّار بن ياسر: إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره»........... ٨٥

«يا نوف أقبل وصيتـي: لا تكونن نقيباً ولا عريفاً ولا عشّاراً..»..................... ٢٥٦
«يا نوف إياك أن تكون عشّاراً».. ٢٥٦
«يسعى بذمّتهم أدناهم، وخصوص خبر مسعدة في العبد»............................ ٢٢٤
«يقتدي به المؤمنون، ويخشع لـه القلب، وتذل به النفس، ويقصد به المبالغ»........ ٨٩
«اليوم يوم المرحمة، اليوم تصان الحرمة».. ١٩١

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

«أ»

الإختصاص

للإمام المحقّق محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، الملقّب بـ «المفيد» / ت٤١٣ هـ / ط. جماعة المدرّسين ـ قمّ.

الأدب المفرد

لمحمد بن اسماعيل البخاري / ت ٢٥٦ هـ / ط. مؤسّسة الكتب الثقافية ـ بيروت.

الإرشاد

للإمام المحقّق محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، الملقّب بـ «المفيد» / ت٤١٣ هـ / ط. دار المفيد ـ بيروت.

الإستيعاب

للفقيه أبي عمر يوسف بن محمد بن عبد البر الأندلسي / ت ٤٦٣ هـ / ط. دار الجيل ـ بيروت.

أُسد الغابة

لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، المعروف بـ «ابن الأثير» / ت ٦٣٠ هـ / ط. انتشارات اسماعيليان ـ طهران.

الإصلاح الزراعي

للمؤلّف / ط. دار العلقمي ـ كربلاء المقدّسة.

الأعلام

لخير الدين الزركلي / ت ١٤١٠ هـ / ط. دار العلم للملايين ـ بيروت.

إعلام الورى

للشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي / ت ٥٤٨ هـ / ط. مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ.

الأمالي

للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى القمّي، المعروف بـ«الصدوق» / ت ٣٨١ هـ / ط. مؤسّسة البعثة ـ طهران.

آمل الآمل

للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي / ١١٠٤ هـ / ط. الآداب ـ النجف الأشرف.

الأنساب

لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني / ت ٥٦٢ هـ / ط. دار الجنان ـ بيروت.

أنساب الأشراف

لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري / ت ٢٧٩ هـ / ط . مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

«ب»

بحار الأنوار

للعلاّمة محمّد باقر بن محمّد تقي بن المقصود علي، الملقّب بـ «الشيخ المجلسي» / ت ١١١١ هـ / ط. مؤسّسة الوفاء ـ بيروت.

البداية والنهاية

لأبي الفداء اسماعيل بن كثير / ت ٧٧٤ هـ / ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

بصائر الدرجات

لمحمد بن الحسن بن فروخ الصّفار / ت ٢٩٠ هـ / ط مؤسّسة الأعلمي ـ طهران.

«ت»

تاج العروس

لمحمد مرتضى الزبيدي / ت ١٢٠٥ هـ / ط. مكتبة الحياة ـ بيروت.

تاريخ بغداد

لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي / ت ٤٦٣ هـ / ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

تاريخ التمدّن الإسلامي

لجرجي زيدان / معاصر / ط. الهلال ـ القاهرة.

تاريخ دمشق

لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بـ «ابن عساكر» / ت ٥٧١ هـ / ط. دار الفكر ـ بيروت.

تاريخ الطبري

لأبي جعفر محمّد بن جرير / ت ٣١٠ هـ / ط. مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

تبصرة المتعلّمين

للإمام جمال الدين الحسن بن يوسف الحلّي / ت ٧٢٦ هـ / ط. أحمدي ـ طهران.

تحفة الآحوذي

للحافظ أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن المباركفوري / ت ١٣٥٣ هـ / ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

تفسير جوامع الجامع

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي / ت ٥٦٠ هـ / ط. مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قمّ.

تفسير العيّاشي

للمحدّث أبي النصر محمّد بن مسعود بن محمّد بن عيّاش السلمي، المعروف بـ «العيّاشي» / ت ٣٢٠ هـ / ط . المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران.

تفسير القرطبي

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الطبري / ت ٦٧١ هـ / ط. مؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت.

تفسير القمّي

لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم أبي إسحاق القمّي / ت ٣٢٩ هـ / ط. مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

تفسير مجمع البيان

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي / ت ٥٦٠ هـ / ط. مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

تفسير نورالثقلين

للعلاّمة الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي / ت ١١١٢ هـ / ط. دار الكتب العلمية ـ قمّ.

تنبيه الخواطر ونزهة الناظر، المعروف بـ «مجموعة ورّام»

الأمير أبي الحسين ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري / ت ٦٠٥ هـ / ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

تهذيب الأحكام

للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي / ت ٤٦٠ هـ / ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

توحيد الصدوق

للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت ٣٨١ هـ / ط. مكتبة الصدوق ـ طهران.

«ث»

ثواب الأعمال

للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت ٣٨١ هـ / ط. مكتبة الصدوق ـ طهران.

«ج»

جامع الشتات

للمحقق الميرزا أبي القاسم بن الحسن الجيلاني القمّي / ت ١٢٣١ هـ / ط. منشورات شركة الرضوان ـ طهران.

الجامع الصغير

للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / ت ٩١١ هـ / ط. دار الفكر ـ بيروت.

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام

للشيخ محمّد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبدالرحيم النجفي / ت ١٢٦٦ هـ / ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

«ح»

حلية الأبرار

للسيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبدالجواد الحسيني البحراني / ت ١١٠٧ هـ / ط. مؤسّسة المعارف الإسلامية ـ قمّ.

حلية الأولياء

لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني / ت ٤٣٠ هـ / ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

«خ»

خاتمة المستدرك

للمحقق الميرزا الشيخ حسين النوري / ت ١٣٢٠ هـ / ط. مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ.

الخرائج والجرائح

للمفسر قطب الدين الراوندي / ت ٥٧٣ هـ / ط. مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قمّ.

خصائص الأئمة

لأبى الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي / ت ٤٠٦ هـ / ط. مجمع البحوث الإسلامية ـ مشهد المقدّسة.

خصائص أمير المؤمنين

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسّائي / ت ٣٠٣ هـ / ط. مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران.

الخصال

للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت ٣٨١ هـ / ط. جماعة المدرّسين ـ قمّ.

«د»

دعائم الإسلام

لأبي حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي / ت ٣٦٣ هـ / ط. دار المعارف ـ بيروت.

دلائل النبوّة

لإسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الإصفهاني / ت ٥٣٥ هـ / ط. دار طيبة ـ الرياض.

الديباج على صحيح مسلم

للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / ت ٩١١ هـ / ط. دار ابن عفّان ـ المملكة السعودية.

ديوان الإمام علي عليه السلام

لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ... ط. مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

«ذ»

الذريعة إلى تصانيف الشيعة

للعلاّمة آقا بزرك الطهراني / ت ١٣٨٩ هـ / ط. المكتبة الإسلامية ـ طهران.

«ر»

ربع قرن مع العلامة الأميني

للحاج حسين الشاكري / معاصر / ط. المؤلّف.

رجال ابن داود

لتقي الدين بن داوود الحلّي / ت ٧٠٧ هـ / ط. المطبعة الحيدرية ـ النجف.

رجال الكشي

لأبي عمرو محمّد بن عمر بن عبدالعزيز / ت حدود ٣٥٠ هـ / ط. مؤسّسة النشر في جامعة مشهد ـ مشهد المقدّسة.

روضات الجنّات

للسيّد مير محمّد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم بن حسين بن أبي القاسم جعفر، المشتهر بـ «المير الكبير» / ت ١٢٢٦ هـ / ط. مكتبة اسماعيليان ـ قمّ.

رياض العلماء

للميرزا عبد الله الأفندي / من أعلام القرن الثاني عشر للهجرة / ط. مطبعة الخيام ـ قمّ.

«س»

سفينة البحار

للمحدّث الشيخ عباس القمّي / ت ١٣٥٩ هـ / ط. مكتبة سنائي ـ طهران.

سنن ابن ماجة

للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني / ت ٢٧٥ هـ / ط. دار الفكر ـ بيروت.

سنن الترمذي

لمحمد بن عيسى الترمذي / ت ٢٧٩ هـ / ط. دار الفكر ـ بيروت.

سنن النبي صلى الله عليه وآله

للسيّد محمد حسين الطباطبائي / معاصر / ط. مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قمّ.

سنن النسائي

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسّائي/ ت ٣٠٣ هـ / ط. دار الفكر ـ بيروت.

السنن الكبرى

لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي / ت ٤٥٨ هـ / ط. دار الفكر ـ بيروت.

السنن الكبرى

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسّائي/ ت ٣٠٣ هـ / ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

سير أعلام النبلاء

للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي / ت ٧٤٨ هـ / ط. مؤسّسة الرسالة ـ بيروت.

سيرة النبيﷺ

لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري / ت ٢١٨ هـ / ط. مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ـ مصر.

السيرة النبوية

لأبي الفداء اسماعيل بن كثير / ت ٧٧٤ هـ / ط. دار المعرفة ـ بيروت.

«ش»

شرح نهج البلاغة

للشيخ عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن أبي الحديد / ت ٦٥٥ هـ / ط. دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

الشفا بتعريف حقوق المصطفىﷺ

للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي / ت ٥٤٤ هـ / ط. دار الفكر ـ بيروت.

شهداء الفضيلة

للشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني / ت ١٣٩٠ هـ / ط. دار الشهاب ـ قمّ.

شيخ المضيرة

لمحمود أبو ريّة / معاصر / ط. دار المعارف ـ مصر.

الشيعة وفنون الإسلام

للسيّد حسن الصدر / ت ١٣٧٥ هـ / ط. مطبعة العرفان ـ صيدا.

«ص»

الصحاح

لإسماعيل بن حمّاد الجوهري / ت ٣٩٣ هـ / ط. دار العلم للملايين ـ بيروت.

الصراط المستقيم

لزين الدين أبي محمد علي بن يونس النباطي / ت ٨٧٧ هـ / ط. المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ـ طهران.

«ط»

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف

لعلي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس / ت ٦٦٤ هـ / ط. مطبعة الخيّام ـ قمّ.

«ع»

العدد القويّة

لرضي الدين علي بن يوسف المطهّر الحلّي / من أعلام القرن الثامن الهجري / ط. مطبعة سيّد الشهداء ـ قمّ.

العمدة

للحافظ يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي، المعروف بـ «ابن البطريق» / ت ٦٠٠ هـ / ط. مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قمّ.

عوالي الئالي

للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت ٣٨١ هـ / ط. منشورات الداوري ـ قمّ.

عيون الأثر

لمحمد بن عبد الله بن يحيى بن سيّد الناس / ت ٧٣٤ هـ / ط. مؤسّسة عزّ الدين ـ بيروت.

عيون أخبار الرضا عليه السلام

للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت ٣٨١ هـ / ط. مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

«غ»

الغدير

للشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني / ت ١٣٩٢ هـ / ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت

غرر الحكم ودرر الكلم

لعبد الواحد بن محمد التميمي / ت ٥١٠ هـ / ط. مكتب الإعلام الإسلامي ـ قمّ.

«ف»

فتح الباري في شرح صحيح البخاري

للإمام شهاب الدين بن حجر العسقلاني / ت ٨٥٢ هـ / ط. دار المعرفة ـ بيروت.

الفصول المختارة

للإمام المحقّق محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، الملقّب بـ «المفيد» / ت ٤١٣ هـ / ط. دار المفيد ـ بيروت.

فهرست ابن النديم

لمحمد بن اسحاق، المعروف بـ «أبي يعقوب الوراق» / ت ٤٣٨ هـ / ط. مطبعة الاستقامة ـ القاهرة.

فيض القدير

لمحمد عبد الرؤوف المناوي / ت ١٣٣١ هـ / ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

«ق»

قرب الإسناد

لأبي العباس عبدالله بن جعفر الحميري / ت ٣٠٠ هـ / ط. مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ.

«ك»

الكافي

للشيخ أبي جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني / ت ٣٢٨ هـ / ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

الكامل في التاريخ

لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمّد الشيباني، المعروف بـ «ابن الأثير» / ت ٦٣٠ هـ / ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة

للعلاّمة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي / ت ٦٩٣ هـ / ط. دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت.

الكنى والألقاب

للشيخ المحقّق والمؤرّخ عبّاس القمّي / ت ١٣٥٩ هـ / ط. مطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

كنز العمّال

للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الهندي / ت ٩٧٥ هـ / ط. مؤسّسة الرسالة ـ لبنان.

«ل»

لسان العرب

للعلامة أبي الفضل جمال الدين، المعروف بـ «ابن منظور» / ت ٧١١ هـ / ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

لسان الميزان

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني / ت ٨٥٢ هـ / ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

«م»

مجمع البحرين

للشيخ فخر الدين الطريحي / ت ١٠٨٥ هـ / ط. مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة ـ قمّ.

مجمع الزوائد

للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي / ت ٨٠٧ هـ / ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

المحاسن

أحمد بن محمد الخالد البرقي / ت ٢٧٤ هـ / ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

المحتضر

للشيخ حسن بن سليمان الحلّي / من أعلام القرن التاسع للهجرة / ط. الحيدرية ـ النجف الأشرف.

مختار الصحاح

للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / ت ٧٢١ هـ / ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

المدونة الكبرى

للإمام مالك بن أنس / ت ١٧٩ هـ / ط. السعادة ـ مصر.

مرآة العقول

للعلامة المولى محمد باقر المجلسي / ت ٣٢٨ هـ / ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

مستدرك سفينة البحار

للشيخ علي النمازي الشاهرودي / ت ١٤٠٥ هـ / ط. جامعة المدرسين ـ قمّ.

المستدرك على الصحيحين

لمحمد بن محمد الحاكم النيسابوري / ت ٤٠٥ هـ / ط. دار المعرفة ـ بيروت.

مستدرك الوسائل

للشيخ ميرزا حسين بن محمّد تقي الطبرسي النـوري / ت ١٣٢٠ هـ / ط. مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت.

مسند أحمد

للإمام أحمد بن حنبل / ت٢٤١ هـ / ط. دار صادر ـ بيروت.

معادن الحكمة

لعلـم الهـدى محمـد بـن الفـيض الكاشـاني / ت ١١١٥ هـ / ط. مكتبـة الصدوق ـ طهران.

معاني الأخبار

للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت ٣٨١ هـ / ط. جامعة المدرّسين ـ قمّ.

معجم البلدان

للشيخ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي / ت ٦٢٦ هـ / ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

معجم رجال الحديث

للسيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي / ت ١٤١٣ هـ / ط. طبعة النجف الأشرف.

معجم المطبوعات العربية

ليوسف إليان سركيس / ت ١٣٥١ هـ / ط. بهمن ـ طهران.

المقنعة

للإمام المحقّق محمّد بن النعمان العكبري البغدادي الملقّب بـ «المفيـد» / ت٤١٣ هـ / ط. مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قمّ.

مكارم الأخلاق

للشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي / ت ٥٤٨ هـ / ط. منشورات الشريف الرضي ـ قمّ.

المكاسب

للشيخ العلاّمة الأنصاري مرتضى ابن المولى محمّد أمين الدزفولي / ت ١٢٨١ هـ / ط. مجمع الفكر الإسلامي ـ قمّ.

الملاحم والفتن

للسيّد رضي الله أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس / ت ٦٤٤ هـ / ط. منشورات الرضي ـ قمّ.

من لا يحضره الفقيه

للشيخ أبي جعفر الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت ٣٨١ هـ / ط. جامعة المدرّسين ـ قمّ.

مناقب آل أبي طالب

للشيخ مشير الدين أبي جعفر محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني / ت ٥٨٨ هـ / ط. المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

موسوعة الفقه

للسيّد محمد الحسيني الشيرازي / ت ١٤٢٢ هـ / ط. دار العلوم ـ بيروت.

ميزان الإعتدال

للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي / ت ٧٤٨ هـ / ط. دار المعرفة ـ بيروت.

«ن»

نظم درر السمطين

لجمال الدين محمد بن يوسف الزرندي الحنفي / ت ٧٥٠ هـ / ط. من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ إصبهان.

نقد الرجال

للسيّد مصطفى بن الحسين التفرشي / من أعلام القرن الحادي عشر للهجرة / ط. مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ.

«هـ»

هدية العارفين

لإسماعيل باشا البغدادي / ت ١٣٣٩ هـ / ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

«و»

وسائل الشيعة

للعلاّمة الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي / ت ١١٠٤ هـ / ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

«ي»

ينابيع المودّة

للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي / ت ١٢٩٤ هـ / ط. دار الأُسوة ـ قمّ.

فهرس المحتويات

المقدمة ٥
من هو السياسي ٦
عملنا في الكتاب: ٨
مقدمة المؤلف ٩

الفصل الأوّل / ١٣

تمهيد ١٣
نصوص الشريعة: ١٤
تباين السياستين: ١٧
أوّلاَ: من السياسة الإسلامية ١٨
الرئيس لا يقتل قاتله: ١٨
الرئيس الأعلى يدع المهدد له: ٢٠
النبي لا يقتل سلفاً رؤوس العناد ٢١
عفوه عمّن فر من الزحف ٢٣
وثمن لروعة النساء ٢٤
دية الحمل بترويع الحامل ٢٨
الدية للموت عطشاً ٢٩

والطبيب ضامن إن أخطأ ٢٩
ثانياً: ومن السياسة المعاصرة ٣٠
الفرق الشاسع ٣٢

الفصل الثاني / ٣٣

السياسة الحكيمة لرسول الله.......................... ٣٣
سياسة الاستقامة والصمود ٣٥
سياسة الشجاعة ٣٧
سياسة العفو العظيم.......................... ٣٩
مع غورث بن الحارث.......................... ٤٠
اللهم اهد قومي ٤٠
عفوه عن الأعرابي.......................... ٤١
فأنتم الطلقاء.......................... ٤٢
عفوه عن أبي سفيان.......................... ٤٥
وعن اليهودية ٤٥
سياسة إكرام الوفود.......................... ٤٦
وفد مزينة ٤٧
وفد جهينة.......................... ٤٧
وفد أشجع ٤٨
وفد ثعلبة ٤٨
وفد تميم ٤٨
وفد فزارة ٤٨
وفد محارب.......................... ٤٩
وفد كلاب.......................... ٤٩

وفد عقيل بن كعب ٤٩
وفد بني البكاء ٤٩
وفد سليم ٤٩
وفد عامر بن صعصعة ٥٠
وفد عبد القيس ٥١
وفد تغلب ٥١
وفد بني حنيفة ٥٢
وفد طيء ٥٢
وفد تجيب ٥٢
وفد سعد هذيم ٥٢
وفد بلى ٥٣
وفد بهراء من اليمن ٥٣
وفد الأزد ٥٣
وفد همدان ٥٣
وفد غامد ٥٤
وفد النخع ٥٤
وفد الرهاويين ٥٤
وفد حضرموت ٥٥
وفد كندة ٥٥
وفد أسلم ٥٥
وفد جيشان ٥٦
سياسة الوفاء ٥٧
انتظار ثلاث ليال ٥٧
صديقة خديجة ٥٨

وفد النجاشي ٥٨
مع أبويه من الرضاعة ٥٨
عود مع الأنصار ٥٩
سياسة الرحمة الشاملة ٦٠
مع الأعرابي ٦٠
رحمة بقومه ٦١
تخفيف الصلاة ٦١
قصر الموعظة ٦٢
لولا أن أشق ٦٢
وإسعاف المرأة ٦٢
الرحمة بالحيوانات ٦٣
سياسة العطاء للصديق والعدو ٦٤
درعه مرهونة ٦٨
مات وهو مديون ٦٩
وعلي قتل وهو مديون ٧١
والحسن والحسين مديونان ٧٢
سياسة التلاحم مع الأمة للتربية ٧٣
١. يكرر ثلاثاً ٧٤
٢. يخوض فيما يحدّثون ٧٥
يكرم بوسادته ٧٥
رمى ثوبه إليه ٧٦
يجلس على التراب ٧٦
لا يعرف في مجلسه ٧٦
لست بملك ٧٧

ويركب الحمار ٧٧
يبدأ بالسلام ٧٧
ويعفو عن الأعرابي ٧٧
مجلسه حلقة ٧٨
وإنك لعلى خلق عظيم ٧٩

الفصل الثالث / ٨٥

السياسة الرشيدة لأمير المؤمنين عليه السلام ٨٥
سياسة الحياة الشخصية ٨٧
لا للدنيا وما فيها ٨٨
لم يضع لبنة على لبنة ٨٨
إلا إهاب كبش ٨٩
يقتدي به المؤمنون ٨٩
خرق كمّه ٩٠
لم يغير ثيابه ٩٠
طعام أمير المؤمنين ٩١
لا يأكل اللحم في السنة إلا مرة ٩٣
صوت القلي في بيته ٩٤
لا.. لاحتكار أموال الأمّة ٩٥
لا يأخذ لنفسه ٩٧
البساطة في الحياة ٩٧
نسبة الإرث إلى الدين ٩٩
يبيع سيفه للإزار ٩٩
ويقسم هداياه على المسلمين ٩٩
يستقي ويحتطب ١٠١

لا.. للهدية ١٠٢
سياسة معاملة الأقرباء ١٠٥
مع أخيه عقيل ١٠٥
ومع عقيل أيضاً ١٠٦
وكذلك مع أخيه عقيل ١٠٧
ومع أخته ١٠٩
ومع ابنته ١١٠
ومع زوجته ١١١
ومع صهره ١١١
سياسة علي مع موظفيه ١١٢
عزل الوالي فوراً ١١٣
التعليم العملي للوالي ١١٤
العزل لرفع الصوت ١١٥
أرفع إليّ حسابك ١١٥
لئن خنت ١١٧
مسؤولية البقاع والبهائم ١١٨
الحرية في حكومة أمير المؤمنين ١١٩
ابن الكوا ١٢٠
أبو هريرة ١٢٢
عطاء الخوارج ١٢٠
بايعوا ضباً ١٢٥
وساطة في التزويج ١٢٧
صلاة التراويح ١٢٨
اتق الله ١٢٨

سؤال بتعنت ١٢٩
العفو عن السب ١٣١
تحليل الموقف ١٣٢
الأهم والمهم في الإسلام ١٣٤
من أصول سياسة الإسلام ١٣٥
تخلّفوا عن البيعة ١٣٦
مع علمي بغدرهما ١٣٨
مخالفة شريح ١٣٩
هل من كاره ١٣٩
موقف الحسن البصري ١٤٠
موقف الأشعث ١٤١
الدية لمقتول المعارضة ١٤٢
المساواة في سياسة أمير المؤمنين ١٤٣
يبدأ بنفسه ١٤٤
سهل وغلامه واحد ١٤٤
أخته ومولاتها عطاء واحداً ١٤٦
ولم يفضل الأشراف ١٤٦
مناقشة لطلحة والزبير ١٤٧
عفو علي ١٤٨
العفو عن مروان ١٤٩
وعن عائشة أيضاً ١٥١
وعبد الله بن الزبير ١٥١
عفوه عن موسى بن طلحة ١٥٢
العفو عن صاحب التآمر ١٥٣

العفو عن أسرى صفين ١٥٤
رد أموال الخوارج إليهم ١٥٥
أمر بالضرب ثم عفا ١٥٥
أمير المؤمنين بين الناس دائماً........................ ١٥٦
الشفاعة إلى القصّاب ١٥٧
والشفاعة إلى التمّار........................ ١٥٧
إصلاح بين زوجين........................ ١٥٨
لأعين مظلوماً........................ ١٥٩
من هو أضعف مني ١٦٠
المنع عن المشي خلفه........................ ١٦٠
التطبيق الدقيق للإسلام........................ ١٦١
إطفاء السراج ١٦٢
خشن في ذات الله ١٦٢
كسر الذهب ١٦٣
لا.. للقوميات ١٦٤
العربية والعجمية سواء ١٦٤
أخته والعجمية سواء........................ ١٦٥
سياسة علي في مختلف الأبعاد ١٦٥
حفظ الوحدة الإسلامية........................ ١٦٦
منطق العدل........................ ١٦٦
تصحيح خط المسلمين ١٦٧
بُعد النظر ١٦٨
لا أولي معاوية ليلة........................ ١٦٩

الفصل الرابع / ١٧١

سياسة الإسلام في المجال الاقتصادي ١٧١
ولا فقير واحد ١٧١
لا فقر في أفريقيا ١٧٢
ولعل بالحجاز ١٧٤
وفي السويد ١٧٥
نصوص الشريعة ١٧٥
الكرامة الاقتصادية ١٧٦
تجارة الموالي ١٧٧
سياسة الإسلام في المجال الصحي ١٧٩
مقارنة ١٨١
تقليل الدم ١٨٢
كشف الخطأ ١٨٣
سياسة الإسلام في مجال الثقافة ١٨٤
منزلة العلم في القرآن ١٨٤
منزلة العلم في السنّة ١٨٥
نماذج ١٨٦
معرفة الصناعات ١٨٨
سياسة الحرّية في الإسلام ١٨٩
حريّة الفكر ١٨٩
في فتح مكة ١٩٠
فتح البلاد ١٩٢
الكفّار في مكّة والمدينة ١٩٢

آيات قرآنية ١٩٢
حرّيات أخرى ١٩٣
سياسة الإسلام في مكافحة الجرائم ١٩٥
العلماء لا يعرفون عقوبة السارق ١٩٦
سياسة الإسلام في الضمان الاجتماعي ١٩٨
زخم النصوص ١٩٨
في حديث رسول الله ١٩٨
وفي أحاديث الأئمة الطاهرين ٢٠٠
سياسة الإسلام في العمران والزراعة ٢٠٣
العمارات الكثيرة ٢٠٤
والزراعات الوافرة ٢٠٥
سياسة الإسلام في العلاقات الدولية ٢٠٧
الإسلام قبل الأرحام ٢٠٩
التأسي بصمود إبراهيم ٢١٠
المؤمنات المهاجرات ٢١١
لا.. لكل أنواع الإستعمار ٢١٤
سياسة الإسلام في تكثير النفوس ٢١٤
سياسة الإسلام في السلم والحرب ٢١٨
لا.. للغدر ٢١٩
تنظيم حربي رائع ٢٢٠
لا.. للنابالم ٢٢٢
لا.. لقتل النساء ٢٢٢
يسعى بذمتهم أدناهم ٢٢٥
المؤمنون سواسية ٢٢٦

المسلمون تتكافئ دماؤهم ٢٢٦
لا.. لكل فساد ٢٢٧
وصايا إمام المسلمين ٢٢٨
تنسيق عسكري دقيق ٢٣٠
إعداد نفسي وعسكري ٢٣١
لا.. لتصفية الحسابات في الحرب ٢٣٢
التقسيم بالسوية ٢٣٣
الأولوية للإسلام ٢٣٥
احترام الرسول ٢٣٥
الشعار في الإسلام ٢٣٦
إحترام الكرام ٢٣٧
الإسلام دين الحب ٢٣٨

الفصل الخامس/ ٢٣٩

من أسس الخارجية الإسلامية ٢٣٩
قبول إسلام الناس فوراً ٢٣٩
تعميم العدل ٢٤٠
أ. لا.. للغدر ٢٤١
بـ لا.. للتمثيل ٢٤٢
جـ لا.. لقتل عشرة ٢٤٣
إنقاذ المستضعفين ٢٤٤
لا لإندلاع الحرب ٢٤٤
الإسلام يعلو ٢٤٥
أ. وجوب الهجرة ٢٤٦
بـ الدعاء إلى الإسلام ٢٤٧

جـ حرمة الفرار من الحرب ٢٤٨
د. العبد المسلم عند الكافر ٢٤٩
هـ لا يباع القرآن للكافر........................ ٢٥٠
وحدة المسلمين........................ ٢٥٠
لا.. للجنسية والجواز........................ ٢٥٣
لا.. للحدود الأرضية ٢٥٤
لا.. للجمارك والمكوس ٢٥٥
لا.. للثالوث........................ ٢٥٧
نعم.. للرباط الإسلامي........................ ٢٥٨
ولاية الفقهاء العدول ٢٥٨

الفصل السادس / ٢٦١

سياسة الإسلام في الحكومة العليا ٢٦١
الحاكم الأعلى: الإمام........................ ٢٦١
من مسؤولية الحاكم ٢٦١
محاسبة الولاة........................ ٢٦٢
علي يصف سلطته الشرعية ٢٦٣
فدك ٢٦٣
لا.. للترف ٢٦٤
لا.. للأنانية ٢٦٥
الشجرة البرية أصلب عوداً........................ ٢٦٥
كل الاعتماد على الله تعالى ٢٦٦
رياضة النفس........................ ٢٦٧
مواساة أضعف الرعية........................ ٢٦٨

العمال والولاة ٢٦٩

الفصل السابع / ٢٧١

من رسائل أمير المؤمنين في سياسة البلاد ٢٧١
لا.. لغلظة الوالي ٢٧٢
لا.. للخيانة ٢٧٢
لا.. للإسراف ٢٧٢
خلق الجباة ٢٧٣
وحقوق الحيوان ٢٧٣
الرحمة بالنعم ٢٧٤
تواضع الوالي ٢٧٥
سيرة المتقين ٢٧٥
احذروا الموت ٢٧٥
التأكيد على الصلاة ٢٧٦
لا سواء ٢٧٦
ارفع إلي حسابك ٢٧٧
وصايا إنسانية ٢٧٧
إلى الأشتر النخعي ٢٧٨
تقوى الله ٢٧٨
يقولون فيك ما كنت تقول ٢٧٨
أصناف الناس ٢٧٩
لا.. لحرب الله ٢٧٩
لا.. للتكبر ٢٨٠
أوسط الأمور في الحق ٢٨٠

لا تقرب النمامين ٢٨١
سياسة المشورة.. ٢٨١
شر الوزراء ٢٨١
الصق بأهل الروع.. ٢٨٢
الإحسان للرعية ٢٨٢
تأكيد على مدارسة العلماء ٢٨٣
الجيش والجنود ٢٨٣
القضاة والعدل ٢٨٣
أهل الصناعات والتجار...................................... ٢٨٤
وأهل الحاجة.. ٢٨٤
كرائم العائلات... ٢٨٤
استقامة العدل.. ٢٨٥
ضع الناس مواضعهم... ٢٨٥
مواصفات الحكام.. ٢٨٦
اختبر الموظفين ٢٨٧
تفقد سيرة الموظفين... ٢٨٧
الاقتصاد... ٢٨٧
وعمارة الأرض.. ٢٨٨
والكُتّاب ٢٨٨
تنظيم الأمور ٢٨٩
تشجيع الصناعة ٢٨٩
منع الإحتكار... ٢٩٠
العناية بالمستضعفين... ٢٩٠
الأيتام والأطفال ٢٩١

أصحاب الحوائج.................................... ٢٩١
الخلوة بالله تعالى ٢٩٢
صلاة الجماعة..................................... ٢٩٢
كن في الناس ٢٩٢
لا.. للبطانة ٢٩٣
كن مع الحق دائماً ٢٩٣
الوفاء.. والأمانة.................................... ٢٩٣
والصبر في الملمات ٢٩٤
إياك وسفك الدماء.................................. ٢٩٤
لا.. للعجب بالنفس ٢٩٥
لا.. للمنة على الرعية ٢٩٥
لا.. للإستئثار....................................... ٢٩٥
دعاء الخاتمة ٢٩٦
وصية لابن عمه.................................... ٢٩٧
إستخلاص.. ٢٩٧
لا.. للحاجب.. ٢٩٨
كلها سياسة.. ٢٩٩
فكرة الاستعمار..................................... ٢٩٩

الفصل الثامن / ٣٠٣

العلماء والسياسة.................................. ٣٠٣
كفاح العلماء الأعلام................................ ٣٠٤
علماء.. شهداء...................................... ٣٠٧
جد الشريف الرضي................................ ٣٠٩

خال الشيخ الكليني ٣٠٩
الأنطاكي المصري.. ٣١٠
الهمداني.. ٣١٠
الناشئ الصغير.. ٣١١
الأزدي الأندلسي.. ٣١١
أبو فراس الحمداني ٣١٢
والد أبي فراس ٣١٢
ابن الفرات ٣١٣
التهامي الشامي ٣١٣
ثابت بن أسلم ٣١٤
أبو القاسم القزويني ٣١٥
الكندي الكاتب.. ٣١٥
الحسن بن مفضل ٣١٦
أبو المحاسن الطبري ٣١٦
الفتال النيسابوري.. ٣١٧
القطب الراوندي.. ٣١٧
الطغرائي ٣١٨
الطبرسي ٣١٨
أبو القاسم بن الفضل ٣١٩
الشهيد الأوّل.. ٣١٩
الشهيد الثاني.. ٣١٩
الشهيد الثالث ٣٢٠
المحقق الكركي.. ٣٢١
القاضي التستري ٣٢١

الحر العاملي.. ٣٢٢
السيد نصر الله الحائري.. ٣٢٢
الشيخ العسيلي.. ٣٢٢
الهمداني الحائري.. ٣٢٣
الميرزا باقر الشيرازي.. ٣٢٣
الشيخ النوري.. ٣٢٤

الخاتمة / ٣٢٥

واجب الجميع ٣٢٥

الفهارس / ٣٢٧

فهرس آيات القرآن الكريم ٣٢٩
فهرس الروايات والأحاديث الشريفة ٣٣٧
المصادر.. ٣٤٩
فهرس المحتويات.. ٣٦٧